كتاب الهلال

١٠ قروش



سلسلة
ثقافية
شهرية

أساطير الحب والجمال عند الإغريق

دريني خشبة

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : احمد بهاء الدين

العـــدد ١٧١ – صفر ١٣٨٥ – يونية ١٩٦٥

No. 171 — Juin 1965

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة جنيه مصرى – فى الســـودان جنيه سودانى فى سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشـــا ســـوريا لبنانيا – فى بلاد اتحاد البريد العربى جنيه و ٣٠٠ مليم – فى الامريكتين ٥ دولارات ونصف – فى سائر انحاء العالم ٣٥ شلنا

سعر البيع للجمهور : قطر والبحرين ٤٠ آنـــة ، ليبيا (بنغازى وطرابلس) ١٥٠ مليما ، الجزائر ١٧٥ مليما ، المغرب ١٥٠ فرنكا



كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الاهداء

الى الأستاذ العبقرى الأول
مؤلف
« ألف ليلة »

هذا الكتاب

منذ ثلاثين سنة او اكثر اخذ الدكتور طه حسين ينادى فى الجامعة وخارج الجامعة بالاهتمام بالتراث اليونانى .. وكان الدكتور طه حسين يرى ان ثقافتنا العربية الجديدة يجب ان تفتح نوافذها على ثقافة اليونان العريقة التى تعتبر من الاسس الهامة للثقافة المعاصرة فى العالم كله

وقد كان اجدادنا من فلاسفة العرب القدماء وعلمائهم يعرفون اهمية الثقافة اليونانية ، ولذلك اقبلوا على ترجمتها ودراستها وفهمها على أوسع نطاق ، وكان العرب من أسبق شعوب العالم فى معرفة الثقافة اليونانية ، بل لقد كان عرب الاندلس بالذات هم الذين نبهوا اوربا الى قيمة الفلسفة اليونانية ، وهم الذين احتفظوا بأهم آثار هذه الفلسفة ، ولولاهم لضاعت هذه الاثار الى الابد فى ظلام القرون الوسطى الذى كان يعم أوروبا ويعميها عن رؤية اى شىء جميل عميق ، بينما كان العرب فى ذلك الوقت هم اصحاب الحضارة المضيئة فى العالم ، هم الذين يحملون نور المعرفة من أرض الى أرض ، ويفتحون قلوبهم لما انتجته شعوب العالم من آثار فكرية

عظيمة ، سواء كانت هذه الشعوب فى فارس أو الهند او فى الصين او وراء الشاطىء الاخر للبحر الابيض .. فى اوروبا

ومن خلال هذه الروح المشرقة المضيئة عاشت آثار ارسطو وغيره من فلاسفة اليونان فى حراسة عرب الاندلس ورعايتهم ، وكان العالم العربى الكبير ابن رشد هو الذى مثل هذا الدور خير تمثيل ، فترجم ارسطو وشرحه . وانقذه من الضياع والنسيان . وعن طريق ابن رشد .. عن طريق عرب الاندلس هؤلاء عرف الغرب فى نهضته آثار اليونان وتنبه الى قيمتها الكبيرة

ولكن العرب فى اهتمامهم بآثار اليونان القديمة وقفوا عند الفلسفة والمنطق ، ولم يلتفتوا الى الادب ... وكان عدم اهتمامهم بالادب اليونانى ظاهرة غريبة ما زال المفكرون والدارسون يبحثون عن اسبابها الى اليوم ، ويختلفون حولها فى البحث والتفسير

وفى بداية النهضة العربية الحديثة التفت العرب المعاصرون الى ما لم يلتفت اليه العرب القدماء ، لقد بداوا يهتمون بالادب اليونانى ، والفن اليونانى على اختلاف الوانه وصوره ، وكان رائد هذه الدعوة الجديدة هو طه حسين الذى استفاد من منصبه كأستاذ جامعى ، واستفاد من مركزه الفكرى الواسع خارج الجامعة ، ليدعو العرب فى كل مكان الى الاهتمام بالتراث الادبى والفنى عند اليونان

والتقط الدعوة أديب عربى موهوب هو درينى خشبة ، وكان هذا الاديب مسلحا بمعرفة عميقة بالثقافة العربية الاصيلة ، مسلحا بأسلوب عربى مشرق جميل ، وكان هو نفسه قد بدأ حياته الادبية بكتابة الشعر العربى .. وأخذ يقرأ الادب اليونانى قراءة فهم واستيعاب وتذوق ، وقرر فى آخر الامر ان يقدمه الى القراء العرب فى

احسن ثوب واجمل صورة ..

وكان من اهم آثار الادب اليونانى تلك الاساطير الكثيرة حول الانسان والعالم ، ومن بين هذه الاساطير مجموعة رائعة حول الحب والجمال ، هى موضوع الكتاب الذى نقدمه اليوم

وقد أصبح أبطال هذه الاساطير مشهورين معروفين على كل لسان فى مختلف انحاء العالم .. فمن منا لا يعرف « كيوبيد » رسول الغرام وحامل سهام الحب ، والكائن السحرى الذى يربط بين القلوب بأجمل المشاعر والعواطف

ومن منا لا يعرف فينوس ، المثل الاعلى للجمال ، والتى لا تخطر على بالنا الا ومعها ذكريات حلوة عذبة عن أجمل ما راته العيون وخفقت له القلوب ؟.. وما اكثر الاساطير الاخرى المتنوعة التى امتلأ بها أدب اليونان حول الحب والجمال ..

لقد كتب درينى خشبه هذا الكتاب الذى نقدمه الى القراء اليوم ، وجمع فيه كل أساطير الحب والجمال عند اليونان ، وعرضها بأسلوبه الجميل الانيق ، فجاءت تحفة فنية من أروع آثار الادب العربى المعاصر

وكتاب الهلال اذ يقدم هذا الكتاب الى القراء انما يهدف من ناحية الى تقديم هذه المتعة الفنية الرائعة للذوق والوجدان والعقل ، ويهدف من ناحية أخرى الى المساهمة فى فتح نوافذ ثقافتنا العربية على ما فى العالم من أفكار وثقافات اخرى ، وخاصة هذه الثقافة اليونانية العظيمة التى كان لها مكانها وقدرها الكبير العزيز فى ثقافتنا العربية القديمة ، والتى تجدد الاهتمام بها فى نهضتنا الفكرية الحديثة ..

ويهدف كتاب الهلال من ناحية ثالثة الى تأكيد

قيمة هامة فى مجتمعنا الاشتراكي الثورى الجديد .. هذه القيمة التي يجب ان نعتز بها ونحرص عليهـــا هى : ان الاشتراكية ليست هي الحياة القاتمة المتجهمه ، بل انها فى جوهرها دعوة الى الحب والتفتح والاستمتاع بالحياة ، والمجتمع الذى تبنيه الاشتراكية هو مجتمع الصـــحة النفسية والصحة الجسمية ، وهو بكلمات اخرى المجتمع الذى يعرف ان من حق كل شاب وفتاة ان يحسا بالعاطفة الحارة العميقة الناجحة ، وهو المجتمع الذى يجعــل من كيوبيد عضوا عاملا نشيطا فى داخله .. فى كل حقل ومصنع ومدرسة وجامعة ، وهو المجتمع الذى يجعل من فينوس مثلا اعلى يمكن تحقيقه باستمرار ، وذلك بمقاومة المرض والبؤس اللذين يدمران ويحرمان الجسم البشرى من كل فتنته وجماله ..

واخيرا فان كتاب الهلال يهدف بنشر هذا الكتاب الى احياء عمل خصب من اعمال الاديب الراحل درينى خشبة الذى توفى فى ١٠ يوليو سنة ١٩٦٤ عن واحد وستين عاما بعد ان ساهم على نطاق واسع فى الحركة الادبية العربيـــة طيلة اربعين سنة متصلة ، منذ ان بدأ يكتب فى سنة ١٩٢٣ حتى مات فى العام الماضى عن واحد وستين عاما ، وخلال هذه المدة الطويلة لم يترك قلمه ، ولم يتوقف عن جهـاده الفكرى سواء بالتأليف او بالترجمة او بالتدريس ، وقـد كان له على الادب العربى المعاصر افضال عديدة ؛ عـــلى راسها هذا الجهد الفذ فى تقديم الادب اليونانى بأسـلوبه العربى الرائع ، ثم اتجاهه فى الفترة الاخيرة من حياته الى خدمة الثقافة المسرحية ، حيث ترجم عددا من امهـات الكتب العالمية التى تدرس فن المسرح وتشرحه وتفسره ، ومن بين هذه الكتب المترجمة : فى الفن المسرحى بقـــلم جوردون كريج ـ علم المسرحية بقلم الارديس نيكول ـ فن

كتابة المسرحية بقلم لايوس اجرى ـ حياتى فى الفن بقلم المخرج الروسى الشهير ستانسلافسكى ـ تشريح المسرحية بقلم مارجورى بولتون ـ تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة بقلم شيلدون شينى ـ فن الكاتب المسرحى بقلم جون بسفيلد « الابن » .

ومن مؤلفاته كتاب عن « اشهر المذاهب المسرحية » ، كما كتب مقدمات تحليلية طويلة لست عشرة مسرحية من سلسلة روائع المسرح العالمى ، وله رواية لم تنشر هى « الانسانية تفنى » وله ايضا مجموعة اشعار لم تنشر بعد

وهذا الكتاب الذى نقدمه هو أحد الاعمال الفكرية والفنية الممتازة لهذا الكاتب المخلص الموهوب الذى عاش حياته كلها من أجل الثقافة والفن وساهم بنصيب وافر فى نهضتنا الفكرية المعاصرة

« كتاب الهلال »

مقــدمة

هذه طائفة من الاحـلام اليونانية الرائعة كان يحزننى الا يعرفها قراء العربية ، على طول ما سمعوا بها ، وعلى كثرة ما داعبت خيالهم ، وغازلت احلامهم ، فأنا اقدمهـا اليهم اليوم ، بالطريقة التى آثرت أن أروى بها هــذه الاساطير ..

احببت ان اسجل ذلك ، حتى لا يدور فى روع أحـد اننى نقلت ما نقلت من آيات ذلك الادب الذى أغرمت به، نقل ترجمة ، ولكن نقل رواية ، وهى الطريقة التى آثرها شعراء أوربا الحديثة حين قدموا لبـــلادهم ذلك التراث اليونانى التليد ، وهى الطريقة نفسها التى أقرها ،وجرى عليهــا الاســتاذ الانجليزى الكبــير « توماس بلفنش » (١٧٩٦ ـ ١٨٦٧) ، حينمــا نقل الى الانجلـيزية معظم الاساطير اليونانية عن أوفيد وفرجيل ... فرب أسطورة ليس لها فى أصول ذلك الادب الا سطر او سطران ، رواها هو فى صفحة أو صفحتين ، ليباعد بينها وبين جفاء العلم، وليجعلها سائغة فى اذواق مواطنيه

وهكذا فعلت ...

وما دمت قد اشرت الى الاســتاذ بلفنش ، فلابد من الاشارة الى الاستاذ هـ . ا. جربر H.A. Guerber الذى انتفعت بكتابه الخالد (١) فى تسوية اساطيرى هذه، والذى اغرانى اغراء شــديدا برواية هوميروس كله ، فى ملحمتيه العظيمتين « الالياذة » و « الاوديسة » ، كمـا اغرانى بعـد ذلك برواية ذلك الادب التمثيلى اليـونانى البارع ، الذى بقى للمدينة وللذهن الانسانى ، من شعراء الاغريق القدامى : اسخيلوس ، وسوفوكليس ، ويوريبيدز، مما قدمته الى قراء العربية فى الصحف والمجلات ..

اما اساطير اليوم ، فهى من غير شك الفصل الاول من ديوان الادب اليونانى الحـافل ، الذى اشفق العرب من نقله الى لسانهم ، خوفا مما يفيض به من وثنيـــة ، على الدين الجديد .. ولم يعد لنـا عـذر فى أن تحول تلك الحجة بيننا وبين الانتفاع بالادب اليونانى ، ولا سيما فى طفولته الاولى الجميلة التى ابدعت لنا تلك الاحلام ..

ولابد هنا من الاعتذار عما كان لابد من ايراده فى بعض تلك الاساطير ، من ذلك اللون من الحب الذى يوشك أن يكون صارخا .. فقد اردنا أن نعطى القراء صورة صادقة عن الفجـر الاول لذلك الادب اليـونانى .. وليس من الصدق أن نخفى بعض الوان تلك الصورة .. وان كنـا قد حرصنا على الا نثبت منهـا الا اقربهـا ــ او ما يكاد يكون اقربها ــ الى ما نأخذ به انفسنا من كريم تقـاليدنا

اما ان هذه الاساطير التى أقدمها الى القراء اليـوم ، هى السفر الاول من ديوان الادب اليونانى ، فذلك الحق الذى لا مراء فيه .. فهى على قلتها ، تقفنا على كثير من اعلام الميثولوجيا اليونانية ، وخصائص آلهتها وانصـاف آلهتها وعرائس غابها وبنات مائها وسـائر سـكان ذلك

(١) اساطير اليونان وروما Myths of Greece and Rome

الاولمب العجيب ، بما كان يسيطر عليه فى عالم الخيال من قبائل السنتور والاوسيانيد والنيريد ، مما يجده القراء مبثوثا فى ثنايا هذا الكتاب ، تلك الاسماء التى آثرنا منها ما هو أكثر شيوعا فى الادب الاوربى الحديث، الذى يؤثر الاسماء اليونانية أحيانا ، ويؤثر الاسماء الرومانية أحيانا أخرى

فهذا الكتاب اذن هو مصباح لابد منه للتمتع بجنة هوميروس ، وجنات الشعراء الافذاذ الذين جاءوا من بعده ، فشادوا على بنيانه صرح ذلك الادب .. والنور الذى يرسله هذا المصباح كفيل بتبديد ظلمات ذلك التراث الذهنى القديم الذى ابدعته لنا شقيقتنا فى ذكريات الماضى .. هيلاس المجيدة

درينى خشبة



بسيشيه وكيوبيد
أروع قصص الحب في التاريخ القديم

كان الليل الهادىء المقمر أصفى من قلوب العذارى ، وكان النسيم العليل الحلو يرف كالامانى فى قلوب المحبين ، وكان البدر العاشق المسهد يرسل القبل فتنطبع على خدود الورد ، وتلثم أعواد الزنبق ، ثم تنتشر بالشذى فتعطر احلام المدنفين !

وكان كيوبيد الصغير يتميز من الغيظ حين انطلق حاملا سهامه ليقتل بسيشيه ابنة الملك ، التى أهانت بجمالها كبرياء امه فينوس !

كان الناس يعبدون ربة الجمال والحب حتى ترعرعت بسيشيه وتدفق ماء الشباب فى جسمها الريان ، فهويت اليها نفوسهم ، وخفقت بحبها قلوبهم ، وآثروها بعبادتهم من دون فينوس !

وكان للفتاة أختان حسناوان ، ذواتا دلال وفتون ، ولكنهما كانتا مع ذلك دونها قسامة ووسامة وفتنة !

اجل ، كانتا دونها فتنة ، فلقد كانت العيون تغرق من جمال بسيشيه في لجة من الحسن الغامض ما لها من قرار ، وكان غموض حسنها هو سر عبادة الناس لها ، وافتتانهم بها ، وانصرافهم اليها عن كل ربات الجمال !

ودعت اليهـا ابنهـا ربة الحب ، فأثارت فى قلبـه العداوة لهذه الغادة وجسمت له ما يحيق به وبأمه من انصراف الناس عن عبادتها الى هذه المخلوقة التعسة :

افيرضيك يا بنى أن نكون من آلهـة الاولمب نكـرتين لا يحبت لهما شعب من العباد المخلصين ؟ أم يرضيـك ان يتغـامز بى الانهة كلمـا مررت بهم ، وهم كمـا تعلم مغيظون منى ، فيقولون ها هى ذى فينـوس التى أذلت كبرياءها امرأة ؛ وصرفت النـــاس عن عبـادتها غادة ؟ اذهب اذن فتربص لها ؛ وانفذ الى أغوار قلبهـا سـهما يودى بها الى «هيدز» ، وبئس القرار ! وانه لا ضير على ان تهيم بها أرواح الموتى ، او يفتتن بها بلوتو وملؤه ..

ومضى كيوبيد الى قصر الملك فى طريق حفت بالورد : وعبقت فيها أرواح البنفسج ، وتأرج النـــرجس الغض واختلط كل أولئك بالقمـــراء الفضية فرققت من غيظ الاله الاصفر ، وجعلته يحس الجنـة التى يخطر فيهـا ليقتل فتاة بريئة ، كل ذنبها جمالها ؛ واقصى ما ارتكبته من وزر أن بدت للناس فشغفوا بها ، وفنوا فيها ..

وكبرت فى قلب كيوبيد أن تنتهى هذه الجنة الى جحيم تعج بالجريمة ؛ وتفيض بالآلام فجلـس تحت ســوسنة نامية يتأمل ، وكان ضوء القمـر ينعكس على الازهار ثم يرتد شعرا وسحرا وموسيقى صامتة ؛ تعزف الحانها على أوتار قلبه الخفاق !

وصدح بلبل غرد فى هداة الليل الفضى ؛ فانتفض الاله الاصغر وحمل قوسه وسهامه ومضى .. لا يأبه بجمــال الطبيعة الساحرة ، ولا يأسر لبه هذا البهــاء الذى يغمر الكون حوله ، حتى كان عند أسوار القصر الملكى الراقدة فى طوفان زاخر من أزهار الشبر والياسمين والبابونيا

وبرفتين من جناحيه الصغيرين كان فى حديقة القصر .

ها هو ذا يصعد على الدرج الرخامي ، متبخترا ، دون أن يلمحه الحرس ..

وانفتل في بسيشيه النائمة ، واندس خلف الستائر الحريرية يوتر القوس الذهبية وينتقي من كنانته سهما تقطر المنية من سنانه ، ويرقص الموت على شباته !

وتقدم نحو الفتاة ...

يا للجمال النائم فوق الاريكة ! ويا للفتنة العائمة ملء السرير !

لقد كانت متجردة كلها ! وكان نهدها البارز المثمر مجللا بثديين ناضجين يتحلبان للذاذة ويلتهبان اغراء !!

ونامت هذه الذراع هنا ، واطمأنت تلك الذراع هناك ، لدنتان وان كانتا كالمرمر ، رخصتان وان كانتا لتمثال معبود !!

وكان السحر يهمهم فوق الساقين الملفوفتين ، ويهوم من تحتهما ، كأنه يرقيهما من نفسه ، أو ينفث فيهما من روحه !..

والرأس الصغير فوق الطنفسة الوردية ، رقد مستسلما لاحلام الشباب الحلوة متلألئا فى شعاعة من ضوء القمر سقطت عليه من النافذة القريبة ، رسولا من لدن ديانا(١) البارة ، أقبل ليقول للآله الأصغر : « مكانك أيها الرامى الحبيب ! ماذا جنى عليك هذا الحسن فتسلمه للردى ، وتجرعه كأس المنون ؟! افتح له ما انغلق من قلبك تنعم به، فانك لن تجد فى ربات الاولمب من تخلص لك الحب كما يخلصه لك هذا الهدف البرىء .. ! »

وخطا كيوبيد خطوتين ، وحملق فى وجه بسيشيه ..

(١) ديانا هي ربة القمر . وهى التى اكتشفت كيوبيد ، فارسلت الشعاعة فوق وجه الفتاة لانقاذها

وبهره الجبين المشرق ، والهدب الناعس ، والخد الاسيل .. وأخذ بلبه هذا الشعر العسجدى تفضض حواشيه أضواء القمر فتزيده بهاء ورونقا ، فآلى لا يهدرن هذا الجمال البارع ، وانثنى مساوب اللب ، مشدوه القلب ، موزع الفكر ، وانتزع السهم فالقى به فى كنانته .. وقبل أن يخرج يده الصغيرة الناعمة ، شاء القدر أن يخدشها سهم ذهبى من سهام الحب ، ملأ كيوبيد هوى وافعم قلبه صبابة ، فتقدم نحو بسيشيه فى خطى اللهفان ، يتزود لأوبته من جفنها النعسان وجمالها الفينان

وطبع على الفم الدقيق قبلة دقيقة حلوة ، وعاد أدراجه عاشقا وامقا لا يبالى بسخط آمه فينوس !!

***

وانصدع عمود الليل ، وتنفس الصبح فهبت الارواح النائمة ، وأقبلت فينوس ربه الحب لتسمع الى النادبات النائحات فى قصر الملك .. بيد أنها ، بدلا من ذلك ، رات بسيشيه ، بسيشيه بعينها ، تمرح فى حدائق القصر ، وقد برزت عرائس الماء من الغدران الصافية تحييها وتغنى لها ، وتضفر لها أفواف الزهر ..!!

وحنقت ربة الجمال والحب ، ونادت بالويل والثبور على ولدها كيوبيد ، واقسمت لتجعلن مباهج الحياة ووضاءتها ظلاما فى عينى الفتاة !!

فسلطت عليها الاشباح تروعها وتفزعها ، واغرت بها بعض خفافيش سوداء جعلت تنوشها وتهاجمها ، وسخرت عليها ريح السموم تلفحها وتصهر روحها ، فانطلقت المسكينة مذعورة الى داخل القصر ، وطفقت تصرخ وتعول ، ولا يدرى احد لماذا تصرخ ابنة الملك وتعول .. وازدحم حولها ابواها واخوتها والخدم والحشم ينظرون ويعجبون ولا يكادون يحيرون ..

ومضوا بها الى المعبد يستوحون الآلهة ، ولكنها ما كانت لتزداد الا شكاة واشجانا !!

وكرت الايام ...

وانسربت بسيشيه الى الجبل القريب المشرف على البحر ، وفى نفسها أن تلقى بحمل الحياة من شاهق ، فتستريح مما يطيف بها من آلام !

ورآها كيوبيد ...

وظلت هى ترقب المرج الهائج ، وتشهد اليم المصطخب، وتلقى على البطاح نظرة مودع عجلان ، وعلى المروج الخضر تحية مأخوذ القلب أسوان ، ثم صرخت صرخة هائلة ، والقت بنفسها من عل ..

وكان كيوبيد قد أحس بما تعتزمه حبيبته من الانتحار ، فدعا اليه صديقه ونجيه زفيروس ، اله الريح الجنوبية، واطلعه على ما يكن من الحب . « لهذه الفتاة التى تكاد تلقى بنفسها من قنة الجبل يا صديقى زفيروس . فان رأيت أن تكون لك على هذه اليد ، أذكرها لك ابد الدهر، فخذ اهبتك ، ولا تدعها تغوص فى اليم ، بل تلقها فى يديك الرفيقتين ، واذهب بها الى الجزيرة المقابلة حيث الشاطىء المنضور بالرياحين ، فدعها ثمة ، فقد اعددت لها مستزادا وملعبا .. »

ولشد ما دهشت بسيشيه اذ رأت طيفا نورانيا كريما برز من الماء فلجأة فيلتقطها فى يديه الكريمتين ، ثم يترفق بها فيضعها على ظهره العريض الرحب ، كأنه أريكة من ارائك الجنة ، ويخوض بها اليم المضطرب فتعنو له الامواج ويسجد من تحته الثبج ، ويصير البحر فى لمحة كأنه مرآة صافية ملساء ، كأنها السماء ..

ويصل الى الشاطىء المزدهر فيبسم للفتاة ثم يجيبها

بتمتمة ، وينطلق فى البحر الذى يعوذ الى سابق اصطخابه واضطرابه ..

وتجلس بسيشه على الكلأ فتفرك عينيها مما استولى عليها من ذهول ، لترى هل هذا الذى هى فيه حلم او هى قد ماتت فعلا ولكنها دخلت الجنة ؟!

بيد انها تذكر أن الارواح فقط هى التى تنفــذ الى دار الموتى ، وأنه ليس فى دار الموتى شمس ولا اباء ، وهى تتحسس نفسها فترى جسمها البض الجميل كما هو لم يتغير ، وهى ترى الى الشمس مشرقة تغمر بآرادها البر والبحر ، وتنشر أنوارها فى الاكوان جميعا ..

اذن هى لم تمت ، وهذا الطيف الكريم الذى أنقذها من الموت ، والذى ترفق فحملها الى تلك الجزيرة هو رسول أحد الآلهة ، واذن فلتنهض ولتضرب فى هذا الفردوس المنعزل حتى يكون أمر غير هذا الامر ..

ومضت فى غياض وأرباض ، ورأت فى الافق القريب قصرا باذخا ذا شرفات وأخياد ، فيممت اليه ، وما كادت تدنو منه حتى فتحت بوابة السور الكبرى على مصراعيها ، وامتدت منها أذرع نورانية تصافحها ، وانبرت أصوات رقيقة موسيقية تحتفى بها وتحيى وتبيى ! ..

وفركت بسيشيه عينيها كذلك !

وظنت انها تحلم ، ولكن كل شىء حولها كان يحدثها أنها ترى رؤية حقيقية لا رؤيا منامية .. فدخلت القصر ، وفى نفسها من الحيرة وشدة العجب ما اخذ يتضــاعف فى كل خطوة ويزداد ..

وحاولت أن ترى أحدا ممن لهم هذا الصوت الرقيق..
ولكن عبثا .. ليس هناك الا أذرع من نور تمتد اليها

محتفية بها ، تقودها الى المخدع الوثير الذى أعدته العناية لها ..

ودار الحديث بينها وبين طيف لا تراه :

ـ ويدهشنى انكم تحتفـــون بى . وتبـــالفون فى اكرامى ، وأنا لا أرى منكم أحـــدا ، فهل كلكم يلبس قلنسوة هرمز ؟ (١)

ـ كلا أيتها العزيزة ، ولكنا أمرنا ألا تنكشف لك ..

ـ ومن الذى اصدر اليكم هذا الامر ؟

ـ ونهينا ايضا عن ذكر اسمه ..

ـ أنتم كرام ولكنكم تضايقوننى الى حد الازعاج ..

ـ « ليفرخ روعك أيتها العزيزة ، ففى المساء ، تلقين الأمير الكريم صاحب هذا القصر ، وصاحب القصـــور الكثيرة فى أطراف الارض

ـ وهل لى أن أجول جولة فى قصركم المنيف عسى أن تذهب هذه الوحشة الجاثمة على قلبى .. ؟

ـ ولم لا ؟ .. بسيشيه العزيزة !

ـ بسيشيه ؟ .. ومن أنبأكم باسمى ؟

ـ رب هذا القصر أيتها العزيزة ..

وجاءت الفتاة فى القصر الجميل المنسق ، وكان مثار عجبها هذه الصور البارعة المرسومة على الجدران ، كلما وقفت عند واحدة دبت فيها الحياة ، وتحركت على الحائط متهللة مستبشرة ، محيية بابتسامة خفيفة ، أو انحناءة مؤدبة .. !!

وكانت التماثيل فى زوايا الغرف ، وأوســـــاط الردهات ، وفى حنايا الحديقة ، وفوق الربى المكسوة

(١) قلنســوة هرمز (طاقية) الاخفاء

بالسندس الرطب ، تحيى الضيفة ، كأن حياة تدب في مرمرها كلما وقع بصر بسيشيه عليها فتتحرك الاذرع ، وتومىء الرؤوس ، وتمر الفتاة وقد أخـــذ الدهش من نفسها كل مأخذ ..

وكانت العنادل تهتف بها ترجوها ان تتلبث فتسمعهـا أنشودة الخلد ، ولولا العجلة لوقفت بسيشيه عند كل منها حتى ينتهى من غنائه الحلو ، وتفريده الرنان

وعادت الى المخدع مع مغيب الشمس

***

فلما كان الغسق (١) سمعت الى الباب ينفتح ، ويدخل فتي خفيف الخطى ، ويقبل عليها فيحيي أحسن تحيـة بأرق صـوت ، ثم يستأذن فيجلس الى جانبها

وكان الظلام شاملا ، فلم تستطع بسيشـــية ان تتبين وجه الجالس اليها أو خلقه ، ولكنها كانت تســمع الى موسيقى تمتزج بصوته الحنـــون ، وكانت تحس كأن عبرات تكاد تخنقه ، لانه يريد أن يبوح بشيء يمنعـــه الخجل من البوح به .. واقترب منها ..

وأخذا فى حديث شهى ، ولكن الحيـــاء كان لا يزال يعقد لسانيهما ..

واقترب منها حتى تماست الاجسام المرتجفة

وأخذ الحبيب يد حبيبته بين كفيه ، فانتقلت الحرارة من هنا الى هنا ، ثم دنا الفم من الفم ، واستراح الخد على الخد ، وبدأ طوفان من القبل ..

وتمتم كل من الحبيبين بهـــــذه الكلمة الســـــماوية الخالدة :

---

(١) الغسق أول ظلمة الليل

ـ ·· أنا ·· احبك ··

ـ كأنك أنت أيها الحبيب الصغير الذى أنقذتنى من براثن الموت !

ـ أجل يا منية النفس ، ورجية القلب ، بمعونة الاله الرفيق زفيروس

ـ أفأنت اله اذن ؟

ـ لا أستطيع أن أذكر لك من ذلك الآن شيئا ··

ـ اذن ما اسمك ؟

ـ ولا هذا أيضا !

ـ أحب أن أراك ، فهل تأذن بايقاد المصباح ؟

ـ اذا حاولت أن ترينى ، كان فراق بينى وبينك !!

ـ أنت تزعجنى ··

ـ ولم أزعجك ؟ ·· ألست قد أنقذتك من الموت ، واسكنتك هذا القصر المنيف ، ولست آمن عليك !

ـ برغم هذا فانك تزعجنى ··

ـ هاتى قبلة ·· ودعى هذا الحديث الشاجن ··

ـ « ·· ؟ ·· »

***

وظل يزورها كلما أقبل الليل ، فيمكث معهـــا حتى مطلع الفجر آخذين فى عناق وقبل ،وحديث ألذ من قطع الروض ، وأروح من رفيف النسيم ، ثم يفصل (١) على أن يعود لميعاده من اليوم التالى ·· وبسيشيه راضية قانعة ، لا يضيرها ألا تعرف من هذا الحبيب الوفى ·· ولا ما يكون اسمه ··

---

(١) يمضى

وذهبت تنشق أنفاس البحر فوق الشاطىء الطويل المزهر فلقيت أختيها فجأة تخرجان من زورق جميـــل ، فتعانقهما عناقا حارا ، ويغمرها للقائهما فرح كبـــير ، وتعود بهما الى القصر ، وتطوف معهما حدائقه وغرفاته ، وتقف عند الصور والتماثيل ونافورات الزئبق ،وتدخلهما « هيكل الحب » كما اتفقت وحبيبها على أن يسميا المخدع ثم تقص عليهما قصتها منذ اعتزامها الانتحـــار الى أن تلقاهما ..

وتكون الغيرة قد أنشبت أظفارها فى فؤادى الفتاتين ، ويكون الحسد قد شاع فى نفسيهما الخبيثتين ، فتضمران لها الشر المستطير

ـ ولكن كيف تطمئنين الى هذا الحبيب يا أختاه ؟ ألا تخافين أن يكون غولا أو هولة أو سعلاة ؟ لمـــاذا اذن يأبى عليك أن تنظرى اليه ؟ أليس يخشى أن تفزعى منه اذا رأيته على حقيقته ؟ أيغرك منه كلامه الناعم الموشى ؟ لا يا أختـــــاه ! نحن نخشى أن يجفوك يوما فيقتلك .. لابد أن تأخذى حذرك منه ! ولابد أن تنتهزى فرصة يكون غارقا فى نوم عميق فتوقدى المصباح وتنظرى اليه ، فان كان وحشا أو هولة ، فاليك هذا الخنجر المرهف فاغمديه فى قلبه واستريحى منه ، وعودى معنا الى أبينا الملك فانه جد مشتاق اليك ..

ودفعتا اليها الخنجر المسمم بغلهما ، وولتا عنهـــــا تختبئان فى أجمة دانية ..

وفعل كلامهما فى قلب أختهما فعله ، فلما كان الليل ، وغفا الحبيب الصغير مما ألم به من سكرة الحب ، نهضت بسيشيه الى مصباحها فأوقدته ، والى الخنجر فشرعته ، وذهبت تنظر الى العاشق البرىء ..

فماذا رأت ؟

أجمل مخلوق على وجهك أيتها الارض ! ..

لقد كان نائما حالما ، فيه دعة وفيه فتون .. ومــلأ الفتاة حبا .. واهتز المصباح فى يدها .. فسقطت نقطة من الزيت المشتعل على ذراع الحبيب فأيقظته .. وفتح عينيه .. فرأى الى الخنجر المرهف فى يمين بسيشيه ..

يا للهول .. !!

لقد قفز الحبيب قفزة هائلة ، ورف بجناحيه الصغيرين وقال : « بسيشيه ! يا شقية .. وداعا .. فلن نلتقى بعد اليوم ! »

وشاعت الحسرة فى قلب الفتاة فسقطت على الاريكة من الجزع والاعياء ..

***

ما كاد كيوبيد يرف بجناحيه فيغادر القصر حتى امتلأ المخدع أرواحا شريرة طفقت تهاجم نفس بسيشيه فى شدة وعنف ، وكلما نظرت هنا أو هناك رأت أفعوانات هائلة تنفث الموت الاسود من أنيابهــا البارزة الحوانى ، ثم أحست كأن القصر يرتجف ويميــد ، ويكاد ينقض ، فهرعت الى الخارج مهرولة ، وهرعت فى اثرها المخاوف والاشجان ، يحدوها الذعر والفزع الشديد

ونظرت فى السماء فلم تجد قمرها المنشود تبثه وتشكو اليه ؛ بل وجدت سحبا قاتمة فى المشرقين والمغــربين ، والودق يخرج من بينها كما تخرج الزفرة من صــدر مكروب ! وبدات العاصفة الهوجاء تزلزل الجزيرة وتميد بالدوح وترفع شياطين الموج فتجرف العامر واليباب !

واخذت الرياح الهوج تلاحق الفتـــاة حيثما ذهبت ، وترجم وجهها الكاسف المغضن بجمرات البرد أيان ولت

ووهنت أعصابها فراحت تصيح فوق الشاطىء كالذى يتخطفه الشيطان من المس ، فلما لم يلب نداءها احد ، انثنت نحو القصر ، وطوفت بالاسوار تتفقد الباب الكبير الضخم .. ولكن .. هيهات ! لقد كان السور كتلة واحدة ليس بها منفذ ، ولم يكن غارقا هذه المرة فى الطوفان الزاخر من أزهار الشيير والياسمين والبابونيا ، وكان عاليا على غير عهدها به ، حتى يكاد يستتر وراءه القصر الباذخ ، فلما استيأست من الدخول ، وشعرت بقلبهـــا يتحطم ، وبنفسها تذهب شعاعا ، استلقت على الكلأ ، واستسلمت لنوم ممتلىء بالاشباح

وأشرقت الشـــمس فاستيقظت بسيشيه ، وتلفتت حولها فلم تر السور ولم تجد القصر ، وفركت عينيهـــا تخال انها تحلم ، ولكنها ترى الجزيرة جرداء الا من شجرات قليلة من الشاهبلوط ، والا من غدير صغير به بقية غـــير مباركة من الماء النمير ..

ويكون صوابها قد ثاب اليها ، فتيمم شطر الشـــاطىء تتفقد وروده ورياحينه ، ولكنها لا تجـــد الا آلافا من السراطين الميتة لفظها البحر بفعل العاصفة ، والا اكواما من الودع والمحار تجلل كثبـــان الرمال الممتـــدة فوق الجزيرة ، كأنها قوافل من الام بسيشيه واشجانها !

« ويلاه ! ..

« لقد حملت اليك أيتها الجنة الصغــــيرة وبردك برد الشباب ، وريعانك ريعان الصبى ، وفى اعطافك تنهل سلافة الحب ، وتحت شطئانك ترقص عرائس الماء ، وفى غدرانك تترقرق أمواه الهوى ، وكل ما فيك تدب فيه الحياة ناضرة

« أفهكذا يذبل شبابك ، ويذوى ريعـــانك ، ويغيض حبك وتقفر شطئانك ، فليس يرف فوقك الا هامة ، ولا يهتف فيك الا صدى ، ولا تهب ريحك الا كأنفاس الجحيم؟!

« ويلاه ! ..

« لقد كنت أفرك عينى أحسبنى منك ايتها الجنة فى حلم فالآن افرك عينى أرى هـل انا من خرابك اليوم فى حلم ؟ !

« لقد نعمت بالحب فوقك ايتها الجزيرة ، فلماذا لقيت أختى ؟ ! أين ذهبتا ؟ ! احسبهما ذعرتا من العاصفـة ، وفزعتا من الزلزال ، ففرتا .. فصبر جميل ! »

**

هكذا ظلت تبكى بسيشيه ، وهكذا غبرت بها الايام فوق الجزيرة تنتظر أوبة حبيبها . ولكن . بلا جدوى !

وكانت تأكل ثمرات من الكستناء تذهب بها سغبها ، وترشف من بقية الماء فى الغدير رشفات تبل بها أوامها ، ثم تعدو فى الجزيرة باحثة عن .. لا شىء !

ووقفت يوما عند ضفاف الغدير ترتوى ، فما شدههـا الا أن ترى الماء يزداد ويزداد ، والغدير يتسع ويتسع ، حتى تكون على عدوة نهر عظيم دافق ، تزخـــر أمواجه وتجرجر أواذيه . ويبدو لها ان تلقى بنفسها فى أعماقه ، لانها لم تعد تحتمل هذا الالم المتصل والشجن الطويل الممض .... وانها لتنظـــر الى المـــاء فيجيش قلبها بالذكريات ، وتفيض عيناها بالدمع ، ويشحب جبينها الكاسف الحزين ، ثم يتأود غصنها اليابس الهش ، فتنحدر الى اليم ، وتتلقفها اللجة

ولكن رب النهر الذى كان واقفا يسمع ويرى يسرع الى الفتاة فينتشلها ، ويصيح ببناته عرائس الماء فيـــأتين

من كل فج ، ويترفق باللاجئة الشقية فيواسيها بكلمـــات تقطر حنانا وتفيض رحمة ، ثم يتركهـا لبناته يداعبنهـا ويلاعبنها ..

وتأنس بسيشيه الى العرائس الحلوة ، ولا يخجلها أن تاخذ معهن فى حديث حبها ، فاذا سألنها عن صفة حبيبها، قالت : « كان صغيرا كالطفل الا حين يكون فى ذراعى ، مسندا راسه على صدرى ، فيكون اذ ذاك أكبر من الدنيـا بما فيها من مباهج ومفاتن . وكان طيب الانفاس ، فمـا قبلنى أو قبلتـــه الا شممت عبق الورد فى فمـه ، وارج البنفسج فى خده . وكان اذا عانقنى أو عانقته ، تحسست له جناحين على ظهره ، صغيرين ناعمين ، فاذا ساءلتـه عنهما ، أنكر على وصرفنى برفق ودعة عن الحديث عنهما، فنأخذ فى امور أخر . وكان يحمل قوسا من ذهب ماتفارقه، وكنانتين من حرير فيهما سهام من رصاص وذهب . . وما دهانى فى الليلة المشؤومة الا ان اراه يثب من النافذة ، فيحلق فى كبد السماء كأن له قصرا فيها .. فبحق زيوس عليكن يا عرائس الا ما اعلمتننى من هذا الحبيب ، فانتن بنات اله مبارك ، ولابد أن يعـــرف أبوكن من امره كل شيء .. »

وصمتت بسيشيه ، ونظرت الى العرائس فراتهـــن يحدجنها بنظرات دهشة حائرة ، ثم يتهامسن ، ثم لا يحرن جوابا ، فقالت لهن :

« أنتن تزعجنني يا عرائس ، فهل هكذا يستقبل الضيف لديكن ؟ »

فقالت كبراهن : « لا عليك يافتاة ، ولكنك كنت أتعس مخلوقة على وجه الارض حين عصيت امر كيوبيد ؟ »

— كيوبيد ؟! .. ومن كيوبيد تعنين !؟

ـ « كيوبيد بن فينوس ، فهو هذا الذى كان يهواك وكنت تهوين ؟! »

ـ « كيوبيد الاله ! كيوبيد حبيبى ! ياويح لى .. لابد ان يعود لى الهى الجميل الحبيب .. لن تحلو لى الحياة بدونك يا كيوبيد .. »

هامت بسيشيه على وجهها فى اقصى الارض ، وكلما مرت بروضة أو غيضة ، وكلما وقفت عند ضفاف نهر او المت بحفافى غدير ، برزت لها عرائس الماء فشكت اليهن، وسالتهن ان كن يعرفن أين يأوى كيوبيد ؟ وقالت لها عروس :

ـ « اترين يا فتاة الى هذا الجبل البعيد الذى يحمل السماء بروقيه ؟ اذا كنت عنده فتلبثى حتى يعود بان (١) من صيده فتعلقى به ، واذرفى من دموعك تحت قدميه فاذا هش لك وبش ، فاذكرى له حاجتك يقضها لك ، او يدلك على من عنده قضاؤها »

ـ ومن عسى أن يكون بان يا أختاه ؟ »

ـ « رب المراعى ، واله الصيد ، وحامى القنص . الم تقربى له ؟ الم يفعل أبواك ؟ »

ـ « بل فعلنا .. »

ونهدت الى الجبل وكأنما بها مس من الجنون ، وجعلت تطوف به حتى مالت الشمس الى الغروب ، فرأت (بان) قادما يدب بحافريه ، ويردد فى الاكام ناظريه ، فلما لمحها اقبل عليها دهشا متعجبا ، ثم أخذ يتفرس فيها كأنما بهره حسنها ، وسباه منظرها ..

وشكت اليه ، فما هالها منه الا قوله : « تعسة ! أنت غريمة فينوس ! » فقالت ، وفى عينيها دموع تخنق منطقها:

(١) ورد ذكره فى بعض الاساطير باسم كونستيس . ولا يزال الرعاة الانجليز يتغنون بحاميهم بان الى اليوم

« غريمة فينوس ؟ ومالي انا ولفينوس » فقال بان :«جمالك هذا جنى عليك .. لقد صرف الناس عن ربة الجمـــال والحب الى عبادتك انت أيتها الشقية ، ولذلك حنقت عليك ، واصابك من الاذى ما أصابك .. اسمعى يا فتاة.. لقد مررت اليوم بربة الخيرات ديميتير ، هل تعرفينها ؟ أم برسفونيه ، فتاة الربيع التى خطفها أخى بلوتو لتؤنسه فى هيدز ! مررت بها فسمعتها تتحدث عن كيوبيد وهيـامه بك ! بك انت ! اليس اسمك بسيشيه ؟ »

ـ « .. ؟ .. »

ـ « تحملى اليها اذن . انها ليست بعيدة من هنا . انها شفيقة رفيقة ، وهى ترثى لامثالك من العاشـــقات الوامقات ، تحدثى اليها عن كيوبيد واستمعى الى ما تقوله لك وتشير به عليك .. أترين الى هذه الغـــابة الملتفة الوارفة ؟ انها هناك تنتظر ابنتها فى أوبتها من هيدز »

وعجلت الى الغابة ، ولقيت ديميتير الطيبـــة الوقور : فانحنت تحييها ، وما كادت تسرد شكاتها حتى انهمـــر الدمع من عينيها الحزينتين ، وتخاذلت فخرت مغشـــيا عليها ، وتقدمت ربة الخير فباركت الفتاة ، وطفقت ترش على وجهها الماء من غدير قريب ، فكان الزهر ينبت حول بسيشيه كلما انتثرت قطرات على الارض ؛ فلما أفاقت ، بهرها هذا السرير الربيعى من منضور الورد يحف بها ، ويحنو عليها ..

وبسمت ديميتير ، وواست الفتاة الوالهة وآنستها ، ثم ذكرت لها انها رأت كيوبيد بكرة ذلك اليوم ، وفى كتفـــه جرح دام احدثته فيه أمه فينوس ، لماذا ؟ لايدرى احد !

ـ « .. فاذا كان لابد لك من لقاء كيوبيد ، فاذهبى الى فينوس وتبتلى اليها ، وادخلى فى خدمها وحشمها ،واثبتى لها بتفانيك فى طاعتها انك من عبادها المخلصين ، عسى

يا بنية أن ترضى عنك ، ويذهب عنك هذا الحزن » ..

ثم قادتها الى قصر فينوس ، وزودتها بما ينبغى لها من النصح ، وعادت الى غابتها الوارفة تنتظر برسفونيه

وبرهنت بسيشيه على حسن اخلاصها وجميل توبها ؛ وكانت ربة الحسن تسخرها فيما لا طاقة لبشر به ، فكانت تقوم بما تكلف بهوتؤديه خير الاداء

وأعجب ما حدث لها من ذلك ان أمرتها فينوس بالتوجه الى هيدز ـ دار الموتى ـ واقتحامها ؛ ثم لقاء برسفونيه ؛ ربة الربيع ، وزوج بلوتو ، وسؤالها صندوق الطيب الذى تدهن منه العجوز الشمطاء ، فيرتد اليها صباها ، ويتدفق ماء الشباب فى اعطافها ، وتعود كما كانت ، شرخ صبى ، وعنفوان شباب !

واسقط فى يد بسيشيه ! ولم تدر كيف السبيل الى هيدز ! ولكنها حين ذكرت برسفونيه ، بدا لها أن تذهب فتستشير امها ديميتير عسى أن ترشدها أو تزودها خالص نصيحتها . فذهبت الى الغابة ، ولقيت لحسن حظها ديميتير تودع ابنتها ، لتعود أدراجها الى هيدز ، اذ كان الربيع الحلو قد صوح ، وازف الشتاء ببرده وزمهريره (١)

وهشت لها ديميتير ؛ وعقدت بينها وبين ابنتها أواصر الصداقة ، ولما حان موعد الافتراق ؛ أبدت بسيشيه رغبتها فى أن تصحب ربة الربيع لتؤنسها فى ظلمات دار الفناء ؛ فلم تعارض الفتاة ؛ بل اذنت لها راضية (٢)

وسارا بين صفين من ارواح الموتى تغنى وتنشد .. وتبكى !!

وكم كان عجب بلوتو شديدا حين لمح الفتاة الرشيقة

(١) الربيع والصيف فصل واحد والشتاء والخريف كذلك

(٢) فى بعض المصادر أن زفيروس هو الذى قاد الفتاة الى هيدز

الهيفاء تسير الى جانب زوجته ، وبلغ به التأثر مبلغه ؛ فغادر لهما غرفة العرش المظلمة ..

وتلطفت بسيشيه فسألت مليكة هيدز صندوق الطيب الثمين ، فوجمت برسفونيه ، وكانت على وشك ان ترفض هذا الطلب ، لولا ان ذكرت الفتاة ان فينـــوس هى التى أرسلتها لتطلبه وتجيئها به . فنهضت برسفونيه الى دولاب قريب ، وعادت بالصندوق ، ترتجف به يدها العاجيـــة الجميلة ، وقدمته للفتاة وهى تقول :

« لا تفتحيه .. لا تفتحيه أيتها الصغيرة ! »

واستأذنت بسيشيه ، وعادت ادراجها الى .. هذه الدار الاولى ..

وفى طريقها الى قصر فينوس ، ذكرت كلمات ربة الجمال عما يحتويه الصندوق من دهان يرد القليل منه جمـــال الشباب وريعان الصبى .. وذكرت كذلك تلك الليـــالى الطوال التى ظلت فيها مسهدة العينين تبكى كيوبيد وتحن اليه ، حتى شفها الوجد ، واوهنها السقم ، وبرح بهـــا الهيام الشديد ، فتحدثت الى نفسها تقول : « فلم لا أدهن بقليل منه وجهى وبشرتى ؟ ولم لا أرتد جميلة كما كنت . مادمت أطمع فى لقاء كيوبيد ؟ ان ربة هيدز حذرتنى من فتح الصندوق ، لا أدرى لماذا ؟ فاذا كان مابه شر ، فلم تريده فينوس الجميلة ؟ لا .. لابد أن أتطيب به ، وليكن بعدها ما يكون ! »

وداعبت اناملها الصنـــدوق ففتحته .. ولـــكن .. وا أسفاه ! لم يكن به غير هذا الروح الشرير المنكر .. روح النوم .. ولقد وثب فى وجه بسيشيه فحلق فى عينيهـــا الزرقاوين الصافيتين ، ثم ما هى الا لحظة حتى انكفأت المسكينة على الحشيش المندى تغط فى نوم عميق !

وكان كيوبيد يتنزه فى الحدائق المجاورة ، فما دهاه الا ان يرى ملاكه المحبوب ممددا على الكلأ ، وصدره يعـلو ويهبط ، كأن كابوسا مستقر عليه

ودنا اله الحب من بسيشيه ، وسرعان ما هاجت به ذكريات غرامه الاول ، وثار فى قلبه الحنين الى الليالى المقمرة التى كان يقضيها الى جانب الرشأ الغرير ، الذى يترنح أمامه فى قبضة الروح الشرير .. روح النوم !

ونظر كيوبيد بعينيه السحريتين ، فراى الروح يصارع بسيشيه صراعا هائلا .. فثارت فيه نخوة الوفاء ، وأنفذ الى العدو سهاما متتابعة متلاحقة ، حتى قهره ، واضطره الى العودة من جديد الى الصندوق الصغـير ، وما كاد يستقر فيه حتى أغلقه عليه ، ودفنه فى غور من الارض

ثم تقدم الى حبيبته ، وطفق يروح على وجهها ، ثم ايقظها بقبلة اهتز لها الروض ، وطرب الورد ، وشاعت فى الطبيعة الضاحكة أسرا وسحرا !

« اختاه ! انهضى ! انظرى الى ! هأنذا كيوبيد ! هلمى فلن نفترق بعد اليوم ! »

***

وأغذا السير، حتى اذا كانا فى دولة الاولمب صاح كيوبيد فى معشر الآلهة : « أن اشهدوا أيها الارباب ، لقد اخترت بسيشيه الجميلة زوجة لى مباركة .. » وطرب الآلهة ، وأقيم المهرجان الفخم ، ورقصت ديانة ربة القمر ، وعزف أبوللو موسيقاه ، ورسمت بسيشيه ربة للروح الخالدة التى تفنى .. ومنذ ذلك اليوم وهى ترف بأجنحـة فراشة جميلة فى جنة الاولمب ، والى جنبها حبيبها كيوبيد



إيخو ونركيسوس

«الفاتنة التي أصابها البكم، والجميل الذى عشق صورته»

كان زيوس ــ كبير آلهة اليونان ــ يتعشق فتاة حلوة الدل ، بارعة الحسن ، رقيقة الشمائل ، تدعى يو . وكان، برغم زوجاته الخمس او الست ، يختلف الى حبيبته فى الخلسة بعد الخلسة ، يؤانسها ويسامرها وتؤانسه وتسامره ، ويبل فمه الظامىء من ثغرها الراوى بقبلة.. أو رشفة ..

وكانت أولى زوجاته (حيرا) هى التى تزعجه بما تبث حوله من الرقباء وتنشر من الجواسيس ، يحملون اليها كل حركة من حركاته . وكان هو يضيق بكل ذلك ،ولكنه لا يستطيع الا ان يداهن ويداهن .. ويبالغ فى المداهنة ، لشدة شغفه بحيرا ، ولانه يحس فى الخضوع لها لذة أولمبية لا تعدلها لذة .. الا لذة تدليله لحبيبته يو

وكما كانت حيرا تمكر مكرها فى كل حين ، كذلك كان الاله يمكر مكره !.

أراد أن يشغلها عنه بملهاة تذهب من وقتها كل يوم

(*) آثرنا عدم ترجمة ايخو ــ أو اكو ــ بما يرادفها فى العربية وهى لفظة (صدى) لان التسمية يونانية وقد نقلها الرومان منهم ثم ذاعت فى كل اللغات وكذلك اثبتت لفظة نركيسوس (نرجس) ليونانيتها أيضا

بساعات يقضيها فى أحلامه الفرامية بين يدى يو ، ملتذا قوامها الخصب ، مستمتعا بجمالها الفينان ، سابحا فى هذه اللجة المترعة بالمفاتن ، فى كل جارحة من جسمها المشوق ..

وقد سنحت له الحيلة ..

حدثها عن فتاة ناضرة الشباب ، ريانة الاهاب ، عذبة اللسان ، وقادة الجنان ، تعرف من قصص الحياة وانباء الدنيا ما لم يتيسر بعضه للآلهة أنفسهم ! وكانت حيرا ، ككل الانثيات ، مولعة بالثرثرة ، مشغوفة بالمعرفة ،تبغض الصمت وتغرم بالكلام الطويل الموشى . وهى مع ذاك طلعة ، بقدر ماهى اذن ، تتكلم كثيرا ، وتثرثر كثيرا ،وتسمع كثيرا ..

وانطلقت الى الفتاة ، فشغفت بها لاول لقاء ، ووجدتها كما حدث زوجها فياضة القول غزيرة القصص ، تتدفق فى حديثها تدفق الخمر فى الكأس ، حتى اذا استقرت فى مكانها من الجسم ، شاعت حمياها فيه ، فأطربت ، وأرقصت ، كأنها عصرت من حديث هذه الفتاة !

ثم جعلت تتردد عليها ، وما تكاد الفتاة تفرغ من احدى قصصها العجيبة حتى تأخذ فى أعجب منها واغرب ، وهى بين الآونة والاخرى ما تنى تنمق حديثها بالنكات البارعة ، والملح الرائعة ، مرسلة المثل فى مقامه ، والحكمة فى موضعها ، فى غير كلفة أو عناء ، ثم هى كانت رقيقة دقيقة ، لا تمل السامع ولا ترهق الناظر . وكانت تقبل على سمارها وكأنها تختص كلا منهم بقلبها ، وكأنها تلقى الى كل منهم بقرارة نفسها ، حتى ليحسبها كل له وحده بما يحسبه تؤثره به من عطف ، وتغمره من ود ، وتزجى اليه من محبة ..

وكانت حيلة صائبة من زيوس ، شغل بها حيرا طويلا ، ليفرغ هو الى يو .. فيا للآلهة !!

ولكنها شعرت من زوجها لفحة الصد ، وأحست فيه انقباضا وجفوة ، فوقر فى نفسها ان لابد من أمر ؛ وان هناك سرا أى سر ؛ فآلت لتكشفن ما تغفلها فيه

وبثت عيونها ، وارسلت ارصادها ، حتى استوثقت مما كان بينه وبين يو ، وادركت انه قصد الى الهائها بهذه القصاصة الخبيثة ليفرغ هو الى لباناته وأوطاره !

ولا ندرى ما ذنب الفتاة التى ملأت اذنى حيرا سحرا ، ونفثت فيهما موسيقى والحانا ؟ لقد ظلمتها زوجة الاله الاكبر ، التى تحمل بالباطل لقب حامية النساء وحافظة الاجنة ، حين أقسمت لتسلبنها الطلاقة والذلاقة ، ثم لتسلطن على لسانها العى والحصر يشقيانها ويعذبانها !

لقد كان كل ما اتهمت الفتاة به انها كانت سببا فى تمادى زوجها فى غى حبه ، وابعاده فى ضلالة هواه فنفثت فى عقد سحرها ، ثم قصدت الى الفتاة المسكينة فنهرتها . وارسلت عليها شواظا من غضبها ، وقذفتها برقية من رقاها المهلكة ، لم تستطع بعدها ان تلجلج لسانها بكلمة واحدة تفرج بها عما فى نفسها ...

وقهقهت حيرا حين حاولت الفتاة ان تتكلم فلم تستطع ؛ ثم شاءت الخبيثة أن تظهر آية اخرى من آيات غدرها ، فقالت ، بعد أن نفثت نفثة ثانية : « انا اسميك ايخو ، وآمن عليك فأطلق لسانك باللفظة المفردة ترسلينها فى ذيل كل كلام تسمعين ... اللفظة الاخيرة فحسب ياايخو .. »

فرددت الفتاة المسكينة : « ايخو !! »

أما يو ، فقد نفذت اليها حيرا وصبت عليها من جام سحرها ما تحولت به الى بقرة صفراء فاقع لونها ..

تسوء الناظرين . ولهذا حديث طويل مشبج ندعه الآن ، لنرى ما كان من امر ايخو ..

دهشت الفتاة لبيانها اين ذهب ، ولصوتها الجميـــل اين ولى ، وللرخامة الفضية التى كانت تترقرق من فمهــا الشتيت كيف ضاعت ، ولهذا السحر الدنىء كيف قضى على اولئك جميعا ؟!

لقد بكت كثيرا ، وتوسلت الى الآلهة ، ولكن ... اين الآلهة ؟ لقد تصاموا جميعا ، لان حيراهى القاضية ، ولانهم يشفقون أن تفسد أسباب السماء كما أفســـــدت الارض على عرائس البحر !

واطلقت ساقيها للريح ، فيممت شطر غابة ذات مــــاء وذات افياء ، ثم انها اتخذت لها ماوى فى اصل سنديانة ضخمة الجذع ، معروشة الفروع وارفة الافنان ، واقامت ثمة تجتر احزانها وتسعر اشجانها ، وتقابل بين ماضيـــها السعيد وحاضرها الشقى ، وتسكب بين هذا وذاك دموعا ساخنات وعبرات غاليات ! وبينما هى سادرة فى كهفها ، مستغرقة فيما آل اليه امرها اذا بصحب يافع من الشباب اليانع يمرون ببابها ، من دون أن يروها ، وهم يتحـدثون احاديث الصبى ، ويتسامرون سمر الفتوة ، ناعمين بأشهى مناعم الحياة

وظلت ترقبهم وتستذكر أيامها الخوالى ، اذ الشــــمل مجتمع ، والرواد محدقون ، مرهفة آذانهم ، شاخصـــــة ابصارهم ، فاهتزت هزة المحموم بالشــــجن ، المروع بالشجى !

واطلت من كناسها ، فرأت الغلام الاغريقى المشهور ، « نركيسوس » الذى دله الآلهة بجماله ، وتام عذارى اثينا بنضارته واشراقه . رأته يتخلف عن اصحابه ، مأخـوذا

بجمال نرجسة حلوة اقتطفها من غصنها المياس وفتنها المياد ، ثم وقف يحدق فيها بعينيه المعسولتين ، اللتين لونتهما شمس الجنوب بهذه الصبغة السحارة ، وكمنت ملأهما يعاسيب الفتنة ، تنتشر منهما فى دنيا القلوب !

والسبيل فى الغاب ملتوية متداخلة ... تيه يضل فيه العابر ، ويباب أخضر لا يهتدى فيه السائر ، هنا منعرج لا يصل منه الانسان الى أمن ؛ وهناك منحنى لا ينتهى الى سلام · ولقد مضى الدليل مع الصحاب ، ولبث نركيسوس وحده ، يضرب اخماسا لاسداس

ولم تستطع ايخو حين أبصرت به ان تفلت من هـذا الشرك المنتشر حوله ، تعلق بخيوطه السحرية القلوب والالباب .. فأحبته بكل قلبها ، وارسلت فى نظراتهـا اليه نفسها تتمرغ تحت قدميه ، وتهمهم بين قدميـه ، كأنها خلقت له ·· لا لها !

ولكن كيف السبيل الى التعبير عن هذا الهوى الملح ؛ والحب المخامر ؛ ولسانها فى عقال الا من المقطع الاخير ، ينطلق فى اثر الحديث ، او اللفظة المفردة تردفها بصياح كل صائح ، وهتاف كل هاتف ؟!

وراحت تقتفى أثره ، من غير أن تشعر هى ، ودون أن يشعر هو ! وتقص خطاه وهى لا تعى ما تفعل ؛ وهو لايدرى كذلك ؛ فكان دبيبها كدبيب القطا ، أو كوثب الضفادع . على ان حركة غير مقصودة اتت بها ايخو جعلته يعتقد أن احدا من سكان الغابة يتبعه ، فصاح قائلا :

« من ؟ ... »

فرددت المسكينة نداءه : « من ؟ ... »

فقال : « هل من احد هنا ... ؟ »

وارسل هذا السؤال فى رعب خفيف ، فرددت ايخو اللفظة الاخيرة : « هنا ... »

فبهت نركيسوس ، وقال ، وقد خال المتكلم امراة :

« هلمى يا فتاة .. هلمى .. »

فرددت ايخو اللفظة الاخيرة .. « هلمى ... »

فزادت حيرته ، وتضاعف خباله .. وقال :

« لم لا تأتين الى ، وليس هنا أحد يرى ؟ ولا انسان يشهد ؟ »

فثار كامن الهوى فى نفس ايخو ، ونطقت اللفظة الاخيرة : « يشهد ؟ » بكل ما تركت لها حيرا فى قرارة لسانها من رنين فضى ، وجرس جميل ... »

وعاد نركيسوس يقول : « يا فتاة ! ليت شعرى ما يحجزك ؟ أين أنت ان كنت هكذا تستحيين ؟ تعالى .. »

وكان ايخو ادركت ان الفرصة سانحة للقاء هذا الحبيب الطارىء ، فبرزت من مكمنها فى غير هيبة ولا وجل ، وقصدت اليه تعرض حبها ولظى جواها ؛ ولما لم يكن فى مكنتها أن تخاطبه ، لتكشف له عما تضمر من هيام به ، ومحبة له ، بدا لها أن تثب الى حيث هو فتعانقه ، وتضم صدره الى صدرها ، ليبث احدهما الى الآخر

ولم تكد تفعل حتى جهد نركيسوس فى تخليص نفسه منها ، ثم انطلق فى الغابة لا يلوى على شىء ، كالرئم المروع ، والظليم لمفزع .. !!

وذلك انه لم يجرب هذه المفاجاة بالحب ، ولا وقع مرة فى شراك غرام ، وقد ربكته ايخو حين غمرته بكل حبها ، فشرق به وغص ، وقال : الفرار .. الفرار !

وتسلط الهم على قلبها فشفه ، والشجن على جسمها الناحل فاضناه ، وكانت صدمة هائلة صدعت جوانب

نفسها ، وزادتها نكالا على نكال ؛ ثم تتابعت الايام وهى ما تزداد الا سقاما ...

واضمحلت ... ثم اضمحلت ... حتى غدت ... لا شيء ! !

ولا شيء هذه ليست مبالغة فيما حل بها ، اذ الصحيح انها غدت لا شيء ، الا هذا الصدى يتردد فى كل واد ، ويذهب أثر كل نداء

وهى الى اليوم تأوى الى الغيران ، وتتخلف الى الشطئان وتنحدر مع الريح على جنبات الجبال ؛ تنعى همها ، وتندب حظها فى النادبين !

وشاءت المقادير أن تنتقم لايخو المعذبة من هذا الشاب الجميل نركيسوس الذى حطم قلبها الفض ، وقضى على نفسها المحزونة . فبينما كان فى طراد عظيم ؛ فى يوم قائظ عرج على خميلة ناضرة ملتفة الاغصان ليشرب من الغدير الصافى الذى يترقرق من تحتها .. وما كاد ينحنى الى الماء حتى رأى صورته فى صفحته الساكنة ، فبهره حسنها ؛ واخذ يرمقها بقلب مشوق ونفس هائمة ، وهو لا يعلم ان الحبيب الذى تامه ان هو الا ظله ؛ وعروس الماء التى تبلت فؤاده ان هى الا خياله ! !

عينان كبيرتان ذواتا اهداب زانهما وطف ، وجبين واسع وضاء مشرق ، وخدان أسيلان كخدود ربات الاولمب، وخمل حلونابت فوق بشرة الوجه يزيده رونقا وجمالا ، وثغر حبيب كأقحوانة تتفتح ، ترف حوله بسمة ساحرة من حين الى حين ، وذقن رقيق مستدق يرتفع على عنق يونانى رائع ثم فتنة تغمر ذلك جميعا !!

خاطبه نركيسوس ؛ ولكن ... وا اسفاه ! انه لا يرد تمتمة ، ولا يجيب الا كما تهمهم الريح !

ومد يده ... فمد الخيال يده ، واستطير صاحبنا من الفرح ، ظانا ان حبيبه تواق الى ما يريد !

واقترب بفمه ، يريد قبلة ، فاقترب الخيال بفمه كذلك ولكن .. يا لخيبة الامل ! ما كاد العاشق الولهان يمس الماء بشفتيه حتى ذهب حلمه ابادید ، وتكسرت منى نفسه الحيرانه ، وفر الخيال فى شظايا الماء... وتحطمت الصورة الرائعة بددا !! وخيل لنركيسوس انها تقول وهى تهتز قبل ان تلتئم : « لا ... لا ... لا ... لا ... »

ولبث عبثا يحاول قبلة ، وتتكرر الآية كلما مست الماء شفتاه ... فانطلق مغيظا محنقا ، وهام فى القفار على وجهه ، لا يطيب لجفنه المسهد كرى ، ولا يحلو بفمه المرير عيش ، لجفاء الحبيب ، ونفره آسية العجيب !!

نركيسوس ، الذى بلبل قلوب العذارى ، وسفك دموع الحسان ، وضرج كبرياء الغيد بالدم ، واذل البسمات التى طالما حملتها اليه اجنحة الحب من ثغور الفاتنات .. نركيسوس ، الذى القى بحب ايخو فى التراب ، تسبيه صورته ، ويتصباه خياله ، ويأسر ظله ، فيا لنقمة كيوبيد ، ويا لعدالة فينوس !!

لقد طفق يختلف الى الغدير لدى كل شروق شمس ، يناجي حبيبه المعبود وامله المنشود ، فلا ينثنى الا اذا توارت الشمس بالحجاب !

وما انفك يشكو ويتوجع ويستعطف ، وما انفك الخيال يتصام ويتباكم . واذ تحدث تمتم !!

ثم ...

ثم ذوى عوده ، وذبلت نضرته ، وتهدم جسمه ، وتحطم قلبه ، وتأرجحت روحه فى حدقتيه ... و .. دنت ساعته

ووقفت ايخو فى فنن وارف ، فى آيكة قريبة من الغدير ،

تشهد الفصل الاخير ، من مأساة حياتهما ..

وسمعته يقول مخاطبا ظله : « ايها الحبيب ! اجل ! لقد حق لك أن تنتصر على كبريائى ، وتسحق مرتى وتهد أعضائى .. هأنذا أموت أيها الحبيب ... بقربك ... يا عروس الماء النافر ... اموت ... واحبك... فالوداع ... الودا ... ع »

وبكت ايخو ... ورددت هذا الصدى الحبيب : « الودا .. ع ! »

واقبلت عرائس الماء تنوح بدورها على نركيسوس ، ثم ذهبت فى ارجاء الغابة تجمع الحطب لاحراق الجثـــة ، كما جرت بذلك العادة فى ذاك الزمن .. ولكن ، ياللعجب ! لقد عادت فما وجدت غير زهرة جميلة من ازهار النرجس ! انحنت على صفحة الغدير تنظر فيه الى ظلها ... وتذرف دمعها .. قطرة ، فقطرة ..



بين أپوللو وكيوبيد

عصى الناس ، فى قديم الزمان ، سيد أرباب الاولمب ، السند الاعظم المهيمن على ملكوت السموات والارض : زيوس . ومع ما اشتهر به من واسع الحلم ، وطول الاناة ، وجم المغفرة ، فانه لم يشأ أن يمد للعالم فى حبال الغواية لدرجة انكارهم لذاته ، والحادهم فيه ، وكفرهم به ، فاقسم ليهلكن حرثهم ونسلهم ، وليقطعن دابرهم أجمعين ! فاطلق الرياح الجنوبية الهوج ، وارسل السحب تتدجى كقطع من الليل البهيم ، واذن للارض فتشققت ينابيع وعيونا ، ثم انهمرت الامواه من فوقهم ، وتفجرت من تحت أرجلهم ، وطغى الموج يجرف الدور ويعفى الاثار . وفى أيام قلائل ، كان الطوفان يغمر وجه الارض ولم يكن ثمة الا بحر خضم عظيم

وهلك الناس جميعا ، وشفى زيوس موجدته عليهم ، ثم بدا له ان يعيد مياه الحياة الى مجاريها ، فأطلق الرياح

(*) لقد طغت أسماء الميثولوجية الرومانية على الميثولوجية اليونانية طغيانا كبيرا مع ان الثانية اصل للاولى ، وابوللو هو الاسم الرومانى للاله فوبوس اليونانى ، وكذلك كيوبيد هو ايروس بن أفروديت (فينوس) وقد اثرنا الاسماء الرومانية لشهرتها فحسب

من عقالها ، فهبت فى شدة وعنف ، واخذت ترشف ماء الطوفان ، تعاونهــا فى ذلك مركب ابوللو .. يوح (١) العظيمة . وبدات الارض تجف ، وشرع بساطها السندسى الجميل يبدو قليلا قليلا ، حتى ازدهرت المروج ، وأينعت الخمائل ، وسمق الدوح ، واهتزت الربى ، واخـذت السهول زخرفها . وبدا له مرة أخرى أن يخلق أناسى يعمرون الارض الجديدة ، فما كاد يفعــل حتى ظهرت حيوانات بحرية هائلة ، جعلت تزحف من الماء الى الارض ، فتهلك الخلق الجديد . وكان أشد هذه الحيوانات وطأة وأكثرها فتكا ، ذلك التنين البحرى الهائل ، الذى يصمد للعصبة القوية من الرجال فيفنيها عن آخرها ، حتى ضج الناس واستغاثوا ، وجاروا بالدعاء الى زيوس الرحيم ، فرق لهم وحدب عليهم ، وأرسل أعز أبنائه من زوجه لاتونا . أبوللو ، فأنقذهم من التنين (بيثون) بسهامه التى سددها اليه حتى أرداه

وانثنى ثملا بخمرة النصر ، مزهوا بما رفع الناس اليه من صلوات وابتهالات ، وبينما هو راق الى سماء الاولمب ، اذا أخوه كيوبيد بن أفروديت يصيد الظباء فى غيضة لفاء، ويلهو باجتناء الثمر ، ويمرح بين أفواف الزهر ، كالمستهتر الخالى . فأراد أبوللو أن يناوشه ، فقال له « كيوبيد يابن افروديت ! انت هنا تصيد الظباء الضعيفة ، وتريش سهامك الى اطلائها المفزوعة ، ولا تجسر على اقتنــاص الافعوانات البحرية المرعبة التى تفتك بعباد ابينا زيوس، ومع ذلك لاتفتأ تفاخر الآلهة بســهامك التى لا تطيش ، ورمياتك التى لا تخيب . كيوبيد الصغير ! يجمل بك ان تنزل لى عن قوسك المرنان ، وســهامك الذهبية ، أو أن

(١) الشمس

تحد من كبريائك ، وتأتى الى كل يوم أعلمك كيف تكون الرماية ، كيف ينبغى أن تسدد السهام ! »

وغيظ كيوبيد من هذا التقريع الذى لا مسوغ له ، وذاك التفاخر الاجوف الذى لا فائدة منه ، ولا طائل وراءه فعبس وبسر ، وتجهم وزمجر ، وقال فى عبارة ملتهبة ، وأسلوب مشبوب : أبوللو يا ابن لاتونا ! كان الاولى بك أن تذكر كيف عذبت حيرا فى سالف الايام امك وأذلتها ، فتفنى حياء ، وتتوارى خجلا ، ولا تملأ الهواء بمثل هذا الفخر الكاذب ! أبوللو ! انت تتيه بسهامك وتدل، وتدعى انك تقنص بها الافعوانات البحرية ، على حين اصيد الظباء ، وأقتل الاطلاء ، ألا فلتعلم أننى أمهر منك ألف مرة فى تسديد السهام ، واقوى فى توتير القوس ، وان كنت بعد حدثا صغيرا . على اننى انذرك ، أنت يا ابوللو يا ابن لاتونا سهامى التى سأجربها فيك قريبا !! »

فضحك أبوللو ملء شدقيه ، وقال : بخ بخ يا كيوبيد ابن افروديت ! ليس هكذا يخاطب سيد الشمس أبوللو ! ولكن يبدو لى انك متعب من طول ما أخذت نفسك به من الصيد فى هذه الفيضة ، وأحسبك قد أعياك ظبى نافر فأخرجك عن طورك ، خصوصا ، وافروديت تنتظرك لتعد الشواء !.. أنت ستجرب سهامك فى .. فى أنا ..! »

فقال كيوبيد : « فيك أنت .. فيك أنت يا أبوللو يا ابن لاتونا .. وسترى .. »

وامتلأت اسارير أبوللو بضحكة ساخرة ، وفصل مستهزئا ..

وشرع كيوبيد يدبر انتقامه ، ويرسم له الخطط التى ينال بها من أبوللو ، فلا يستطيع أن يفلت ، وكان يحمل كنانتين ، يحتفظ فى الاولى بسهامه الذهبية التى يصمى

بها القلوب فتملأ حبا وصبابة ، وفى الاخرى بســـهامه الرصاصيةالتى يصيب بها القلوب فيفعمها بغضا وكراهية .. ونثر كنانتيه وانتقى من كل واحدة سهما حاد الشباة مزدوج السنان ، ثم انطلق فى الادغال يفكر ويدبر ، ويمم شطر غدير قريب يطفىء منه غلته ، فرأى القينة الحسناء (دفنيه) متجردة من ثيابها ، جالسة كالقطاة على عدوة الجدول، تداعب الماء بقدميها الحبيبتين، وتظللها صفصافة ممتدة الفيء وارفة ، والاطيار من فوقها تغنى لها . فقال كيوبيد ، متحدثا الى نفسه : « فرصة نادرة لن أفلتها .. هذه (دفنيه) الجميلة تستنقع من القيظ ، وهى وسيمة قسيمة ، بارعة الحسن ، تامة المفاتن؛ لابد ان أسدد سهما رصاصيا الى قلبها الصغير فيمتلىء كراهية وبغضــاء .. ويحسن ألا أشعرها بوجودى حتى أصمى قلبهـــا ... فلأختبىء هنا .. »

وتوارى خلف دوحة كبيرة ، وثبت السهم الرصاصى فى مكانه من القوس ، ثم اطلقه فى قلب دفنيه ؛ وما كاد يفعل حتى انخلع قلب الفتاة من الذعر ، وأسلمت ساقيها للريح تعدو بين الايك، صارخة من ذلك الثلج الذى ذهب بحرارة فؤادها ..

وقصد كيوبيد الى حيث ابوللو ، وكان قريبا من دفنيه، فسدد الى قلبه السهم الذهبى فأصماه . وتلفت ابوللو ينظر ماذا اصابه ، وحدث أن كانت دفنيه منطلقة تعدو اذ ذاك ، فلمحها ، وسرعان ما جن بها جنونا . لقد مــلأه سهم كيوبيد حبا ، كما ملأ ســـهمه الرصاصى دفنيه بغضــا ...

لقد كانت دفنيه أول من وقع عليه نظر أبوللو بعد اذ ملأه سهم كيوبيد حبا ، فهام بها ، وشعر نحوها بهــوى ممض ، وبرح كانه برح آلاف من السنين ، وكذلك كان

أبوللو اول من وقع نظر دفنيه عليه بعد اذ أنعمها سـهم كيوبيد كراهية ، فأبغضته ، وشعرت بسم تنفثه عيناه فى قلبها حينما رأته

افلح كيوبيد اذن فى الفتك بأبوللو ، حين أوقعه فى أحبولة الهوى ، ورداه فى شرك الغرام ، بهذه الفتاة الكارهة المحنقة ، دفنيه ! افلح كيوبيد ، وتبع ابوللو يرى اليه يتذلل ويتضرع ... ويبكى كما يبكى الآدميون ... وهو سيد الشمس ، ورب الموسيقى ، وقانص الافعوانات كما دل على كيوبيد وافتخر !

انتصر كيوبيد اله الحب ، صاحب القوس الذهبية ، كيوبيد الطفل ، ذو الجناحين ، على أبوللو سيد الشمس ، صاحب القوس والوتر العرد !

ان الحرب لم تبدأ ، حين بدات ، بين ابوللو بن لاتونا ، وكيوبيد بن افروديت ، بل هى قد بدات بين البغضاء والحب ، والقلى ... والهوى !

انطلق ابوللو فى اثر دفنيه المذعورة يبكى ويتذلل ، ويحاول اللحاق بها ... ولكن هيهات ! لقد كانت تمعن فى الهرب ، كلما جد هو فى الطلب ، ولقد كانت تنظر اليه كأنه قاتل ابيها ... او خانق أمها !..

وصاح أبوللو ضارعا : « دفنيه أيتهـا العزيزة ، قفى ارجوك ! تمهلى اتوسل اليك ، الشوك يجرح قدميـك المعبودتين يا دفنيه ! اوه رويدك ياحبيبة ، لاتنطلقى هكذا فقد يؤذيك اندفاعك ، فيم أنت مذعورة هكذا ؟! فأنا أبوللو ... قفى ! .. »

ولكن دفنيه لا تجيب الا بنظرة القنص ، ولفتة الواجف المرتاش ، وتجد فى الهرب . فيقول ابوللو : « قفى يادفنيه! قفى ولك نصف ملكى : بل لك الشمس كلها اذا وقفت ، انا رب الموسيقى ساغنى واصدح لك ! سأطربك بقيثارتى

الذهبية بعد ان أغسل قدميك بدموعى فى كل ليلة (!) ؛ سأطير بك فى ارجاء السموات ! ستكون لك القصور فى جنة الاولمب ! سأمنحك الخلود يا دفنيه ! أحبك ! أستحلفك بزيوس الا ما وقفت ! مالك هيمانة على وجهك هكذا ؟ هل اخيفك ؟ هل ازعجك الى هذا الحد ؟... ويلاه ! »

ولا تبالى دفنيه ، بل تعدو وتعدو ...

ويضيق أبوللو بغصته ذرعا ، فيلجأ الى جبروت الآلهة ، ويبدى سلطان السماء ! ويصيح صيحة هائلة ، فيكون سد منيع فى طريق دفنيه !..

فيقول أبوللو وقلبه يضطرب من طول الاعياء : « فيم تهربين منى يادفنيه ! ألم تعبدينى مرة وتقدمى الضحايا بأسمى الى كهنة الهيكل ؟ هأنذا ابوللو المعبود ، أرجوك وأتوسل اليك ! أنا الذى أعبدك يادفنيه ! ماذا تريدين بعد هذا ؟ لقد بلغت من ابوللو منزلة لم تبلغها ربة من قبل ! لقد فضلتك على كليمين ، زوجتى المعبودة ، واجمل عرائس البحر ، وأم طفلى المحبوب فيتون ! فيتون أسرع الآلهة بعد اخى هرمز ، سآمره يكون خادما لك ! انه يقتنى أغلى المركبات ، ولديه من الصافنات الجياد اغلاها ، ستركبين معه فتطوفين العالم فى ساعتين ، وترين ما بين الشرق والغرب فى لحظتين ، لو رضيت ! دفنيه ! أرجوك يا دفنيه ! اننى أبدا ما بكيت بمثل ما ابكى لك ، واذرف الدمع بين يديك ! حنانيك يادفنيه فقد سحقت قلبى بكبريائك ، وأذللت نفسى بخيلائك ! »

وكان فعل السهم الرصاصى فى قلب دفنيه قد خف ، ووقفت الغادة حائرة مترددة مما تسمع ، وكانت عيناها ترتين بعبرات حبيسة . ولكن كيوبيد ، المختبىء فى عساليج الكروم القريبة كان يرى ويسمع ، فلما شاهد من ضعف دفنيه وقرب تسليمها ، تناول قوسه ، وانتقى

سهماً مسنوناً من كنانة الاسهم الرصاصية وسدده الى قلبها ، فصرخت المسكينة صرخة مدوية ، وهبت فى وجه أبوللو تقول : « اليك عنى أيها المسخ ! تنح ! ابغضك ! أكرهك ! أغرب عنى ، أنت أنجس من التيتان (١) وألأم من شارون(٢) ، اذهب ! لا اطيقك ، انظر الى هذا الغدير لترى الشرر ينقدح من مقلتيك ، والدخان يصاعد من منخريك ! كريه .. شائه أنت ايها الوحش .. »

وكذلك كان فعل السهم الذهبى قد شارف أن يبطل فى قلب ابوللو .. وكاد الاله العظيم يخلص من هذا السحر العجيب ، فيسحق دفنيه ، لولا أن تنبه كيوبيد ، فأصماه بسهم ذهبى آخر ، فجن جنونه ، وتجدد حبه ، وتألب به هواه .. فصرخ صرخة راجفة ، وأشار الى السد فزال عن طريق دفنيه ، فانطلقت تعدو .. وتعدو .. وانطلق هو فى اثرها يتوسل .. ويذرف أغلى العبرات ! ..

لقد كانت دفنيه تطوى الطريق كأنها فكرة شاردة فى رأس شاعر ، ولقد كان ابوللو يقتص آثارها كأنه الكوكب السيار منجذبا الى نجم كبير ! وكان كلما سرق اللمحة من ساقيها الجميلتين التهب قلبه بحبها ، واشتعلت نفسه بالرغبة الملحة فيها ، وانجذبت روحه اليها .. يالكيوبيد ! ويالسهامه .. الذهبية .. والرصاصية ، على حد سواء !

وتعدو دفنيه حتى تكون عند حفافى النهر العظيم الذى اقام زيوس والدها الكبير الها عليه ، فتصرخ قائلة : انقذنى يا ابى ! خلصنى من هذا الوحش الذى يدعى انه

---

(١) التيتان هم ابناء وبنات زيوس من المردة وقتلة ابنه زجريوس وأبغض الابالسة الى الالهة

(٢) شارون هو حارس الجحيم

أبوللو الكريم ! انه يعدو من ورائى .. خلصنى منه .. انى أبغضه . يا أبى .. يا أبى .. »

وينشطر الماء ، ويخرج أبوها ، اله النهر ، فيرى ابوللو مقبلا ، فيعرفه ، ولكنه يرق لابنته ويقسم ليخلصنها من سيد الشمس ، فيغرس قدميها فى الشاطىء ، ويحتفن من الماء بيديه ، وينثرها به ، بعد أن يتلو عليه من تعاويذه ويقف ابوللو مشدوها ، موزع اللب ، ينظر ويرى !

لقد تحولت دفنيه ، فى لمحات ، الى شجرة باسقةمن أشجار الغار ، واخذت الخضرة تينع فى أغصانها ، بين حيرة أبوللو وشدة تعجبه !

ووقف الاله العظيم يبكى ، ويا ويح للعاشق المخبول !

ثم تقدم فبارك الشجرة ، وسقاها من دمعه ، الذى كان من خلائقه الكبر ! وانصرف محطم النفس ، معمود القلب ، كاسف البال .. ولقيه كيوبيد ، فسأله الخبيث : « أين سهامك التى أرديت بها الافعوانات يا أبوللو بن لاتونا ؟ » فقال : « كيوبيد ! اشفنى مما الم بى ! » فقال كيوبيد : « بهذا السهم الرصاصى أشفيك ! »

وتلقى ابوللو السهم فى قلبه عن طواعية فبرىء مما به ، ولم يعاد كيوبيد بن أفروديت بعدها !

يو
أو
« منشأ إيزيس »



كان لأحد أرباب الانهار التى تنحدر من شواهق الاولمب ابنة بارعة الجمال فتانة ، حاوة كأنها قبلة على فم حبيب، رقيقة كأنها زنبقة على غصن رطيب

وكانت تخطر كما تخطر نسمة معطرة افلتت من الجنة لتملأ القلوب حبا ، ولتشيع فى الحب سعادة ، ولترف فى قيظ الحياة فتروح على المكدودين المحزونين

وكانت هذه الفتاة (يو) ، مفتتنة بجمال الطبيعة ، مشغوفة بسحرها الاخاذ ، تود لو تستطيع فتعيش ملء السهل والجبل ، او تقدر فتنسجم والحياة الدائبة فى الغابة ، أو تكون روحا شفافا يرف فى زرقة السماء ، ويمتزج بالظلال والافياء

ولم تكن عاشقة ، ولكنها كانت حين تجلس على الصخرة المشرفة على البحر تعبد القمر فى هدأة من الليل ، يهيج حب الطبيعة فى نفسها ، فتبكى ، وتبكى ، ولا يقطع عليها بكاءها الا خرير الغدران المترقرقة التى تتسرب فى الادغال.

وكانت عبادة الطبيعة تقطعها عن اترابها من عرائس الماء ، وصاحباتها من بنات الغاب ، فكن اذا تفقدنها ، توزعن فى مهاوى الجبل ، وتفرقن فى منبسط السفح ، وتناذين بها

ههنا وهنا ، حتى يجدنها آخر الامر مستغرقة بين يدى قمرها المعبود ، تناجي البحر المصطخب ، وتكلم النجم المضطرب

ونزل زيوس يوما من ذروة الاولمب التى هى أول مراقى السماء ، يرتاد جنات الارض فى مملكة جدته (جى) ، وما كاد يوغل فى احدى جنبات الجبل حتى لقى يو ، تلك الفتاة الاولمبية الساحرة ، واقفة على الصخرة تستمتع بجمال الشروق فى صبيحة من أوليات الربيع .. وكانت السماء لا تزال موشاة بسحائب خفيفة من بقايا الشتاء ، وآراد(١) ذكاء تنتشر خللها فتفضض اذيالها ، وتذهب أوساطها ، وتكسب الافق رونقا زاهيا خلابا

وسحر زيوس ، وهو كبير الآلهة ، بجمال العروس التى هى من خلقه ، وابنة أحد أتباعه ، وأحس بعطف يغمر قلبه العظيم من أجلها ، وشعر كأنه ظمىء الى هذا الجمال الفتان المشرق ، الذى كسف فى عينه جمال زوجاته جميعا ، وفيهن حيرا وديون ولاتونا (٢)

ووقف الاله المشدوه يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وسمر مكانه ، وهو سيد الآلهة ، يعبد عبدته الصغيرة التى أبدعتها يداه .. وهو لا يدرى !

وعول على اغتنام الفرصة ، واقسم ليملأن وطابه استمتاعا لا يضيره الا يكون بريئا ، ولذاذة ليس به ان تكون نقية خالصة .. « انا سيد أرباب الاولمب ، وكل ما بين لابتيك أيتها الارض فهو لى ، وقد اشتهيت هذه الجميلة الخبيثة فمن الذى يجرؤ ان يحجزها عنى أو يمنعها

---

(١) اشعة الشمس

(٢) حيرا أولى زوجات زيوس وديون هى أم افروديت (فينوس) ولاتونا هى أم أبوللو وديانا (فوبوس وارتميس) ولزيوس ازواج اخرى

منى !.. ؟ »

ثم بدا له الا يزعجها بالظهور لها فى سيماه الحقيقية فينخلع قلبها وتطير نفسها ، لانها ستكون منه تلقاء اله ، فتحول فى لمحة الى فتى يافع ينهل الشباب فى برديه ، ويترقرق الصبى فى اعطافه ، وتشع عيناه صبوة وفتونا ؛ وتقدم اليها فحياها تحية كلها صفاء وكلها دعة ؛ فحيت بأحسن منها ، ولقيته أرضى لقاء ..

وجلس يحدثها وتحدثه ، وكان الاله المحتال يمزج احاديثه بالسحر ، ويزخرف صوته بالموسيقى ، ويعسل ابتساماته بالمحبة ؛ ويطلق فى نظراته كل ما وسعه من شياطين الهوى ، وكان ماينفك يقترب منها ويقترب ؛ حتى لامس ذراعه ذراعها ، فأخذ يدها الصغيرة البضة بين كفيه الحارتين ، وطفق يضغط قليلا قليلا ...

وصمتا هينهة .. ثم فرغ طوز اللسان ، وبدأت نوبة العين واخذا فى رشفات وقبل ..

وعاد أدراجه الى الاولمب ، ولما يزر من أطراف الارض غير هذه الناحية الحبيبة التى سعد فيها لحظة بيو ، وظل منذ ذلك اليوم يتردد اليها فيلقاها على أنها كأسه الروية التى تبترد بها غلته ، وتلقاه على أنه حبيب أسعدتها فينوس به ، وما درت قط أنه كبير الآلهة ورب الأرباب..

وكان يتحرق الى لقائها ، وكانت تتسلى عنه بقمرها الفضى ، فاذا سعدت منه بزورة ، اندغمت عبادتها للطبيعة فى عبادتها له ، وأذهلتها نشوة الحب عن الدنيا وما فيها !

وأحست حيرا (١) ببعض ما يشغله ، ولحظت انه صادف عنها ، فأيقنت أن لابد من أمر ، وأن فى الامر أنثى ،وان فى الانثى صبابة وغراما ، فبثت العيون ورصدت الرقباء ، حتى وقفت من شانه على كل شيء !

---

(١) حيرا : ربة الاولمب وزوجة زيوس الاولى

ولشد ما دارت الدنيا بحيرا.. لقد ودت أن تقلب جبلاً على رأس يو! وأقسمت أن تبغتهما إذ يتراشفان كؤوس الهوى دهاقاً، لكيلا يكون لبعلها على خيانته حجة، ولكيلا يكون له من بعدها برهان.

وذر قرن الشمس في صبيحة ضاحكة، فذهب زيوس يشفي ما في قلبه من برح عند يو، وكانت حيرا قد أوهمته أنها ستقضي سحابة يومها هذا عند واحدة بعينها من صديقاتها، وزاد ذلك في ابتهاج الإله، وضاعف انشراحه، واعتزم أن يستمتع طيلة يومه هو الآخر لدى يو.

وانه لفي لهو النشوة وابان السكرة، وعنفوان المرح، إذ به يلمح حيرا مقبلة!

وكانت لا تزال في أول الأفق، فأيقن أنها مكيدة دبرتها لتفجأه مع يو، وانها قد كشفت من سره ما بالغ في كتمانه. فتناول اذن صاحبته فنفث فيها نفثة سحرتها في أقل من لمحة بقرة بيضاء ناعمة، ثم شرع يلاطفها ويمسح عنقها..

ووصلت حيرا، ولم تنطل عليها حيلة الإله، وما شكّت قط في أن البقرة الواقفة تبحث بأنفها في الحشيش الأخضر كأنها تنشد الكلأ، إن هي إلا يو..! عدوتها اللدود!

فبسمت لزوجها بسمة كلها دل وكلها فتون، وسألته، وهو يحاول منها قبلة، أن يمنحها هذه البقرة الخصبة التي لم أر في حياتي أرشق منها ولا أجمل.. لقد أحببتها، وهي من غير ريب، حين تكبر ستعطينا أجود اللبن وأسلمه، وسيكون

(*) حيرا: ربة الأولمب وزوجة زيوس الأولى.

لبنها خير غذاء لولدينا الحبيبين ايرس وهيفيستوس ولطفلتنا الجميلة هيب(*).

وارتبك زيوس، ولـم يـر بدأً من إجابة زوجته إلى ما تريد.

ومضت حيزا بالبقرة فرصدت لها أحد أتباعها الأقوياء: آرجس الهائل، ذا مائة العين التي لا تنام! ناطته بها، وأمرته ألا يغفل عنها.. «والا فالويل يا آرجس إذا هربت منك، أو احتال أحد عليك فألهاك عنها... إذن يحل عليك غضبي، وأسحقك سحقاً..»

وظل الحارس الساهر يرعى يو، ويرقب كل حركة من حركاتها، حتى فزعت المسكينة من سوء منقلبها، وصبت اللعنات على هذا الحبيب الشيطان الذي ردها بعد جمالها إلى هذا الخلق الشائه، وصيرها إلى ذاك المصير المؤلم. لقد كانت تتحين الفرصة لتستطيع أن تفلت من رقابته الثقيلة، ولكن كيف؟ إن الخبيث كان إذا أضناه السهد وأعياه السهر، ينام بخمسين عيناً، ويقدح الشرر بخمسين أخرى!! فإذا استيقظت هذه نامت تلك، وهكذا دواليك حتى تشرق الشمس فتصحو المائة كلها! وكانت تقابل صواحبها عرائس البحر كلما مررن بها، فتود لو تستطيع مخاطبة إحداهن، ولكن... هيهات! لقد كانت.. مو.. مو.. تنطلق من فمها الكبير مالئة أشداقها، فتنزعج صواحبها أيما انزعاج!

ومضت أيام.. وأيام..

ثم لقيت أباها مرة، فنظرت إليه وهو ينكرها، ونظرت ولكنه لم يستطع أن يفسر نظراتها، فذرفت أحر الدموع وأدمى العبرات! وحاولت أن تلفته إلى أنها ابنته، فلم يأبه لها!

وبدا لها أن تخط على ثرى الشاطىء حكايتها، وما كادت تفعل حتى فطن أبوها لما تريد، فلما قرأ ما رقشته في أديم الرمل، أجهش المسكين وسكب دموع الحنان، ثم عانقها عناقاً طويلاً! ولكنه اسقط في يديه، إذ ماذا يستطيع رب نهر صغير أن يصنع في سحر الإله الأكبر؟!

(*) ايرس هو مارس الروماني إله الحرب، وهيفيستوس هو فلكان الروماني إله النار، وهيب هي ربة الشباب وندمانة الشراب، وحاملة الكؤوس فوق الأولمب.

يستطيع رب نهر صغير أن يصنع فى سحر الاله الاكبر ؟!

ولما شهد آرجس ما كان من بكاء البقرة ثم بكاء رب النهر وعناقه اياها ،تاثر تأثرا باديا . ولو لم يفقه من كل ما كان شيئا . ثم ذكر وعيد حيرا ، فانطلق بالمسكينة الى مكان سحيق ، وثمة ، تخير يفاعا عاليا أقام عليـــه ليشرف منه على كل شيء ، فلا يخشى على بقرته رهقا ، ولا تستطيع هى مهربا

وذكر زيوس فتاته المسكينة التى كان حبه اياها سبب تعسها وشقائها ، وذكر تلك الاويقات الحلوة التى يسرت له فيها أصفى لحظات السعادة التى لم يتيسر له مثلها فى مملكة الاولمب على ما جمعت من صنوف الرفاهـــة والنعيم ، فثارت فى قلبه عوامل الرحمة ، وتحركت فى صميمة تلك الشفقة الالهية التى اتصف بها فى قديم الآباد ..

وفكر وفكر ... ثم استدعى من فوره ابنه من زوجته مايا ، البطل الطيار المشهور ، هرمز ، وأمره بالتوجه الى حيث آرجس فيحتال عليه ويقتله ..

ومرق هرمز كالسهم الى حيث الاكمة التى جلس فوقها آرجس فألفاه يحرس البقرة حراسةشديدة منكرة ، وكانت القمراء تغمر السهل والغاب والجبل ، وكان البدر يتنقل فى دارات السماء ، والرياح تهب سجسجا والبلابل تغرد فوق أغصان التفاح تطرب وتشجى ؛ وكان سنة من النوم خفيفة رقصت فى خمسين من عيون آرجس فأطبقت قليلا، ولكن ما برحت الخمسون الاخرى تنافس الثريا ببريقها ، وكانت البقرة ملقاة على الثرى المندى من الاعياء ، فلمـا شهدت هرمز لم تحفل به

ولكن ما هذه الموسيقى الحنون !

ومن العازف فى هدأة الليل !

وما للنجوم تضطرب هكذا من الطرب ؟

آه ·· لقد تحول هرمز الصناع الى شاب ذى قوة وذى فتوة وذى جمال ، وبدا فى شكل راع من رعاة الضأن ، وجلس القرفصاء على صخرة مقابلة لآرجس ، ثم انبرى يعزف على يراعه المثقب الذى اتخذه من قصب البـــرية الفسيحة التى أقبل منها ، وانبطحت فى السفح شاؤه ونعمه (١) تغط فى شبه نوم عميق ··

واستيقظت الخمسون الاخرى من عيون آرجس ، ودب النشاط فى هيكله الضخم لما سمع من حسن التوقيع وروعة اللحن ، فانتفض انتفاضة كان بها عند هرمز ـ الراعى الفتى ـ فسلم عليه وصافحه · وجلس بين يديه كالعنز يسمع ويطرب وينتشى ، ثم أخذ معه فى حديث طويل عن موسيقاه العذبة وألحانه الرقيقة ، ثم استطرد فسأله عن نايه ، مم صنعه ، أو من ذا الذى وهبه ؟···

فقال هرمز : « فى احدى الغابات ذات الايك البالغ عنان السماء ، والدوح المنتشر فى الارجاء ، كانت تعيش سيرينكس عروس الماء المرحة ، ذات السيقان الناعمة ، والجسم الابيض الخصب الجميل · وكانت تهوى الرياضة وتقبل عليهـــا ، وتؤثر منها الجرى والوثب والقفز ، والتعلق بأطراف الشجر ، ثم السباحة · وكانت تجرى فتسبق الريح ، وتعدو فيتعثر الظليم (٢) فى آثارها ، ولا تدرك الصافنات (٣) غبارها · وطالما طلبت اليها آلهة الغاب مسابقتها ، فكانت تأذن لهم فيجرون قبلهـــا مرحلة ، ثم تنطلق فتلحق بهم ، وتسبقهم بمراحل ! ··

وتثاءب هرمز الخبيث وقال : « ومن طريف ما حدث لها ، ان بان العظيم ، رب الرعاة واله المروج وسيد الغاب،

(١) الشاء جمع شاه ، والنعم يطلق على الابل
(٢) ذكر النعام (٣) الخيل

ومعبود الناس فى أركاديا ، لمحها يوما تعدو كأنهـــــا زوبعة ، فتبعها ، ولكنها شأته (١) وأجهدته ! مع ما هو معروف عنه من السبق والتفوق فى الجرى ، وحاول أن يلحق بها ، فضاعف سرعته وأطال خطواته ٠٠ ولـــكن هيهات ! ٠٠٠ والتفتت ســـيرينكس فرأته يطوى أديم الارض من خلفها ٠ ففزعت أيما فزع وهالها منظره الشائه الغريب ، فسيقانه العنزية الاربع ، وأذناه البهيميـــة الشاخصة ، وجسمه المفتول ذو العضل ، ووجهه الواسع العريض .. كل ذلك بعث فى قلبها الذعر ، وهاج فى نفسها الرعب ، حتى كادت تذهب شعاعا »

وتثاءب هرمز ثانية وثالثة ، ثم قال : « واعترضها نهر عظيم فصرخت عرائس الماء تستغيث بهن ، وتطلب اليهن النجدة ، فما أذهل بان عن نفسه الا أن رأى طائفة من هذه العرائس تبرز من الماء فجأة فتجذب سيرينكس حتى تغيبنها فى اليم ، ثم ما اذهله ايضا الا ان تنمو قصبات رقيقة ، ذوات أرياش صفيقة ، فى الموقع من الماء الـــذى غيبت فيه سيرينكس !

ووقف بان مشدوه اللب ، ذاهل الفكر ، يحملق فى النهر الذى طوى منية القلب ، وهوية النفس ، ثم انثنى فنزع القصبات النامية ، وراح يصنع منها نايا حلو النغم رقيق اللحن ، حنون الجرس

ولقيته مرة فى روضة مونقة ، منضورة منســـقة ، وكان بان يجلس على رابية بها معشوشبة ، عازفا على يراعه، فطربت لموسيقاه طربا شديدا ، ودلفت اليه ، فرجوته ان يهب الناى لى،فتبسم قائلا : « اليك يابنى اكرم القنى(٢) وأعز الزكريات .. »

---

(١) شأته : سبقته

(٢) جمع قنية مايقتنيه الانسان

وشهدت عبرات تنطلق من مقلتيه ، حاول ان يخفيها عنى ٠٠

وكان هرمز وهو يلقى هذه الاقصوصة التى اخترعها اختراعا ، يحاول أن يمطها مطا ، ويزيد فى ثناياها حواشى مملة ؛ ويزخرفها بتعليقات لا غناء فيها ، وكان يتثاءب ويتثاءب ، وكانت الكلمات تساقط من فمه كأنها مشدودة بسلسلة من حديد ، حتى تثاءب آرجس هو الاخر ، وغلبه نعاس شديد أغلق عيونه كلها ٠ وابتهج هرمز الخبيث لذلك ، وجعل يروح على وجه آرجس ، حتى انطلق الشخير من أنفه الكبير يجاوب أصداء الضفادع

وهنا ٠٠ امتشق هرمز جرازه المرهف وأهوى به على عنقه الطويل ، فانفصل الرأس عن البدن ، وغادرهما معفرين بالتراب ، وعاد ادراجه الى الاولمب يحمل الى والده نبأ المعركة ٠٠٠

وحزنت حيرا على خادمها أمض الحزن واشده وذهبت بنفسها فحملت رأسه الى مخدعها فى قصر الاولمب الكبير، وطفقت تسمل العيون عينا عينا وتركبها فى ريش طاووسها (١) الجميل لتظل الى الابد رمز حبها له ووفائها لذكراه ٠٠ ثم آلت لتسلطن على يو - البقرة المسكينة - ذبابة صفراء من ذباب الابالسة تقرصها وتجعل من حياتها نكالا ، حتى ضجت المخلوقة التعسة ورفعت أكف الضراعة تستمطر الرحمة من زيوس ٠٠٠ كبير الآلهة ورب الارباب : « يا الهى العظيم الرحيم ! يا أبا الالهة ، وابن الالهة ! أتوسل اليك بأبنائك الكرام الرحماء ! أدركنى يا أبا زجريوس ! اغفرلى زلتى حين أحببت هذا الفتى الجميل وأحبنى ! ان كنت قد صنعت بى ما صنعت

(١) كان الاغريق يرمزون لحيرا بالطاووس والكوكو وكانوا يحبونها حبا جما لانها آثرتهم بعطفها وضحت فى سبيلهم بحب زوجها وثقته فيها - واسمها اليوناني هو جونو

انتقاما ، فحسبك ما حل بى من عذاب الهون ، إن أزل يا الهى اذا غفرت لى ورفعت عنى وزر غضبك ! اقبل يارب الاولمب صلاتى واجعلها شفيعى اليك ! أنا ·· يو المسكينة ··· كنت أعبد ابنتك أرتميس ربة القمر ، فكنت أنزوى عن العالم ، وألبث وحدى بين يدى قمرى الحبيب ، أصلى لك ولابنتك المعبودة ، فى هدأة الليل ، وسكون السحر ؛ فما هو الا ان قطع على هذا الفتى صلاتى وهو من خلقك ؛ وجماله الفتان آية من آياتك ، فلاذا سحرنى وأذهلنى عن عبادتى ، فانى أستأهل كل هذا الذى أنا فيه ! يا الهى اغفر لى ، فقد وسع غفرانك كل شىء »

ويستجيب الاله لهذه الصلاة الحارة الخالصة ، فينطلق الى حيرا ، حيث يجدها مكبة على رأس آرجس تسمل عيونه ، فيواسيها ويسليها ، ثم يرجوها أن ترحم يو ، وأن تخفف عنها العذاب ، وهو لقاء هذا يعطيها كل المواثيق ألا يصل أسبابه بأسبابها مرة أخرى · فترق حيرا ، وتتفجر الرحمة لاول عهدها بها، فى قلبها ،وترسل من يرفع الذبابة عن البقرة ، وتأذن لزيوس فيعيدها الى صورتها الاولى · الصورة القديمة المحبوبة · ! ولكنها تشترط عليه أن يرسل من يذهب بها الى أقصى أطراف الارض ، حتى تطمئن عليه وعلى قلبه المتصابى من حبها

ويأمر زيوس بعض أتباعه فيحتمل يو الى ··· ضفاف النيل ! وتخرج من الصحراء على المصريين ، فتبهرهم بجمالها الرائع ، وحسنها الوضاء ، ومفاتنها البارعة ، ثم يجتمعون على عبادتها ، ويقيمونها مليكة عليهم ، ويسمونها : « ايزيس »

وتمر الايام ···

فيتزوجها كبير آلهة مصر ، أوزوريس ، وتلد له ابنه حوريس !



برسيوس وأندروميدا والجرجون الثلاثة

في احدى مدن الشاطىء الاغريقي ، كانت تعيش اميرة جميلة تدعى « داناى » ، هى وابنها الجميل برسيوس ، الذى كتب عليه ان يحرم صدر والده الحنون ، ذلك الوالد الذى طوحت به اسفاره ، فشط مزاره ؛ ولم يعرف أحد أين انتهى قراره

ولقد كان هذا الوالد — فيما يظهر — على جانب عظيم من البأس وقوة الجانب ، حتى لقد فرح أهل المدينة لبعده فرحا شديدا ، ولخوفهم من ان ينشأ طفله برسيوس على وتيرته ، تآمروا فيما بينهم على نفيه هو وأمه من جزيرتهم فى زورق صغير يدفعون به الى اليم ، والامواج المتلاطمة كفيلة ، ثمة ، باجراء حكمها فيهما

ياللوحوش ! لقد انفذ الاشقياء تدبيرهم ، وتناوحت الامواج حول الزورق تقذف به ها هنا وها هنا ، والأم المسكينة تغالب احزانها وتنسى مخاوفها ، فتغنى لطفلها الراقد فى حضنها ، وتدلله ، كى ينام ؛ وكى يكون بنجوة من هذا البحر المصطخب

وبعد ان كان الموت المحقق قاب قوسين من هاتين الفريستين ، وبعد ان كانت كل موجة تشق للزورق قبرا

فى اعماق الماء ، شاءت العناية ان تسخر موجة هائلة تدفع به ، فى هوادة ورفق الى ساحل جزيرة نائية فى وسط المحيط . وهناك ، نزلت الام الموهونة متهالكة على نفسها، حاملة وديعتها البريئة ، شاكية الى الآلهة صنع الانسان بالانسان . ولمحت فى الافق قرية متطامنة ، فيممت شطرها، ومافتئت تتعثر فى خطاها حتى بلغتها. والشمس تتوارى بالحجاب

ورحب الناس بالضيفين البائسين ، لان دينهم كان يأمر بايواء أبناء السبيل ، واكرام الغرباء واللاجئين ؛ فعاشا ناعمين ، وشب برسيوس سليما من الافات ، مكتنز العضلات ، بادى الفتوة ، موفور القوة ، عذب اللسان ، مشبوب الجنان ، واحبه الناس واعجبوا به ، والتف الجميع حوله يصغون الى احاديثه العذاب ، وقصصه الرطاب .. وتسامع الكل به ، وترامت الى ملك الجزيرة اخباره ، فشغله انصراف الناس اليه ، وافتتانهم به ، وكان (قاتله الله) ، غيورا رعديدا ، فآلى ان يكيد له ويدبر حيلة يقصيه بها عن طريقه ليطمئن على نفسه .. وعرشه !

وكان فى احدى الجزائر النائية ثلاثة من الجرجون الضارية ، وهى من افزع ما جاء فى اساطير اليونان ، وكل من هذه الجرجونتين هائل له راس امرأة ، ويدان من النحاس الاصفر ، ذوتا اظافر حادة ، تنفذ فى اقسى المعادن واصلبها ، وليس لها شعر فى رؤوسها كما للنساء، بل لها ، عوضا عن الشعر ، حيات وافاع ذوات رؤوس تنفث السم الزعاف . وقد اوتيت قوة خارقة ، حتى لتستطيع احداها ان تقصم جذع النخلة بضربة ضعيفة من ذنبها الجبار ، وليست هذه الجرجون مخيفة بسمها، وقوة بنيتها فحسب ، بل الادهى والامر ، هو هذا السر الدفين فى عيونها ، اذ كل من جرؤ على النظر الى هذه العيون ، يتحول فى الحال الى صنم من الحجارة ، لايتحرك،

ولا يعي !

وكانت الجوجونة (مديوسا) افظع انواع الجرجون جميعا ، ولذا كانت اختاها الاخريان تحترمانها ، وتسهران على راحتها

ولكن ماذا اعتزم الملك الجبار من كل ذلك ؟ لقد دبر ان يغرى برسيوس بالذهاب الى جزيرة الجرجون لقتل (مديوسا) والاياب برأسها كأحسن هدية تقدم الى ملك. وكان هذا الرجل الخبيث يعلم تمام العلم ان مجرد محاولة الذهاب الى جزيرة الجرجون هو ضرب من الجنون لايقدم عليه الا المأفونون ، فان نظرة واحدة من عيني مديوسا كفيلة بوضع حد لكل شيء ..

وارسل الملك الى برسيوس فمثل بين يديه ؛ وطفق يكيل له المدح جزافا ، ويبالغ فى الثناء على ما ترامى اليه من اخباره وضروب شجاعته التى يتحدث بها الجميع

وامتلأ برسيوس ، الفتى ، زهوا ، وشاعت فى أعطافه الكبرياء ، وراح هو بدوره يشكر للملك حلو ثنائه ، وجميل اطرائه ، فما ان ادرك الملك ما بلغ ثناؤه من قلب برسيوس الغرير ، ونفسه الصغيرة ، حتى أخبره بما انتدبه له ، فقبل الفتى المسكين وهو لا يدرى ما هى هذه الجرجون ولا اين جزيرة الجرجون ؟

وانطلق من فوره ، وارسل الملك من حاشيته من ابلغوه خارج الاسوار فى مهرجان فخم ، وموكب انيق . ثم غربت الشمس فغلقت الابواب ثم جلس برسيوس على صخرة عظيمة مشرفة على البحر يفكر فى هذه الجرجون ، وينظر الى القمر يشرق من الاثباج ، فيفضض الموج ، ويحور به البحر رجرجا من لجين ! ويذكر فجأة انه لم يودع أمه ، ولم يتزود منها قبلة او دعاء لهذا السفر الطويل . فيبكى .. ويبكى بكاء مرا !

وتصدع قلبه حينما خيل اليه أنه قد لا يعـود اليهـا مع أنه غزاؤها الوحيد فى هذه الحياة !

وانتصف الليل ..

وفيما هو غارق فى لجة الفكر ، شرق بواكف الدمع ، اذا بصوت رفيق يناديه من فوق الصخرة المقابلة : « برسيوس ايها العزيز ! فيم بكاؤك ؟ ولم تذرف كل هذه الدموع ؟ لقد هجت الآلهة ، واحزنت أرباب الأولمب ! » . ونظـر برسيوس ليرى من صاحب هذا الصوت الرخيم الـذى يناديه ، فعجب عجبا شديدا ! لقد رأى مخلوقا جميـلا مشرق الجبين ، يترقرق البشر فى وجهه ، لا يعقل أن يكون بشرا ! يلبس فوق هامته قلنسوة ذات أرياش واجنحة ، وفى قدميه نعلان غريبتان يتصل بكل منهما جناح البازى ، وفى يده عصا سحرية تتلوى بطـرفها الاعلى ثعـابين وحيات !!

على أن برسيوس لم يعلم أن الذى يتحدث اليه ، ان هو الا الاله هرمز (١) رســول الآلهة بين الســموات والارض ، الذى لايفوقه فى سرعته أحد

وبعد ، فلقد قص برسيوس قصته على هرمز ، وما فرغ منها ، حتى قال الاله له : « بنى ! انك مقدم على أمر جلل ، وشأن بعيد المدى ، صعب المنال . ولقد أراد الملك اهلاكك حين اختارك لهذه المهمة ، لان احدا لا يجسر على الـذهاب الى جزيرة الجرجون الا اذا كان احمق أو مجنونا ، ولكن اصغ الى ! انك لابد فائز اذا عملت بوصاياى ، ولم تحـد عما أشير عليك به . وسأذهب عنك لحظة ، ثم أعود اليك بآلاء من الآلهة ، تقرب لك النجح ، وتسهل عليك كل شاق

(١) هرمز هو الذى يسميه الرومان ميركيورى والعرب عطارد ، وهو قائد أرواح الموتى بين الدنيا والاخرة

من أمرك .. فانتظر » . ورقى هرمز ثم غاب فى السماء، وبهت برسيوس حين رآه يطوى الأديم الفضى ، ويطـــرق أبواب أورانوس (١) !

وقص هرمز قصة صاحبه على الآلهة ، فرثت لفتى المسكين وتحركت فى قلوبها الرحمة العــلوية ، التى طالما تنهمر من السماء ، لتغسل آلام الارض : وتعاهدت أن تؤازر برسيوس ، وتمده بكل ما يسهل عليه أشق أمره . فنزل بلوتو ، اله الموتى عن قلنسوته التى تخفى من يلبسها فلا يراه أحد ، وتبرعت مينرفا (٢) بترسها الذى يحمى لابســـه من حراب الأعداء ؛ وهو ترس ثمين من الذهب الخالص ، يلمع لمعانا شديدا ، حتى ليعكس المرئيات فى صفحته ، كأنه السجنجل



وحمل هرمز المنحتين ، وعاد بهما الى حيث يجــلس برسيوس فقدمهما اليه ، وزوده بجرازه المتلوى القاطع ، الذى ليس كمثله ســيف ولا حســـام . ومنحه نعليه المجنحتين ، اللتين تسبقان به الريح ، فلبسهما ثم قال له : « تلك يا برسيوس هدايا الآلهة أسبغها عليك . بيد أنه ينبغى قبل كل شيء ان تذهب معى الى هذه الجــزيرة القريبة حيث تقيم ثلاث اناث من السيكلوب ذوات العــين الواحدة ، فتحتال عليهن حتى تعرف منهن موضع جزيرة الجرجون ، لان أحدا من العالمين لايدرى أين موضعهــا بالضبط غير هؤلاء السيكلوب . سر اذن على بركة الآلهة فى اثرى ، واحترس لنفسك ، والسماء تكلؤك »

وكم عجب برسيوس حين رآه يطـــير فى اثر هرمز ،

(١) السماء

(٢) اسمها بالا أثينا فى الميثولوجية اليونانية وقد آثرنا هذه التســمية الرومانية لذيوعها

والبحر من تحتهما يتـــلاطم ، ويعج عجاجه ، وهما من فوقه كالعصافير المهاجرة ، وحطا فى الجزيرة المنشودة بعد أن دوما فوقه طويلا . وكان ذلك بالقرب من كهف حالك فى منحدر صخرة صعبة المرتقى · وقد لمح فيه برســيوس السيكلوب الثلاث ، بفضل ترس مينرفا الذى كان يعكس فى صفحته كل ما فى الجزيرة

انها مخلوقات غريبة حقا ، ليس كمثلها شيء فى الافاق، شاذة فى خلقها ، عجيبة فى تنسيق جسمها ، وهى اناث على كل حال يعشن فى هذه الجزيرة المعشوشبة ،بعيدات عن العالم ، منزويات فى هذا الركن السحيق من أركان الدنيا · وأغرب ما فى أجسامهن من شذوذ أن ليس لهن أعين كما للناس ، ولكن لهن ، وبالحرى ، لثلاثتهن ، عين واحدة : تركبها لوقت معلوم ، فى حفرة غائرة من جبينها، حتى اذا انتهى الوقت وجاءت نوبة السيكلوبة الاخرى ، نزعت الاولى تلك العين وأعطتها للثانية ، وهذه للثالثة ، وهكذا دواليك ، وبوساطة تلك العين العجيبة تستطيع السيكلوب رؤية أصغر شيء فى أقصى جهات العالم ، من دون ما مشقة ولا عناء ··



وبعد ان زود هرمز صاحبه بوصايا غاليـــة ، انتحى ناحية قريبة ، واختبأ برسيوس خلف شجرة باســـقة ، ولشد ما دهش اذ رأى احدى السيكلوب تقود أختيها ، وفى جبينها العين العجيبة ترمق بها أصقاع العالم ، وتحدث أختيها عما ترى ، وبعد قليل ثار نزاع بين الأخوات على العين ، كل تريد ان تأخذ نوبتهـــا ، وكل تدعى أن الدور دورها . وفيما كانت الأولى تنزع العين ، وتوشـــك ان تعطيها للثانية ، انقض برسيوس فتسلمها من السيكلوبة ، دون وعى منها !! لأنها بدون العين لا تستطيع أن ترى شيئا

فى العالم . وينشب نزاع شديد بين السيكلوب على العين، كل منهن تتهم اختها بأن العين معها وتدعى الانكار ، حتى وضع برسيوس حدا لتنازعهن ، بأن هتف بهن : « ايتها الأخوات العزيزات ، لا تنازعن على عينكن ، فهى فى هذه اللحظة معى وبين يدى » ، وانقضت السيكلوب هلعات نحو مصدر الصوت ، ولكن هيهات ان يقبضن على شخص تحمله نعلا هرمز ، فلقد قفز قفزة هائلة ، أقصى بها نفسه عنهن ، ثم قال : « ايتها الأخوات العزيزات ! انا أعلم انكن لا تستطعن الحياة بدون العين الغالية ، وانا أعدكن بردها اليكن ، ولكن بشرط واحد : ذلك أن تخبرننى عن المكان الذى تأوى اليه (مديوسا) واخواتها الجرجون ، فان لم تفعلن فلا عين لكن عندى »

وهنا تميزت السيكلوب من الغيظ وكدن لا يجبن بشىء ، لأنهن منهيات عن اذاعة أسرار العالم ، ولكن اذاعة السر فى هذه اللحظة أهون ألف مرة من هذا العمى المطلق ، والظلام المبين يغطش حياتهن ، فأخبرته بموضع الجزيرة ومأوى الجرجون فيها ، ولكى يثق مما انبانه به نظر فى العين التى بين يديه الجزيرة ، وايقن أنهن لم يخنه ، ثم انه تحين الفرصة الملائمة ودفع بالعين فى جبهة اقرب السيكلوب منه وغاب فى الجو ميمما شطر هرمز ، حيث وجده يمرح فى غيضة ناضرة ، فتعانقا عناقا طويلا ، وشكره برسيوس على جزيل مساعدته ، ثم افترقا على أن يبدأ برسيوس رحلته الى جزيرة الجرجون



وكانت رحلة طويلة شاقة ، برغم نعلى هرمز .. فكم بحار طوى ، وكم وهاد رأى ، وكم ريح صرصر كافح ، وكم مشقة احتمل ، حتى وصل الى جزيرة الجرجون ! ولم ينس ما أوصاه به هرمز من وجوب النظر الى أعلى دائما

حتى لا تقع عيناه على عينى احدى الجرجون فيحور حجارة صماء . وكان يتخذ من درع مينرفا مرآة صافية يرى فيها ما تعج به الجزيرة من كهوف وزروع وغابات . ولشد ما سر سرورا لا مزيد عليه حين وجد الجرجون الثلاث مستغرقات فى سبات عميق عند مدخل كهفهن السحيق . وفى وسطهن مديوسا العاتية . تغط غطيطا مروعا . فاستخار الآلهة ، وامتشق جراز هرمز ، وتعوذ ثم تعوذ ، ثم انقض كالصاعقة ، فأهوى على عنق مديوسا بضربة قاتلة ، فانفصل الرأس عن سائر الجسد . وهنالك ، علا فحيح الأفاعى الباسقة فى رأس مديوسا ، تدمدم فى الكيس الجلدى الذى ألقاها برسيوس فيه ، حتى لقد استيقظ أختاها ، وانطلقتا مرتاعتين فى أثر الفتى ، تودان لو تمسكان به ، فتعتصران عظامه اعتصارا ... ولكن قلنسوة بلوتو تخفيه عنهما ، وتحفظه من شرهما

وبينما هو يطوى الضحاضح والبحار ، وبينما هو منتش بخمرة انتصاره ، مفكر فى اللحظة التى يلقى فيها الملك برأس مديوسا ، ويحظى لديه بثمرة فوزه ، بينما هو كذلك ، اذ يلمح فى احدى الجزائر زحاما شديدا ، وجماهير حاشدة ، متكبكبة حول صخرة ناتئة ، مشرفة على البحر ، وقد تدلت منها فتاة بارعة الجمال ، بادية الحسن ، مغلولة العنق ، مربوطة الأطراف بسلاسل واصفاد من حديد صلب . ونظر فرأى تنينا بحريا هائلا يطفو فوق الماء ، ويقترب من الفتاة قليلا قليلا ، وراعه أفزع الروع تلك الصرخة الهائلة التى صرختها الفتاة فرددت الغيران والكهوف ومشارف الجبال اصداءها

ماذا ؟ . . .

الفتاة مذعورة ايما ذعر ، والناس من حولها ينظرون ولا يحركون ساكنا ... والتنين يقترب ويقترب .. ،

ولم ينتظر برسيوس حتى يفترس الوحش تلك الفتاة المفزعة ، بل استل جراز هرمز وانقض فوق ظهر التنين واهوى على عنقه بضربات سريعة متلاحقة غاص بها فى إحشائه ، ولبثا يتصارعان ساعة من الزمان كانت كلها هولا ، وكانت كلها فزعا ، والناس ينظرون مشدوهين ، زائغة أبصارهم ، لا يصدقون ما يبصرون . ثم انجلت المعركة عن جثة التنين الضخمة طافية فوق الماء ، الذى تحول بدوره خضما من الدماء . وقفز برسيوس الى الشاطىء ، وذهب الى الفتاة ففك أصفادها ، وهدأ من روعها ، ثم حملها على حصانه ، وسأل الناس فقادوها الى والدتها المسكينة المعذبة ، التى حبست نفسها فى حجرة مظلمة ، وانتظرت ثمة من ينعى اليها ابنتها

أما هذه الام فهى الغادة الاغريقية كاسيوبيا ، المشهورة بجمالها ، وحسن روائها ، والتى كانت أفتن حسان هيلاس فى زمانها ؛ ولقد امتلأت زهوا بما أضفت عليها الآلهة من قسامة ، وما أسبغت عليها من وسامة ، فزعمت، وهى تفاخر أترابها ، أنها من عرائس البحار التى لا يدانيها فى جمالها الباقى ، جمال هذا البشر الفانى . فغضبت عرائس الماء ، لهذا الادعاء ، واقسمن ليعذبن أهل الجزيرة التى فيها كاسيوبيا بهذا التنين المروع الذى شرع يغدو كل يوم الى شواطىء الجزيرة فيقتل ويلتهم عشرات من سكانها ! ..

وذعر القوم . وحاروا فى أمر هذا التنين ، وذهبوا الى الهيكل يقدمون قرابينهم للآلهة ، ويستوحون كهنتها نبوءة تبعد عنهم شره ، وتكفيهم امره . ولقد أجيبت أدعيتهم ، وتقبلت أضحيتهم ، وارهفت الاسماع ، وشمل الهيكل هذا السكون المقدس الرهيب ، وما هى الا لحظة حتى انطلق صوت خفى من أعماق المذبح ، يقول : « قدموا

العذراء أندروميدا ، ابنة الغانية كاسيوبيا ، ضحية حلالا لتنين البحر ، جزاء غرورها وكبريائها ـ ذلك ان أردتم أن يكف التنين عنكم شره ، ولا يعاودكم آذاه ! »

وانكفأ القوم محزونين مروعين ، لانهم كانوا يحبون كاسيوبيا وابنتها ، حبا هو العبادة. وحاروا كيف يتقدمون للام بهذا النبأ العظيم ؟!

وكان لابد من النفاذ ، لانقاذ الجزيرة وجميع سكانها..

والآن ، لقد أنقذ برسيوس أندروميدا الجميلة من التنين ، وشعر فى سويدائه بعاطفة نورانية تجذبه الى هذه الفتاة واحس كأن مستقبله مرتبط بمستقبلها برباط قدسى تباركه السماء وتحرسه العناية ، فتقدم الى والدتها يطلب يد آندروميدا ..

ووافقت الوالدة ، وسعدت الفتاة بهذا البطل الشاب الذى انقذ حياتها مرتين : مرة من هذا الوحش الضارى الذى تركه برسيوس جثة هامدة ، ومرة ثانية من ذلك الشيخ الفانى الهرم الذى تقدم اليها يريدها زوجة له ، وكادت أمها ان تقسر على الموافقة لما للشيخ فى الجزيرة من صولة وجبروت ، لولا المقادير التى تتابعت بعد ذلك

واقيم مهرجان كبير ، وزينات فاخرة للاحتفال بالعروسين ، فمدت الاخونة ، واعدت الاسمطة ، وبدات الموسيقى الاغريقية تعزف أشجى الحانها ، واخذ الجميع فى قصف حلو وسمر برىء

وانهم لفى كل ذلك اذا بالرجل الهرم الذى تقدم لخطبة أندروميدا من قبل ، يقتحم الحفل هو وعصبة قوية من رجاله المسلحين ، واذا بالرجل يهتف ببرسيوس قائلا : « برسيوس ! لقد اعتديت على مولى هذه الجزيرة اعتداء صارخا بانتزاعك أندروميدا من يدى ، وانك ان لم تنزل

عنها طواعية فسأكرهك على تركها قسرا ، بعد ان تروى هذه السيوف من دمائك ودماء من يلوذ بك ! .. «فحدجه برسيوس بنظرة ساخرة وقال : « من انت أيها الرجــل الذى يجسر على مخاطبتى بهذا الهراء ؟ لقــد اصبحت أندروميدا زوجتى ، وان كانت من قبل خطيبتك ،أنتمن غير ريب تحلم ... غير انى اسألك . اين وليت وجهك يوم اضطرت أمها المسكينة ان تنزل عنها قربانا للتنين ؟ لقد كان أولى بشجاعتك انت ورجالك لو توليتم انقاذها من الافعوان البحرى الذى اذلك واذلهم .. » ومد يده الى الكيس الذى كان به رأس مديوسا ، فأخرجه وقال : « ولكن انظر الى هذا قبل أن تقتلنى » . وما كاد الرجل ينظر الى مديوسا ، حتى تصلبت عضلاته ، وتحجـــر جسمه ، وظل مكانه كأنه تمثال ! ودهش اصحابه لجموده، وظنوه قد سمر حيث هو ، فلما لمسوه استطيرت البابهم ولاذوا من الفزع بالفرار

وأخفى برسيوس رأس مديوسا ، واســـتمر القوم فى سمرهم كأن لم يحدث شىء ... اللهم الا هذا التمثـــال المنتصب فى أول الردهة ، والذى كان يهرف منذ لحظة ، فأصبح عبرة الزمان ، وضحكة الايام !

وحان يوم الرحيل ، فخرج أهل الجزيرة يودعـــون الزوجين ، وظلت كاسيوبيا تعـــانق برسيوس مرة ، وأندروميدا مرة أخرى ، والدموع فيما بين هــذه وتلك ، تنهمر على خديها انهمـــارا ... والناس ينظرون ... ويبكون ..

ثم حمل برسيوس عروسه ، ومرق فى الهواء كالسهم، والقوم من عجب يتصايحون ويهتفون

وكانت الرحلة هذه المرة ، على شـــدتها وطولها ، من اروح الرحلات الى قلب برسيوس . وتستطيع أن تتصور

القبل الحلوة تنطبع على هذين الثغـــرين الحبيبين ، فى ملـكوت السماء ، لتدرك أى سعادة شعرية ، وأى هنيهات سحرية ، فازا بها فى لازورد الفضاء

وبلغ مدينة الملك بعد نأى طويل ، وسنين عدة ،فذهب أول ما ذهب الى منزل أمه ، وناهيك بما كان من عناق ، وماتبادلا من تحيات ، وبكت داناى المسكينة ، وهى تهنىء ابنها باندروميدا ، ثم أخذت تقص ، ملء أحزانها ، وفى فيض أشجانها ما انتابها من سوء ، وما لحقها من عسف، لانها أبت أن تكون خليلة الملك المخاتل الجبار ، الذىصب عليها جام نقمته ، وأذاقها من الهـــــوان ألوانا ! فحزن برسيوس حزنا ممضا ، وهيج حتى خيف عليه ، وذهب من فوره الى قصر الملك بكل عتاده ! ودخل الى البهوالملكى بدون استئذان وهو يضمر فى القلب غصة ، وفى النفس لوعة ، وفى الكيس رأس مديوسا !!

وقال الملك حين لمح برسيوس : « أهلا ! برسيوس ! لقد عدت أخيرا ، وما أحسبك وفيت بما قطعت على نفسك من عهود ! لعل شجاعتك التى بالغ الناس فى اطرائهـــا والثناء عليها قد واتتك فى حربك مع الجرجون ؟! »

فأجاب برسيوس ، دون أن يحيى بالتحية الملكيـــة : « أيها الملك ! لم تخاطبنى هكذا ولا تتريث حتى تنظر ان كنت قد عدت اليك برأس مديوسا الرهيب ؟ »

فقهقه الملك ، وملأ التهكم شدقيه ، وقال : « طبعـــا ، ستدعى أنك قتلت مديوسا ولكن رأســـــها وقع منك فى البحر ، فالتقمه الحوت ؟ ... يا للشباب المخدوع ؟ ! »

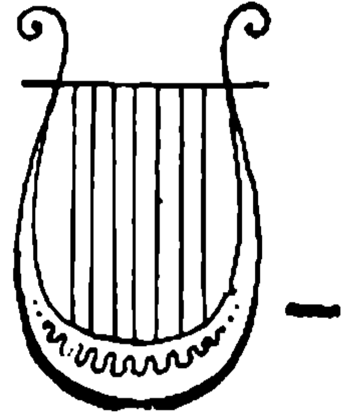
وثارت ثائرة برســـــيوس ، ولم يجد الى صــــبر من سبيل ، فحسر عن رأس مديوسا وقال : « أيها الملك ... أنظر ! »

وبهت الملك مكانه حين وقع بصره على عينى مديوسا ، ثم تحول فى لمحة الى تمثال من الحجر ما يأتى بحركة ، ولا ينبس ببنت شفة !!

وحدث عما شمل أهل الجزيرة من الفرح حين ترامت اليهم أخبار الملك ، وما تم له مع برسيوس · لقد كانوا يؤثرون الموت على أن يحكمهم مثل هذا الظالم العاتى المستهتر ، ولقد كانوا يودون له الهلاك ، حتى خلصهم برسيوس منه ، فهرعوا اليه ، وهتفوا فى كل مكان باسمه، وحملوه على الاعناق الى حيث الملك التمثال ··· وهناك ، صبوا لعناتهم على الطاغية ، وانصرفوا ، يهنىء بعضهم بعضا ، بعد أن اختار لهم برسيوس ملكا منهم ··· فاضلا ، عادلا ··· وقد عرضوا عليه الملك فأبى ···لان مملكته الكبيرة المكونة منه ومن أمه ، ومن آندروميداكانت آثر لديه من كل ملك عتيد !!

وتوجه الى حيث لقى هرمز ، عند الصخرة المشرفة على البحر ، فوجده ينتظره ، فتعانقا عناقا يفيض محبة ، ويقطر ودا ، ثم رد اليه هدايا الآلهة بالحمد والثناء ···

أما رأس مديوسا ، فقد أهداه الى مينرفا ؛ ففرحت به فرحا شديدا ، وهو الى اليوم مركب في وسط ترسها ترهب به أعداءها الألداء ···



أرفيوس الموسيقى

أرفيوس ! لسان الطبيعة ، ونجى الآلهـــة ، ووحى السماء الى جى (١) وصاحب القيثـــار ذات الرنين ... والانين !

كان يعزف ، فتشيع الحياة فى الصخر ، ويقف أبوللو العظيم فى مركبته الذهبية (٢) مطلا براسه من عليــين ، يسمع ويطرب ... وكذلك كانت تصنع ديانا ، فطالمــا كانت تنزل من مركبتها الفضية(٣) فى أعلى أجواز السماء، لتلبث هنيهة بباب أرفيوس ، تتزود لرحلتها الليليـــة المرهقة ، من مشرق الدنيا الى مغربها

وكانت الوحوش تسكن اليه ، وتجتمع من حـــوله تنصت وتلتذ ... وتغفو ...

والاشجار ! ان لها لجذورا متغلغلة فى أطباق الارض ، ومع ذلك فقد كانت حين تسمع أرفيوس ، تنزع اليـه ، وتسير وراءه خببا ! وكم شهد الناس حول بيته غابة من الدوح العظيم ، والايك الذاهب ، ســعت اليـــه تلتذ

---

(١) جى هى الارض فى الميثولوجية اليونانية
(٢) مركبة أبوللو الذهبية هى الشمس
(٣) القمــر

موسيقاه ، ثم هي تنصرف في المساء فتنغرس فيأصولها، وقد ازدادت نضارة وازدهارا !

ومع ذلك ، فقد كان ذا غرة مشرقة ، وابتسامة حلوة ما تكاد تفارق ثغره الصغير الجميل • وكان جم الحياء ، لم ينهر مرة أحد رواده ، أو المترددين عليـــــه ، بل كان يلقى الجميع ببشاشة الاخوة ، وهشاشة الود

وكانت له زوجة أجمل من روعة الفجر ، وأفتن من وشى الاصيل ، وأندى على قلبه من أنفاس الصباح

اسمها يوريديس ••• مصدر الهامه ، ومعين عبقريته، وجمال لحنه ، وأغنية حبه ، وأنشودة هواه • سئل مرة: « ماذا تملك من الدنيا يا أرفيوس ؟ »

فأجاب : « قيثارتي ••• ويوريديس ! »

***

كانت يوريديس تجمـــع الازهار البرية في ربرب من اترابها ، لتصنع منها باقة مفوفة تقدمهـــا لارفيوس ، وكانت كلما راقتها سوسنة ، أو وقعت في نفسها زنبقة، طبعت عليها قبلة ندية وضمتها الى الباقة ، وهي تقول : وأنت أيضا لحبيبي أرفيوس •••

وبينما هي كذلك ، اذا أفعى هائلة تنســـل من بين الاشجار ، فتلدغ قدمها الصغيرة الجميلة المطمئنة في الحشيش الاخضر ، فتصرخ المسكينة صرخة مدوية ، ثم تنطرح الى الارض ، وتتناثر الورود والرياحين التيجمعتها حولها ، كأنها تنضد سرير موتها

وتجتمع صديقاتها مذعورات ، فتعـــولن وتبـــكين ، وتحملنها الى أرفيوس الذي يستطار من هـــول الكارثة ، وينخلع فؤاده من فداحة المصاب ، ويحاول المســـتحيل لانقاذ أعز الناس عليه ، ولكن •• ولكن هيهات ! لقـــد ماتت ! واحتلـــكت الدنيا في عيني أرفيوس التعس ،

وأجدبت قيثارته من ألحان المرح ، واستروحت الى البكاء والانين . فيا رحمتاه لمن ينصت اليها ويصغى لها ! زفرات حارة تصعدها أوتارها ، وأنات مؤلمة ينبثق منها الدم تنبعث من أنغامها !

وأرفيوس ، مع ذلك منزو عن العـــالم ، عزوف عن الناس ، مستغرق فى وحدته القاسـية ، يفــكر فى يوريديس

وصمم على ألا يفقدها كما يفقد الناس أحباءهم . بل لابد من رحلة طويلة الى الدار الآخــرة .. الى هيدز .. حيث اله الموتى بلوتو ، فيضرع اليه أن يرد عليه زوجته التى لا حياة له الا بها

فكرة غريبة ، وتصميم عجيب ، رجل من دار الفـناء ، له جسم ، وفيه نفس تتردد من اخمصيه الى ذؤابة راسه، كيف ينفذ الى دار الموتى وعالم الارواح ، ومملكة الظلال والاشباح ؟ !

لكنه أمل ملأ قلبه على كل حال ، وها هو ذا يحمـــل قيثارته ، ويبدأ رحلته ، ولا يدرى الى أين ؟

ضرب فى الآفاق على غير هدى ، وذرع الارجاء فى ضلال وحيرة ، حتى رثت له الآلهة ، فرشـدته ، وأنارت له سبيله ، فاهتدى الى ضفاف ســتيكس (١) ذى الزبد ، حيث وقف شارون النوتى الجبــار ، الذى يحمل أرواح الموتى فى زورقه ، يعبر بها أنهار الجحيم للقــاء بلوتو العظيم ..

وصاح شارون صيحة راجفـــة حينما لمح أرفيوس ،

(١) ستيكس هو النهر الكبير الذى يحيط بالدار الاخرة « هيدز » فى الميثولوجيا ، وهو يحيط كذلك بالانهر التى تنحصر بينها جهنم ، وسيجىء ذكرها

وزمجر قائلا : « يا ابن العدم ، يا سليل الفناء ، يا من لم تفض روحه بعد ، ماذا جاء بك الى هنا ، ولا تزال تتعثر في برد حياتك الرث ، وتتكفأ في قيد دنياك الوبيلة ، عد من حيث أتيت ، والا فوحق بلوتو المتعال لاسحقن عظامك، ولاقذفن بك الى ستيكس ، فيطويك اليم وتشويك الحمم .. عد .. عد .. عد أقول لك .. وى . وكأنك لا تسمع !!

ولكن أرفيوس يثبت غير هياب ، ويتناول قيثارته غير وجل ، ثم يعزف لحنا من ألحانه الباكية فيزلزل بهأركان شارون !

شارون ! هذا الفظ ، غليظ القلب ، أقسى حراس جهنم ، يذوب رقة ويمتلىء حنانا ورحمة لما رأى وماسمع، فيهرول الى أرفيوس مستميحا معتذرا عما بدر منه من سوء اللقاء ، وعبارات البذاء ، ويسأله في لين ورفق عن حاجته فيجيب : « لا شيء الا لقاء بلوتو ! »

فيسأله شارون : « وكيف ، وهذا بدنك لا يحتمل زفير الجحيم ؟ »

فيجيب أرفيوس : « لا عليك ما دامت هذه ـ ويشير الى القيثارة ـ بيميني »

فيقول شارون : « ياصاحبي أنت لا تعرف هول ما تريد أن تقتحم ، واني مخلص لك أمين ، انك غض الاهاب ، موفور الشباب ، وان جهنم لا تبقي ولا تذر ، وانها أبدا ترمي بشرر كالقصر ، واني أمحضك نصحا علمتني موسيقاك كيف امحضك اياه ، واستنقذك من عذاب مقيم ... ألا فلتفكر فيما أنت مقدم عليه، فان من دونه مهالك، وان من دونه أنكالا وأهوالا ... »

وتبسم أرفيوس بسمة حزينة ، كانت ردا صامتا على

ما حذر شارون ، ثم أعد قيثارته وانطلق يتغنى أغنياته

وما يكاد يفرغ من هذه الزفرة الحارة ، حتى تتحدر الدموع من عينى شارون ، ويتقدم اليه معتذرا ، فيحمله فى الزورق ، ويجوس به عباب ستيكس ، وما يكاد يفعل حتى يرى أرفيوس الى تغيظ الموج وتلاطمه ، فيسأل شارون عما يهيج النهر برغم سكون الريح ، فيقول : انك ، وأنت من انت ، من فوقه ، سبب هياجه واصطخابه، ولو خلى بينك وبينه لما أنجاك منه شيء حتى تكون فى أعماقه !! » ولكن أرفيوس يبتسم ابتسامته الحزينة ، ويتناول قيثارته فيوقع احدى اناته المشجية ، فيهدأ ستيكس الصاخب ، وتصفو صفحته بين دهشة شارون وشدة تعجبه ! ..

وتطول الرحلة ، ويعبران (آشيرون) نهر العدم ، و (ليث) نهر النسيان ، و (كوكيتوس) نهر الآلام ، و (فليجتون) نهر الحمم واللهب ، ويصلان آخر الامر الى (هيدز) – دار الموتى – ومملكة بلوتو ، بعد عقبات وأهوال تغلبت عليها جميعا قيثارة أرفيوس ، بالحانها الرقيقة ، وأنغامها الباكية ..

وتبدأ من هذا الشاطىء الاخير رحلة شاقة فى ظلام دامس وحلك شديد ،فى مسالك ملتوية،وشعاب متداخلة، لا تجدى معها موسيقى أرفيوس فتيلا ، وهنا يبدو له أن يقصر هذا السفر الطويل بالسؤال عن يوريديس ، كيف حملها شارون فى زورقه ، وكيف عبر بها هذه الفجاج الى المقر الاخير ، وهل كانت تبكى ؟ أم كانت راضية بالقضاء الذى فصلها من أحب القلوب ، وأقصاها عن أعز الناس ؟ وهل حدثته عن الشاب أرفيوس ؟ أم كانت فى شغل عن كل شيء بما هى فيه ؟ وهل كل روح من ارواح

الموتى تستغرق كل هذا الزمن فى عبور أنهار هيدز وفيافيها ؟ وهل تألمت يوريديس حين كانت تعبرها ؟...

وكان شارون يجيب عن هذه الاسئلة المتتابعة اجابة مستفيضة حتى وصلا الى بوابة كبيرة الحجم تصل الى قصر بلوتو ، ولكن كلبا ضاريا بادى النواجذ بارزالانياب كان رابضا عندها ، فلما لمح أرفيوس ، وهو من غير الاموات هاج وماج ، وتوثب يريد البطش بهذا اللاجىء الممنوع .. !

وتنبه أرفيوس ، فحرك أوتار القيثارة ، وتغنى على أوتارها ألحانه وآلامه ، فثاب الكلب وهدأ ، وبعد أن أقعى قليلا ، تقدم الى الضيف الحبيب يلحس قدميه ، ويتمسح به ، ويا للموسيقى !

ثم هذا عرش بلوتو ، والى جانبه زوجته ربة الربيع ، برسيفون (١) كسيرة القلب مهيضة الجناح ، تعلو أساريرها عبوسة قاتمة ، وتجثم على قلبها لوعة دائمة . يا لبرسيفون ! ويا لهذا المنفى السحيق !

ولشد ما دهش بلوتو حين بصر بهذا المخلوق الذى استطاع أن ينفذ الى هيدز ، وفيه رمق من حياة !!

وقبل أن ينبس بلوتو ، جثا أرفيوس لدى قاعدة العرش ، وطبع على الارض قبلة كلها احترام ووقار ، ثم تناول قيثارته ، وطفق يتغنى قصته المشجية ، يرسلها خلل أنغامه الحزينة ، وملء ألحانه اليتيمة .. حتى أتمها

وكانت الموسيقى الممتزجة بالغناء الحلو والشعر السامى ، قد تغلغلت فى السويداء من قلبى الزوجين ،

(١) برسيفون ، أو بروزربين كما يسميها الرومان ، هى ربة الربيع التى اختطفها بلوتو لتؤنسه فى وحشته فى هيدز ، بعد اذ رفضت جميع الربات مقاسمته ملكه

وكانت الرنات ، الممتزجة بالانات ، والهديل ليس مثله هديل ، قد أحدث أثره فى نفسيهما ، حتى أن دمعة مترقرقة شوهدت تنسكب على خد برسيفون !

وفى الحق ، لقد هاجت قصة يوريديس شجون برسيفون ، لما لحظت فيها من الوشائج بينها وبين قصة حياتها التعسة ، فى هذا الملك البغيض !

وانزعج بلوتو لمجرد وسواس لج فى صدره ، لما شاهد من تأثر زوجته ، وانسكاب هذه العبرة الحزينة على خدها الشاحب ، حتى لقد خيل اليه أن شياطين الحب قد قفزت من فم أرفيوس الخبيث ، ومن موسيقاه الشاجنة ، الى قلبها الغض الصغير !

وقال بلوتو: «انهض أيها الشاب ، فوحق أورينوس (١) لقد كدت تكون من الهالكين ؛ لولا قصتك الباكية ، وموسيقاك المبللة بالدموع . والآن ، ماذا جاء بك الى هنا ؟ وما الذى تطلب أن ينتهى اليك من احسان بلوتو ؟ »

فركع أرفيوس ركعة التذلل والضراعة ، ثم قال : « مولاى ! يوريديس يا مولاى ؟ تأمر فتعود أدراجها معى الى الحياة الدنيا ! »

فأجاب بلوتو : « طلبت المحال أيها العبد ، ولكن بلوتو الكريم ، لن يرد رجية بائس مثلك ... لك ما سألت ، وستعود يوريديس معك ، ولكن على شريطة واحدة ، ألا تراها حتى تخرج من هيدز . انها ستتبعك ، فلا تلتفت وراءك أو تغادر دار الموتى ! »

وركع أرفيوس ركعة الشكر ، ثم قال : « سأنفذ مشيئة مولاى »

وأمر بلوتو فأحضرت روح يوريديس ، وبدأت الرحلة

---

(١) أورينوس هى السماء ، ابو الالهة ، فى الميثولوجيا

الى الدار الاولى يدلجان ، فى ظلمات بعضها فوق بعض ، والحبيبان يدلجان خببا

وكان قلب أرفيوس يدق ·· ويدق

وانهما ليكادان يبلغان العدوة الاخيرة من نهر ستيكس، حتى يوجس أرفيوس خيفة ، ويظن ـ ويا شر ما يظن ـ أن يوريديس قد ضلت سبيلها من ورائه ، فينسى شرط بلوتو ، ويلتفت فجأة خلفه ، ليرى أنها ما تنفك تتبعه · ولكن يا للهول ! لقد رأى يوريديس باسطة ذراعيها اليه ، كمن يتلمس طريقه فى الظلام ، وحين تراه يلتفت اليهـا . فيخل بالشرط الذى عاهد ربها عليـــه ، تنثنى من لدنه راجعة أدراجها الى هيدز ··· متمتمة فى صوت ضـعيف خافت : « وداعا يا أرفيوس » ! يا حبيبى أرفيوس ·· وداعا ··· » · فيصرخ المسكين صرخة يكون معها فى هذه الحياة الدنيا ، حياة الشقاء والآلام !

ويظل على شاطىء ستيكس سبعة أيام مفجعا محزونا ·· يحاول عبثا ان يعود الى هيدز ·· ولكن ·· هيهات !

ويدخل الدنيا محطم القلب ، خفق الاحشاء ، موهون القوى . . . لا يطيب له عيش ؛ ولا يسيغ لذة من لذائذها، ويتخذ مأواه فى شعاب جبل تزمزم الرياح فى جنباته ، وتزمجر الوحوش فى غيرانه ، وتدوى البواشق فى قننه ، ويكون كل أولئك خير صحابه ، ويا ما أعز الرفاق !

***

وتلقاه نسوة ممن اعتدن التخلف اليه فى أيامه المواضى، فيحتلن عليه ليعزف لهن من الحانه ، ولكنه يعزف عنهن ويشيح ، ثم يفر منهن ، فيقتفين أثره ، فيمعن فى الفرار ، فيتضايقن ، ويصمينه بسهامهن ، ثم يرجمنــه بالحصى المسمومة ، والحجارة الثقال ، حتى يموت !

ويسمعنه اذ هو يجود بروحه يقول : « يوريديس ... يوريديس ! »

فتردد الاصداء نداءه الحـــــزين : « يوريديس .. يوريديس ! »

ولا تزال الأشـــجار والاطيار تهتف الى اليوم هتاف موسيقارها المغبون المحزون : « يوريديس .. يوريديس ! »

***

وانطلقت روحه البريئـــة تعبر بدورها ستيـكس ، واشيرون ، وليث وكوكيتوس ، وفليجتون .... فيتلقاه شارون الجبار باسما هاشا محييا ... ويجلسان معا فى الزورق ، يقصان ذكريات الماضى ... القريب ! ويتلقاه الكلب عند البوابة ، فيهرول اليه ، ويتمسح به ، وفاء وذكرى !

ويتلقاه بلوتو كذلك ، فيهنئه بالعود ... اذ كان العود احمد ! !

اما يوريديس ... !

فلشد ما يكون فرحها بعودة حبيبها !



مأساة أم

رآها زيوس تقطف الزهر وتتيه فى حدائق السوسن ، وتنشد مع البلابل الحان الشباب ، فتنصت الطبيعة وتتفتح آذان الورد ، وتحملق احداق النرجس ترى الى كليستو الرقيقة رقة النسيم ، الحلوة كأنها حلم جميل فى اجفان عاشق ، الموسيقية التى يستطيل نغمها حتى يبلغ السماء ، ويتسع حتى يغمر الكون ، فيثوى بكل اذن، ويستقر فى كل قلب ، ويخفق مع نبضات المحبين ، وينسكب ذوبا من دموع المدنفين المعذبين !

رآها زيوس فجن بها ! وبالرغم مما اعطى على نفسه من مواثيق لزوجه حيرا الا يصبو الى انثى غير أزواجه اللائى كن الى هذه اللحظة ستاً أو أكثر من ست ، فقد ذهب يقتفى اثر كليستو ، ويرهف سمعه ليملأ بموسيقاها قلبه ..

كانت تمشى بين صفين من أعواد الزنبق ، تنمقهما ورود ورياحين ، وكانت تنثنى وتميس ، فيهتز الروض وينتشى الزهر ، وكلما ترنمت بأغنية من أغنياتها الساحرة ، رددت الازهار والاطيار ما تغنت ، كأن كل شىء فى تلك الطبيعة الرائعة الفنانة عضو فى فرقة كليستو الموسيقية

وجلست تتفيأ ظل خوخة وارفة كانت تداعبهافتساقط عليها من ثمرها الجنى ، ورطبها الشهى ، فتتذوقه كليستو وهى تبتسم

واسكر النسيم الخمرى عينيها الساجيتين ، فاستسلمت للكرى الطارىء ، والغفوةالعارضة ، وتمددت على البساط السندسى ليحسر الهواء عن ساقيها ولتكون فتنة يضل فى تيهها قلب زيوس ، وتضرب فى بيدائها نفسه ... على غير هدى !! ..

وبدا للاله الاكبر ان يرتد فتى موفور الشباب ريان الاهاب ، ثم يسوق آلهة الاحلام فترقص فى أجفان كليستو ، تبهرج لها من الرؤى ما يشب فى نفسها رغائب الهوى ولذائذ الحب ، ويثير فيها حرارة الحياة

ونام الخبيث الى جانبها ، وطفق يروح على وجهها ثم نثر ذراعه على جيدها الناهد ، وراح يضغط قليلا ... قليلا ..

ولقد فعلت الأحلام الحلوة فعلها فى قلب كليستو ؛ فلما استيقظت ، ووجدت نفسها فى حضن هذا الشباب اليافع الجميل ، لم تنفر ، بل خجلت خجلة زادتها جمالا ، وضاعفت سحرها ؛ وفتونها ؛ وفترت أهدابها فاسترخت ، وفنيت فى حبيبها المفاجىء .. وفنى هو الاخر فيها

***

وجاءها المخاض !

ووضعت غلاما احلى من القبلة الحارة على الثغر الحبيب ، واعذب من ابتسامة الزهرة طلها الندى

فلما زارها زيوس وبشرت به ، اهتز الآله الأكبر وشاعت الكبرياء فى اعطافه ، فباركه ؛ وطبع على جبينه الوضاح قبلة أولمبية خالدة ؛ ثم زف الى كليستو تلك البشرى

التى ظل يخفيها عنها طوال حبه لها ، وذلك حينما أشار الى ابنه بيمينه البيضاء هاتفا :

ــ « بوركت يا اركس ! يا أجمل اطفال الاولمب ! »

وقد اضطربت الام الصغيرة حين سمعت هذا الدعاء ونظرت الى حبيبها كأنها تستريب ، وقالت له :

ــ « أجمل أطفال الاولمب ؟ اذن من انت ايها الحبيب ؟ »

ــ « بشراك ياكليستو ! فأنا ربك وزوجك وحبيبك زيوس ! »

ولم يسع كليستو الا ان تسجد لربها وهى ترتعد من الخوف ، فقال لها :

ــ « انهضى ! انهضى ! ماذا تصنعين يا حبيبة ؟ انهضى فقد رسمت ابننا آركس الها ، فاكفليه حتى يشب ، واياك ان تراكما حيرا فتسحقكما .. »

وقبل الغلام وقبل الام ٠٠ وغاب فى الافق ٠٠

***

وكانت كليستو أحرص على فتاها من ان تدعه وحده لحظة واحدة ، فاذا خرجت للصيد فى الغابات القريبة ، أقامت عليه حارسين من كلابها الكواسر ، يكفى احدهما لتشتيت شمال جيش بأكمله ٠٠ وكانت تحمل اليه اثمار اللوز والبندق كلما عادت من الغابة ، حتى اذا اشتد ساعده ، علمته الرماية والعاب الفروسية ، مستعينةفى ذلك بالسنتور العظيم ، شيرون ، مؤدب هرقل ومدربه

وذاعت الانباء فى دولة الاولمب ، أن ازيوس خليلة يختلف اليها فى الفينة بعد الفينة ، وانه أولدها طفلا بارع الحسن ، وسيما قسيما ، يكاد يكون فى مستقبله هرقلا آخر ، يضارع هذا الهرقل الهائل ، ابن ألكمين الذى كان يدوخ أبطال العالم فى ذلك الوقت ٠٠

وقد مادت الأرض بحيرا حين علمت هذه الأنباء ، لانها كانت تغار من أزواج زيوس ، وتخشى أن تلد احداهن بطلا يكسف شمس ولديها مارس وفلكان . وكانت الحرب بينها وبين هرقل على أشدها ، فكم نشرت فى طريقه شوكا ، وكم فجرت تحت قدميه ينابيع من نار . افلا يحزنها اذن ان يبرز لها خصم آخر يغطش حياتها ، ويراوحها بالاشجان والآلام !!

وكانت كليستو تصدح فى أصيل يوم من أيام الربيع ، فتستجيب لها الغابة ، ويردد غناءها الطير ، ويمشى فى اثرها الدوح ، وتهتز الارض والسماء ، وكانت حيرا قد عرفت أوصافها من شيرون ، مدرب فتاها أركس فلما سمعتها تغنى ، ويمشى وراءها العالم بأسره ، عرفت انها هى !!

وكاد قلب حيرا يصبو الى كليستو ، مسحورا بروعة الغناء ، مأخوذا بترجيع البلابل .. حتى لكانت تخال الورد نفسه يغنى معها !! وكادت بذلك تنسى غيظها ، بل كادت تنخرط فى هذا الحشد الموسيقى الذى يصغى لكليستو ويستجيب لالحانها ! ولكن ! ..

لقد ذكرت ابنيها مارس وفلكان ، وذكرت كيف صرعهما هرقل فى حفل الاولمب ، حتى لكانا ضحكة كل راء ، فنسيت الغناء وأصمت أذنيها ، وغرفت من ماء قريب بيديها غرفة جعلت تتمتم عليها بتعاويذ سحرية ، ورقى غيبية ، ثم صاحت بالفتاة فسمرت مكانها دهشة مأخوذة ، فنثرت حيرا فى وجهها الماء وهى تقول : «شاهت دبة ! شاهت دبة ! » .. وا أسفاه ..

لقد أحست كليستو فى ذراعيها العاجيتين بخدر شديد ثم نظرت فرأت شعرا خشنا ينمو بسرعة فيغطى جسمها

البض الجميل كله !

واحست أظافر طويلة غليظة تنبت فى أطارف أصابعها ، ومخالب مرعبة تبرز من اصابع رجليها المعبودتين !

وشعرت بوجهها الوضاء المشرق يتغير ويتحول ، ثم يتغير ويتحول حتى ركب فيه أنف كبير أسود ، وفم مغبر فى منتهى القبح ، يسيل على جنباته لعاب شائه كريه!

وخيل لها ان ذنبا ينبت وراءها ، فتحسسته فأيقنت انه ذيل خبيث .. ما فى ذلك ريب !

وفزعت كليستو ، فأرادت ان تصيح تستنصر الغابة . ولكن .. يا للهول ! لقد راحت تصرخ كما تصرخ الحيوانات ، وتعوى كما تعوى الذئاب !!

وانخلع قلب الفتاة فحاولت أن تغادر هذا المكان الساحر ، ولكنها لم تستطع ان تنهض على قدمين ، بل انطلقت تعدو على اربع كأنها بهيمة من بهائم الارض !

وأصابتها حيرا بظمأ كاد يصهر حلقها ، فذهبت الى غدير ترتوى ، ولما انحنت ترشف الماء رأت صورتها المفزعة تتقلب فى صفحته ، وانها لم تعد كليستو الحسناء بعد ، بل انها قد انسحرت فصارت دبة قبيحة قذرة ذات أنف طويل أسود ، وعينين رجراجتين تقدحان الشرر

وانطلقت فى الغابة تعدو وتعدو ، وتتوارى بين الاشجار حتى لا يراها أحد ، وكانت الحيوانات - حتى ضواريها - تفزع منها كلما مرت بها ، وهكذا شاءت المقادير الظالمة الا يكون لها صديق حتى من سباع الغابة الموحشة ، التى كانت قبل لحظات ترقص بين يديها .. وتنشد وتغنى !!

وضربت فى القفار والفلوات ، مؤثرة الا تعود الى ابنها الحبيب أركس فتفزعه ، وكانت تختلف الى الغابة ، فاذا

مر بها بعض اصدقائها القدماء عرفتهم ثم تتوارى عنهم ؛ وفى نفسها هموم وحسرات ..

خمس عشرة سنة ! !

خمس عشرة سنة قضتها كليستو التاعسة فى هذا الشقاء الطويل ، لا تمر بها هنيهة دون أن تفكر فى ابنها وتبكى .. وتفكر فى آمالها .. وتبكى ، وتفكر فى ذكريات شبابها .. وتبكى ، وتذكر الموسيقى والغناء .. وتبكى !!

واشتعل قلبها شوقا الى اركس ، فجلست الى أيكة حزينة تتناجى :

« ترى ! ماذا تصنع الان يابنى ؟ ألا تزال تنهل كأس هذه الحياة المرة ؟ أم أنت قد طواك الردى ونسيك كبير الاولمب ؟ هل انت مريض يا اركس ؟ هل فى جنبك جرح يتفجر دما لبعد أمك عنك ، كهذا الجرح الذى تنزف منه نفسى ، وتنسكب حياتى ؟ وهل اذا أصابك ضر ، فأنت واجد قلبا يحنو عليك ويترفق بك .. ويرعاك ؟ ومن هو صاحب هذا القلب الرفيق ياترى ؟ أى بنى ! . ياولدى !! ياحبة القلب يا اركس ؟! »

وتبكى البائسة بكاء يذيب الصخر ، ويحرق فحمة الليل ، ويزلزل اركان الكهف المظلم الذى تعودت قضاء لياليها فيه ..

***

اما أركس فكان هو الاخر يبكى أمه ، حتى استطاع مؤدبه شيرون أن يفل بنصائحه غرب حزنه ، ويطفىء بمواعظه نار اساه ، فنسى ، او تسلى .. أو تناسى ..

واشتد ساعده ، وثقف الرمابةحتى مايطيش له سهم ؛ ولا تخيب له رمية ، واحبه شيرون من سويدائه ، ولازمه طويلا ، حتى كانت حرب السنتور فودعه ، وعاش الفتى

وحيدا .. يحيا حياة هي بحياة امه في شبابها الاول اشبه، يختلف الى الغابة يصيد منها الثعالب ، والى البرية يرمي فيها الوعول ، ويعود مع الغروب مثقلا بالصيد

وفيما هو يرتاد الغابة في ضحى يوم شديد القيظ ، اذا أمه المسكينة تلمحه فجأة ، وتعرف فيه ابنها ، وأعز الناس عليها ! .. فتذهل عن نفسها وتقف مشدوهة باهتة لاتنبس ولا تحير !

فهل عرفت هذه التماثيل المرمرية التى تقف صامتة كالالغاز في المتاحف ودور الاثار ؟ لقد كانت كليستو اشد منها تحجرا عندما شاهدت ابنها بعد هذه السنين الطوال!

ولقد خشيت ان تزعجه بوجودها ، لان الصيادين لا يرهبون من ضواري الغاب شيئا كما يرهبون الدباب ، فحاولت ان تختبىء وراء شجرة أو نحوها ، ولكن .. هيهات !! فلقد عجزت عن الحركة المجردة لما تولاها من الحيرة والارتباك !

والتفت أركس ففزع ايما فزع لوجود دبة متوحشة كبيرة الجرم على مقربة منه ؛ وهو غير متهيىء للرماية ؛ فارتبك لحظة ، ثم تناول قوسه بيد مرتجفة ، واصابع مرتعشة .. ولكنه ، ويا للعجب ! احس ببريق غريب ينبعث من عيني الدبة ، وشعر بحنان وعطف يتحركان في صميمه من اجلها ، وحاول ان يتعرف مصدر هذا الحنان فلم يستطع ، وضاعف دهشته ان الدبة سمرت مكانها دون ما حراك ، وان دموعا حارة اخذت تنسكب بفزارة من عينيها اللتين جعلتا ترنوان اليه ، وما تريمان عنه !؟

وكم كانت كليستو تتمنى لو تقدر على الكلام فتقص حكايتها على ابنها ، بيد انها خافت أن تضاعف انزعاجه بصراخها الحيواني المخيف .. فصمتت .. وتكلمت

عبراتها ! .. ثم ..

سدد اركس سهمه الى راس امه ، وكاد السهم المميت يمرق فيودى بحياة أعز الامهات .. لولا أن زيوس .. الاله الذى طال رقاده ! . كان يسمع فى تلك الاونة ويرى ،ولولا أن تحركت فى قلبه الرحمة هذه المرة ، فلم يبال التدخل فى سحر زوجته ـ حيرا الخبيثة ـ فاطلق لسان كليستو، وصاحت فجأة :

« اركس .. ابنى العزيز .. انا هى .. انا هى أمك .. »

وسقطت القوس من يد اركس .. وكانت مفاجأة مشجية ! وظل الفتى برمق الدبة عن كثب وهو لا يصدق! وقال لها :

ـ « ماذا تقولين ؟ أدبة تتكلم ؟ أم من ؟ .. من أنت ؟ »

ـ « انا هى يابنى .. أنا كليستو أمك البائسة .. فعلت بى حيرا ماترى .. خمسة عشر عاما يا أركس وانا أتعذب وأبكى من اجلك فى هذه الغابة المتوحشة ! .. »

ولم ينبس أركس ببنت شفة ، بل تقدم مهدما من الهم ، فعانق أمه .. ووقفا لحظة يبكيان !!

ثم تدفق حنان السماء ، وأمطرت رحمة الالهة ، وأمر زيوس فحملا الى الاولمب .. أركس وأمه ، ومن ثم اطلقهما رب الارباب فى السماء الخالدة ليكونا برجين من أبراجها ، لا نزال نراهما الى اليوم ، ولا نزال نحتفظ لهما بعنوان الماساة المؤلمة اذ نسمى الام « الدب الاكبر » ونسمى الابن، أركس الحبيب « الدب الاصغر » .. ولا تزال حيرا القاسية تنظر اليهما وتتميز من الغيظ (١)

(١) اورد الاستاذ جربس هـ . كيفر فى كتابه الجميل عن اساطير اليونان زيادة فى اخر هذه الاسطورة لم يات بها غيره ، بل لم يشر اليها أحد من مؤرخى الاساطير . والزيادة ـ اذا صدق حدسنا ـ هى من ابتكار الاستاذ ، ولذا لم نر أن نكمل بها قصتنا

يوم قيامة وطيش فيتون



عاد الفتى الساذج فيتون الى أمه الحسناء الهيفاء كليمين ، بعينين مغرورقتين ، ونفس مكلومة ، وفؤاد خافق متصدع ، فجرى بينهما هذا الحديث :

ــ مالك ياحبيبى ! لماذا تبكى ؟

ــ . . ؟ . .

ــ لا . لا . . فيتون يبكى ؟ هذا عجيب ! أيكون أبوك ابوللو وتبكى ؟ !

ــ أبوللو أبى ؟ كذب ، كذب ؟

ــ كذب ؟ وكيف يافيتون ! امك كذابة ؟

ــ لا . لا ، عفوا يا أماه ! انت لا تكذبين ، ولكن ربما يكون كلامك سخرية بى !

ــ ولم أسخر بك يابنى ؟

ــ الاولاد فى المدرسة يغمزوننى فى ابى ، وكلما حلفت لهم ان ابى ابوللو ضحكوا !

ــ دعهم يضحكوا يافيتون . ماذا يضيرك ؟

ــ يضيرنى اننى لم يعد لى وجه أريق ماءه بينهم ، لابد اذا كان أبوللو ابى أن ألقاه

ــ تلقى أبوللو ؟

ـ ولم لا ؟ اليس كل الابناء يلقون آباءهم ؟ فلم لا القى ابى ؟ أأنا بدع من الناس ؟

ـ لست بدعا ، ولكن ابوللو فى بلاد بعيدة .. انه فى الهند !

ـ ولم لا أذهب الى الهند لارى ابى ؟ صفى لى الطريق بحق الآلهة عليك يا أماه

ـ اذهب الى الارض التى تشرق من افقها ذكاء . فهناك ترى اباك

وذهب الى الهند التى تقع فى مشرق الشمس مباشرة ، وكان عند شاطىء المحيط قصر باذخ منيف ، لا يبلغ البصر مداه ، ولا يدرك الطرف أوله ولا آخره .. وكان مع ذلك قائما على عماد رفيعة من ذهب ركبت فيها ماسات كبيرة ذات سناء وذات لألاء . وكان سقفه العظيم المطعم بالعاج المصقول يلمع ، ويكاد سناه يذهب بالابصار ، اما أبوابه فصيغت من الفضة الخالصة ونقشت فيها ابهى الرسوم ، وافتن فلكان فصور فوق الجدران بالرسم البارز الارض والبحر والسماء بما فيها من قطان ؛ فأقام فى الارض غابها وادغالها ومدنها وانهارها وجبالها ووديانهـا .. حتى آلهتها . وأبرز فى البحر عرائسه المائسات الفاتنات ، فجعل منهن سابحات يتواثبن فوق الموج ، وجالسات على الذؤى يمشطن شعورهن الداكنة التى تحكى خضرة البحر ، وراكبات على ظهور السمك وحيوان الماء يتلاعبن ويتضاحكن .. وجعلهن ذوات صور متشابهات وغير متشابهات ، دليلا على حذقه وجليل قدرته ، وجعل فوق هذا كله صورة السماء بكل بروجها الاثنى عشر ، بحيث جعل منها ستة الى اليمين ، ومثلها الى اليسار .. خلق فلكان ، ومن أحسن من فلكان خلقا (١) ؟!

---

(١) ليذكر القارىء أن القصة اسطورة

وهكذا كان قصر الشمس آية من آيات الفن عجبا ، ومع هذه الابهة البالغة والعظمة الاخاذة ، فقد تقدم فيتـــون غير هياب ، ودخل فى غير وجل ، وكان يلمح اللمحة من الرسوم الجميلة والتصاوير الساحرة ، ثم يسلك سبيله قدما حتى كان فى البهو الاعظم الذى يستوى فى صــدره أبوه ، على عرش ممرد ناصع ، تنعكس منه أضواء لامعة خاطفة ، تبهر الانظار ، وتخسى الابصار . وسار الفتى مسافة قليلة ، ثم وقف مكانه عشيا من شـــدة الخطف والايماض ، ولم يدر ايان يذهب ، وكان أبوه متشحا بوشاح فضفاض أرجوانى ، وعن يمينه وعن يساره وقفت الايام والشهور والسنون ، ثم الساعات فى صفـــوف منظومة متلاحقة ، ثم وقف الربيع ــ وتمثله هنا امرأة ــ وفوق راسه اكليل جميل من الغار والزهر ، ومن بعده وقف الصيف ، وقد نضا جيب قميصه عن صدره ؛ وقبض على حزمة من سنابل القمح الناضجة بيمينه ؛ ثم هم الخريف متهالكا على نفسه ، وعلى قدميه أثارات من عصير العنب . . اما الشتاء ؛ فقد بدا شيخا وقورا جلل الشيب راسه ، وتراكم الثلج والبرد على شعره الناصع

وقد لمح ابوللو ولده فيتون حيث سمر مكانه ، وقد خطفت الاضواء بصره ، وأخذه المنظر العجب الذى سحره عن نفسه ، فيهتف به ويباركه ويقول :

ــ فيتون ! فيم قدمت يابنى ؟ لامر ذى بال ، ليس من ذاك بد ؟

ــ أوه ! يانور السموات والارض يا فوبوس (١) ! يا آبى ان أذنت لى أن أناديك بهذا النداء ! ان كنت حقا ابنــك فزودنى ببرهان اقدمه للناس حين أقول انى انا ابن ابوللو

ــ برهان ؟

(١) احد اسماء ابوللو

ـ أجل ، هب لى من لدنك برهانا يثبت أبوتك لى ، فلقد استهزأ بى التلاميذ ، ففضحونى فى بنوتى لك لابد من دليل ، هل تسمع ؟ لابد من دليل ؟

ـ لا عليك يا بنى ! لك ما أردت .. على أنه كان ينبغى ان تصدق كل ماقالت لك امك ، وانا من جهتى لست انكرك ، فأنت ابنى وانا والدك ، والان سل ما شئت فانى مانحك ايا ماتريد

ـ صحيح يا ابى ؟

ـ اولا تصدق ما اقول ؟

ـ بلى ، ولكن ليطمئن قلبى !

ـ صحيح يابنى ، واقسم لك بهذه البحيرة المقدسةالتى يحلف بها الآلهة !

فيتلفت فيتون حوله ليرى البحيرة ، ولكنه لا يجد لها اثرا ..

ـ واين هى تلك البحيرة يا ابتاه !

ـ ولد ظريف يافيتون ! أنا ما رايتها قط ، ولكنا نحلف بها فى كل أمر جلل يابنى ؟

ـ اذن هب لى ان اسوق محفة الشمس يوما واحدا بدلا منك

ـ وى ! فيتون ! اى طلب هذا ؟

ـ لابد ؟

ـ محال ياولدى ! انت حدث ، ثم أنت بشرى من بنى الموتى ! سل ملء الارض ذهبا امنحك ماتريد ؟ اما هذا ، فلا !

ـ كلا ، كلا .. لابد ان أسوق محفة الشمس من المشرق الى المغرب ليرانى سفهاء التلاميذ ، وليتأكدوا اننى ابن ابوللو ؟ !

ـ انها ستحرقك وتحرق التلاميذ اخوانك قبل أن

يروك !

ـ لا . . لن تحرقني ، أنت قادر على أن تجعلني احتمل كل شيء ! .. ألست الها ؟ ..

ـ بلى ، ولكن ..

ـ لكن ماذا ؟ لابد ، لابد ، محال أن اسألك شيئا آخر !

ـ يابني ، ان هذا ليس في طوقك ، انك ضعيف صغير ، والعمل الذي تطلب أن تتولاه شاق حتى على الالهة ، انى أقوم به والرعب يملأ قلبي ، وانا ، من انا يافيتون .. ان سيد الاولمب نفسه ، الاله الاكبر زيوس ، جل سناؤه ، وتقدست اسماؤه ، لا يستطيع أن يسوق عربتي الملتهبة ذات اللظى يوما او بعض يوم ، فما بالك أنت ؟ ان الثلث الاول من الطريق صعب المرتقى لانه يميل قليلا قليلا عن خط العمود ، وخيلي ترقى مزالقه (١) في صعوبة ليس بعدها صعوبة ، والثلث الثاني عال شديد العلو ، لانه يرتفع فوق قمة العالم ، حتى لاجزع انا نفسي من ان انظر الى أسفل تقية للدوار ان يأخذ في راسي (٢) حين ارى الى البحر المتمرد والبطاح الشاسعة والجبال الشم تزدلف من تحتي ، اما الثلث الاخير ، فحدور شاق كمهاوى الجبل اذا وقفت عليه فوق شعفته (٣) ، ولذا فهو يقتضي الحذر وحصر البصر ، حتى ان تاتيز الواقف في نهايته ليتلقاني ، يرتعد من الخوف على ، والرثاء لي ، خشية أن اتردى في هاوية اللانهاية هذه ، ولا تنس السماء التي تجري فوقي لمستقر لها ، بكل مافيها من كواكب واجرام ، فاذا غفلت لحظة ، او أخطأت قيادة العربة ، جرفتني في دورتها الى حيث لا أعلم أين تذهب او تستقر بي . ثم تدبر معي قليلا يافيتون ، اذا انا سمحت لك بقيادة العربة ، فماذا يصيبك من الهلع حين تنظر الى السفل فترى الارض

---

(١) المزالف : المراقي (٢) هذه عبارة القاموس (٣) قمته

تلف ، والسباع تهممهم فى الادغال ، والناس يكظون المدن ، والآلهة تطل من قصور الاثير ، والاشباح تسرى حواليك كالسمادير ؟ ماذا من الروع يعتريك يا ولدى ؟ هل تستطيع ان تكبح جماح الخيل او تملك الا يفلت العنان منك ؟ انك ستمر بين قرنى الثور امام الحوت ، وعلى مقربة من فكي العقرب وذراعى السرطان (١) .. يابنى ! هل تستطيع أن تقود الخيل التى تنفث اللهب من مناخرها وافواهها وسط هذه الدنى الدائبة ؟ اختر لنفسك يابنى ولا تجعل الناس ان يقولوا أهلكه أبوه »

وتشبث فيتون ، وركب رأسه ، ولم يشأ أن ينكل قيد شعرة ، فلم يسع ابوللو الا أن ينطلق به حيث عربة الشمس ! العربة العظيمة المطهمة ، المصنوعة كلها من الذهب الخالص ، وقليل من الفضة المزركشة باللآلىء والجوهر ، وأحجار الماس التى تعكس اشعة الشمس جميعا فتضاعف أضواءها ، وتزيد كثيرا فى لالائها

وتقدمت أورورا ربة الفجر ففتحت ابواب المشرق ، ونضرت بالورد طريق ابوالو ، ثم أخذت النجوم تثب كالحمائم قبل المغرب ، وفى اثرها نجمة الصبح فريدة كأنها الورقاء ..

وتلفت أبوللو الى الساعات المنتشرة عن جانبيه ، فأمرهن أن يسرجن الخيل ، فأطعن ، وقصدن الى الاسطبل الكبير حيث وجدن الخيل قد التهمت كفايتها من العلف المقدس، فوضعن فى أفواهها اللجم ، وأسرجنها بكامل عدتها ..

وتناول ابوللو وجه ولده فنضحه بطيوب الهية ،وضمخه بدهن كريم ، ثم قطر فى عينيه قطرات من ماء أولمب ، كى يقوى الفتى على تحمل الحرارة الفائقة ، والصبر لضوء

(١) كل هذه أسماء بروج فى السماء

الشمس القوى ، ثم وضع على راسه الصغير هالة النور الربانية ، واشار اليه فاستوى على العربة العظمى التى تجر الشمس ، فتنير اقطار السموات والارض ، وقال يوصيه :

ــ « اى بني ! ها انت قد استويت على عربة ابيك التى ماقادها من قبل أحد غيره ، ولا يقدر عليها أحد سواه ! أى بنى فاشدد اليك أعنة الخيل ، وتجنب أن تلهبها بهذا السوط ، فهى قد مرنت على الطريق ، وهى لا تبطىء حتى تحتاج الى ان تساط . اى بنى ولا تنحرف عن شمالك ابدا ، وظل منتهجا سبيل الاستواء الذى هو الدائرة الوسطى من الدوائر الخمس ، واحذر ان تعلو الى الدائرة العليا او ان تسفل الى الدائرة السفلى ، وسترى آثار رحلاتى من قبل ، فسر على دربها تصل ان شاء الله . أى بنى ولا ترتق معارج السموات فتصيب مساكن الآلهة ، ولا تهو قريبا من الارض فتجعل كل مافيها هشيما جرزا ، بل خذ الطريق الوسطى أبدا ، فان خير الامور أوسطها .. فاذا أفلتت الازمة من يديك ، فظل حيث أنت ، ولا تذهب مذاهب شتى فى رحب السماء . وسأتولى انا بعد ذلك انارة الارض والسموات . اى بنى وما دمت قد اخترت لنفسك برغمى ، فلا أقل من أن تعى نصيحتى والسلام عليك »

ورد فيتون على ابيه السلام .. وانطلق من ابواب المشرق ، وطفقت الخيل الصافنات تنفث اللظى فتموه السحب بالذهب ، وتسابق أنفاس النسيم التى تهب هى الاخرى رخاء من أبواب المشرق ..

وعجبت الخيل بعد شوط قصير من هذا الحمل الخفيف الذى لا عهد لها به ، وعجبت أكثر حين أحست

بالعربة تتأرجح خلفها كالزورق الذى ليس له صبرة (١) تثبت به فى مهب الاعاصير

وجمحت الخيل .. وانطلقت فى غير طريقها المعهود .. ولاول مرة ارتفعت حتى كادت تلامس الدبين الاكبر والاصغر ، فثار ثائرهما من لفح الحر ، ولاول مرة كذلك تحرك الثعبان المتحوى فوق نجم الشمال حين أحس الدفء فنفث سمه الزعاف ، وفرت من طريقه الكواكب .. ونظر فيتون تحته ، فرأى الارض تلف كالخذروف فريع قلبه ، وزلزلت نفسه ، وسقطت من يديه أعنة الخيل فجرت به فى السفل حتى اقتربت من الارض .. ونظر وراءه .. فرأى انه لم يقطع من الثلث الاول الا أقله ، ثم نظر أمامه فوجد أكثر الطرق وأوعره ، فزادت حيرته ، واسقط فى يده ، وترك كل شىء للقضاء والقدر .. وضاعف ربكته نسيانه اسماء الجياد .. وحدث ان ارتفعت هذه فجأة ، حتى كانت قاب قوسين من فكى العقرب ، ذلك الهولة المخيف الذى أوشك ان يبتلع العربة بمن فيها .. وشدهت ديانا ربة القمر حين رأت عربة أخيها تتخبط فى الآفاق ، وتصطدم بالكواكب ، فتحدث الشهب ، وتحرق العوالم السماوية : « ترى ماذا أصاب أبوللو ؟ مسكين ! لابد أنه نام . على كل حال سيستيقظ ! » ولكن العربة هبطت فجأة حتى صارت فى سماء الارض ، وحتى صارت الارض منها على مدى رمية سهم .. فما هى الا لحظات حتى شبت الحرائق فى كل الارجاء .. هاهى ذى الغابات العظيمة تشتعل .. وها هى ذى ألسن النيران ترقص فى كل فج .. وهاهى ذى الوحوش تجرى هنا وهناك ثم تسقط فى كل البقاع ..

(١) الصبرة والصابرة : الحجر الذى يضعه الملاح فى قعر زورقه حتى لا يميل فيغرق ، ويسميه العوام (الصابورة)

والمدن ! المدن العامرة الآهلة .. انها تحترق بمن فيها من شيوخ ضعفاء ونساء وولدان .. اما الشباب ! فواأسفاه على الشباب ! انهم يجرون كالجان الى البحار والمحيطات والانهار والينابيع ! وهاهم أولاء يقذفون بأنفسهم فيها . ولكن ! وا أسفاه : ان مياه البحار والمحيطات والانهار والينابيع تغلى وتفور ، ويعب عبابها بالحمم، فالشباب يستجيرون فيها من الرمضاء بالنار ! لقد بادت أمم ، واختبأت أمم فى الفيران والكهوف وشقوق الارض والجبال .. أما الطيور فقد خربت أوكارها ووكناتها ، ولم يسلم منها الا مالاذ بأفحوص أو أدحى (١) .. ومسكينات عرائس البحار ! لقد شحبت ألوانهن ، وذوى جمالهن وغصن فى الاعماق مع السمك يلتمسن الماء البارد ، ولجات أسراب منهن الى البحار الجنوبية ، وآثرن أن يعاشرن البنجوين ! . اما قمم الجبال العالية التى ظلت منذ الازل الاول مجللة بركام الثلج ، فقد خلعت حللها الناصعة ، وحلت عمائمها المخملية ، وصارت تلتهب .. فهذه طوروس الشماء وتلك القوقاز العاتية ، وهاتيك الألب المزهوة كلها تلتهب .. كلها تقذف بالحمم .. حتى أولمب مثوى الآلهة ، لقد غدا كومة عالية جدا من النار

ولقد كانت الصحراء اللوبية فراديس يانعة ولكن فيتون المجنون حولها الى رمال وكثبان ، ولولا أن أدخل النيل رأسه فى كثيب مهيل منها لجف ماؤه ، وتبخر فى السماء كله ، ليجرى فى كوكب آخر ! وهكذا فعل الفرات واخوه ، وكذا صنع الكنج والسند .. فشكرا لكل الانهار التى ضحت بنفسها من أجل سعادة البقية الباقية من النوع البشرى !

---

(١) الافحوص عش فى الارض ، والادحى بيت النعام

ياله يوم قيامة ؟ • لقد ضجت الآلهة فى الأرض ،وكلما حاول نبتيون الجبار اله البحار أن يخرج رأسه من اليم ليجأر بالشكوى الى أخيه كبير الالهة ، خاف وذعر ان تحرقه الشمس الهوجاء التى يسوق عربتها فيتون .. ولولا ان جازفت أمنا الارض فبـــــرزت من المحيطات وهتفت بزيوس العظيم لاصاب من بقى العذاب الاليم .. لقد قالت له : (يا جوف العلى ! يارب الارباب ! اصـــغ الى ، واستجب لدعائى ! ما هذا الذى نامت عيناك عنه فذهب بزرعى وضرعى ؟ اهذا جزاء خصوبتى وما تهب عبادك من حب واب وعنب وقضب وحدائق غلب ؟ ! أهكذا تكون عاقبة اخلاصى فى مكافأة عبادك الذين يقيمون لك الهياكل ويبنون باسمك الصوامع والمعابد ؟ ماذا من القرابين يارب الارباب يذبح باسمك بعد ان يهلك كل ما على من قطعان واسراب ورعال ؟ ثم هذه العوالم التى ما أنشأتها الا بعد عناء وجهد ؟ كيف تدع هذه الشمس الرعناء تأتى عليها جميعا ، وتصير كل شىء فى ملكك الى هيولى ؟ استيقظ يا جوف واستمع ، وادركنا بلطفك هذه الساعة التى نحن فيها أشد مانكون فى حاجة اليك »

***

وهب جوف من سباته العميق على جؤار ربة الارض، وابصر فرأى ماحل بالعالم الجميل من تدمير ووبال .. فألم وتصدع .. ونظر الى عربة الشمس ينتفض فوقها غلام يافع عرف فيما بعد أنه فيتون ابن أبوللو فهـــاج وماج ، وأخذ صاعقة من اكبر صواعقه وأقتلها ؛ ثم أحكم تسديدها الى الراكب المجنون .. وارســـلها تقصف وتعزف .. وتهز الافلاك . فأصماه وارداه !!

وسقط الغلام الاحيمق من علو العالم يتقلب فى نهـر اريدانوس المتدفق فى سهول ايطاليا .. حيث مات . .

واستراحت الدنيا كلها منه ؟ وعادت الشمس الى ربها .. ابوللو المسكين .. فهو يجرى بها الى اليوم لمستقر لها !

اما كليمين البائسة ، فهى الى اليوم تبكى ولدها .. وقد بكته معها أخواتها ، وكن فى كل صباح يذهبن الى النهر الذى سقط فيه فيسكبن دموعهن ، حتى رثت لهن الالهة ، فسحرتهن الى ايكات ثلاث من شجر الحور ، فهن حانيات على النهر منذ ذلك اليوم

وكلما سكبن دموعهن حارت الدموع الى كهرمان كريم

وحزن سيكنوس ، صديق فيتون ، على خدن صباه ، فجمع رفاته ، وبنى لها قبرا من الرخام تظله الشجرات كتب عليه : « ما أتعس الانسان اذا احتاج الى برهان على انه ابن فلان ؟ »



بلوتو يخطف برسفونية

أسطورة الربيع

كانت ديميتير الطيبة (١) ، ربة الخيرات ومغدقة البركات ، الرحيمة البارة ، ملونة الزهر ومنضجة الثمر ، واهبة الحقول خضرتها والبساتين نضرتها .. كانت ديميتير الطيبة تسكن فى قصر منيف يشرف على سهل انا Enna ؛ اروع سهول جزيرة صقلية جمالا واعذبها واطيبها هواء ، وكانت حين يتنفس الصبح ، تلبس تاجها اليانع الذى ضفرته من سنابل القمح ، وتتناول باقة من زهرات الخشخاش ريانة ، وتقبض بيمينها على صولجانها العتيد ، المرصع بالزبرجد ثم تستوى فى عربتها المطهمة ، فتنطلق بها الصافنات الجياد تجوب أنحاء الارض ، وتمر بكل مزرعة ، وتقف عند كل كرمة ؛ تهب القمح من نفحاتها فيربو من بركاتها ويزكو ، والينع من انفاسها فيطيب . ثم تعود اذ يجن الليل ، فتهرع اليها ابنتها الصغيرة

(١) برسفونيه اليونانية هى بروزوز عند الرومان ، ربة الربيع . وهى بنت ديميتير ربة القمح والخصب ، ويسميها الرومان سيريز Cérès وكان هؤلاء يقدسونها ويقدمون لها القرابين من الخنازير خاصة فى عيدها العظيم الذى كانوا يسمونه Cerealia وكانت لوائح مجلس الشيوخ الرومانى تحتفظ بها عادة فى معبد سيريز . وقد اشتقوا من اسمها اللفظة Cereals للحبوب

برسفونيه فرحة متهللة ، لافة ذراعيها الجميلتين حول ساقي أمها ، كأنما تبثهما ما في قلبها الصغير من لوعة وغليل ؟

وكانت الفتاة برسفونيه ـ تقضي سحابة النهار ، الى أن تؤوب أمها ، في سرب من أترابها ، بنات الغاب الحسان فيظللن يقطفن الزهر ، ويجمعن الرياحين ، ثم تنشب بينهن معركة حامية من معارك الطفولة ، وملحمة صاخبة من ملاحم الصبى ، فيتراشقن بالورد ، ويترامين بالزنبق الفض ، ويتضاربن بأفواف السوسن .. وهن فيما بين هذا وذاك يقرقعن بالضحك ويتبادلن النكات ، ويتغنين الاغاريد ، فتستجيب الغابة لهن ، وتترقرق الغدران من تحتهن ، وتهدل الاطيار من فوقهن ، وتمتلىء الدنيا حولهن نشوة وحبورا

وكان بلوتو : اله الموتى ، ورب الدار الآخرة ، قد مل هذا السكون المخيم في مملكته تحت الارض : هيدز ، وسئم هذه الاشباح التى تطيف به هنا وهناك في الظلمات المحيطة به ، وارواح الموتى تئن وتتوجع في كل مكان من ملكه الموحش الحزين ، فأسرج عربته الضخمة ، والهب جيادها بسياطه القاسية ، فانطلقت تعدو به الى .. الدار الاولى . هذه الحياة الدنيا !

خرج بلوتو يروح عن نفسه ، وينشق هذا النسيم الحلو الذى يغمر ملكوت اخيه زيوس ، ويروى روحه الظامئة بالتفرج على عرائس الماء وبنات الغاب ، اذ أبين جميعا ان يشاركنه ملكه الرحيب ، ورفضن التزوج منه ، برغم ما أغراهن به من اللآلىء واليواقيت

وفيما هو ينهب الارض بعربته ، اذا به يسمع في غيضة قريبة ، ضحكات مرنة ، وأصواتا موسيقية ، وأحاديث كأنها دنانير من ذهب في كف صيرفي حذق ! فساقه الفضول

الى استكشاف أولئك الغيد اللائى يتضاحكن هكذا ، كأنما يترنمن بالشدو ، ويرجعن بالغناء ! ففرق العساليج التى كانت تحجبهن ، فرأى البـــدور البيض على الحشيش الاخضر ، كأنهن نسمات حلوة تنطلق من أوتار ارفيوس !

وجن جنون بلوتو ! • وأقسم ليخطفن هذه الفتـــاة الخدلجة المشوقة التى تدل على الجميع كأنها فينوس فى دولة الحب ، أوديانا تخطر بين اماليد !

« الام أظل فى هذا الديجور الحالك وحدى ؟ ! وحتام أقاسى منفاى السحيق من غير صديق أو رفيق ؟ ! وما قيمة ملكى الشاسع ، وأنهارى الفائرة بالحمـــم مادمت لا سمير لى ولامؤنس ، الا زبانيتى وكلابى ؟ والاشارون (١) المسخ الكئيب ؟

لقد مللت ! ولابد لى من هذه الكاعب الحسناء ، والغادة الهيفاء !

ان لها لفما رقيقا ... وانها لتنثنى كالغصن ، وتخطو كالقطاة !

يا للثديين •• !

مالهما بارزتين هكذا ؟ أتطلبان حضنا قويا كحضنى ؟ أم يملؤهما لبن الالهة ، ورحيق السموات ؟!

يا للفخذين الملتفتين المتلئتين ! !

انهما مترعتان باللذة ، فياضتان بالاغراء والترغيب ! مالهما تنفجان شهوة هكذا ؟ !

وهاتان حماتا (٢) الساقين ! ويلى عليهما وويلى منهما!!

انهما حماتان خبيثتان كأبرع ما تنحت يدا فنان!!انهما تمتلئان لذاذة ، وتطلقان رقى السحر فى قلوب الناظرين !

(١) شارون حارس بوابة الجحيم ونوتى انهارها
(٢) حماة الساق أو ربلتها : بطنها

كورتا تكويرا خفيفا من فوق ، وانعقد دهاء الفتنة عند التفاف العضل ، فأفعمهما رغبة واشتهاء !!

وقدماها ! !

يالعقبين المستديرتين ، والجنة النائمة فيهما !!

والذراعين الناعمتين !

والظهر العاجى الناصع !

والشعر الذهبى يداعبه النسيم كأنه خصلة من ظـلال الخلد ! !

ويلى !

أنا لا ارى الا هذه الأعضــاء السـابية ، واغفل عن هذه الابتسـامة التى ترف حول الفم ! !

انها أجمل من زهرة التفاح فى أوائل فصل مايو ، وارف من بتلات أزهار اللوز فى شهر ابريل ! !

تلمظ يافمى ، فانك ظمىء الى قبلة تطبعها على هــاتين الشـفتين الأقحوانيتين !

وسمع احدى الفتيات تناديها : « برسفونيه ! أنظرى هاك بنفسجة حلوة ! »

فتحدث الى نفسه :

« برسفونيه !

هذه عروس الربيع اذن ! ابنة ديميتير من أخى زيوس !

لقد كبرت وترعرت ، ونهدت ، وطابت فى جسمها البض ثمرة الحياة ! !

اغفر لى يا أبى ساترن (١) ! سامحينى يارها (٢)

سأخطفها ! سـأجلسها بجـانبى على عرش هيدز

---

(١) تزاوجت السماء (أورانوس) والارض (جى) فأعقبت آلهة كثيرة منها ســاترن الذى اعقب بدوره الالهـة زيوس رب الاولب وبلوتو رب الموتى وهـستيا رب النـار المقدسـة وديمتير وحيرا الخ ومن أشهر ابنائه بوسيدون رب البحار

(٢) رها زوجة ساترن واخته

ستصبح مليكة دار الموتى ! ستنقشع ظلمات ملكوتى بوجهها المشرق الجميل ..

لن أشعر بشقوة ، ولن أحس خبـــاء فى ملكى ! انها ستكون جوهرة التاج وفتنة العرش ، وستجد الارواح تحت قدميها المعبودتين !!

سأترك لها ان تغفر وتثيب ، وسأدع لهـا مقاليد السفل تصنع فيه ما تشاء ! »

***

ثم ألهب جياده فانطلقت نحو الفتيات ، ولشدماتفزعن اذ لمحن وجهه الاغبر ، يتدلى عليهشعره الاشعث .والظلال المظلمة تتخايل فوق جسمه كالسمادير (١) !

ولقد كان كلبه سير بيروس ، ذو الرؤوس الثلاثة ، يلقى الرعب فى القلوب !

وفر الحسان مذعورات ... الا برسفونيه ، فقـــد قبض بلوتو على ذراعها الرخصة وجذبها اليه فى العربة ، وذهب يسابق الريح ويلاحق البرق ، حتى اعترضه ماء نافورة اخذ عليه سبيله . وسرعان ما فار الماء كالتنـور ، وصار يغلى كالحميم ، حتى خشى بلوتو الجبار أن يعبره ، وأوجس ، ان هو انثنى عن طريق آخر ، أن يضيع الوقت ، وتفلت الفرصـــة ، وتروح ديميتير تفتقد ابنتهـــا حتى تستنقذها من يديه . فتناول صولجانه الهائل ، وضرب به الارض فرجفت وزلزلت وانشقت عن اخدود كبـــير بعيد الغور ...

وكانت برســفونيه قد أفيقت من هلعهـا ، فلما رأت النافورة تغلى وتصــطخب ، أدركت ان احدى عرائس الماء قد عرفت من أمرها كل شيء ، وانها قد تستطيع أن تؤدى لها خدمة فى ذلك المأزق الحــرج ،فحلت (برسفــونيه)

(١) الظلال التى تتراءى فى عين كليل البصر

زنارها الحريرى الأبيض ، والقت به عند ضفاف النافورة عسى أن يصل يوما الى أمها عن طريق هذه العروس ، فتعلم أين هى ، وماذا تم من أمرها

وانطلق بلوتو فى ظلام الاخدود حتى وصل منه الى مملكته ... هيدز ! فاستوى على عرشه مثلوج الصدر خفاق الفؤاد !

ثم طفق يترضى برسفونيه بشتى الوسائل ، وهى لا تزداد الا شماسا ونفورا . . . طاف بها أرجاء مملكته الشاسعة ، وأراها شطئان ستيكس وأشيرون وليث ، وسائر أنهار الجحيم ، ثم خاض بها وادى الأفاعى والعقارب . ومدينة الزنابير واليعاسيب ، والدرك الاسفل من النار حيث المنافقون والكذابون ، وحديقة الخونة واللصوص ذات الأشجار من لظى ولهب . . . ولم يفقه المغفل أنه كان يضاعف فزعها أضعافا مضاعفة كلما مر على منظر جديد من ملكه البغيض ! !

***

وعادت ديميتير فى المساء ، ولكن برسفونيه لم تهرع للقائها كعادتها ، فحسبتها نائمة . . . بيد أنها لم تجدها فى مخدعها ، فافتقدتها فى جميع الغرفات ، ولكن عبثا حاولت أن تقف لها على أثر ! فاضطربت نفسها بالوساوس ، وخرجت تبحث عنها فى الحديقة ، فلم تجدها كذلك !

ريعت الأم وارتعدت فرائصها ، وانطلقت تعدو وهى تصيح كالمجنونة :

« برسفونيه ! برسفونيه ! أين أنت يا برسفونيه ! »

ولكن لسان الصدى ــ ايخو ــ هو وحده الذى كان يردد نداءها . . .

ووصلت الى ابن أخيها هيفيستون (١) اله النار فأعارها

(١) هوفلكان الرومانى

شعلة عظيمة تنير لها ظلمات العالم ، ودياجير الليل ، عسى ان تهتدي الى برسفونيه

جاست خلال الغابات ، واخترقت الأودية . وفتشت الشطوط ، ونفذت الى أعماق الكهوف ، وجالت فى مهاوى الجبال ، ورقت الى شعاف الآكام . . . وبحثت عنها فى جميع الآفاق . . . فلم تعثر بها ؟!

استعانت بالآلهة ، واستنجدت بعرائس البحار ، ولكن جهودها ضاعت عبثا . . .

وجلست ديميتير كاسفة البال ملتاعة القلب ، تعلو جبينها عبوسة قمطرير ، وتنوء بروحها آلام وأشجان... واضربت عن الطعام

وآلت لا ينضر حقل ولا يذر نبات ، ولا تثمر شجرة ، مادامت ابنتها نائية عنها . ! فجفت السهول ، ويبست سوق الحنطة قبل ان تؤتى اكلها ، وخرفت البساتين دون الثمر ،فعجف الناس، وضمرت بهيمة الارض ،ونشر الجوع الوية الخراب في العالمين ! !

وانصرف الناس يصلون لزيوس ، ويضرعون الى ديميتير ، ولكن الحزن صرفها عنهم فلم تسمع لصلاتهم ولم تلب نداءهم ...

وفيما كانت تجوب القفار ، وتطوى المهامه البيد ، اذا بها تصل الى النافورة التي القت عندها برسفونيه بزنارها . .

وانها لتجلس عند حفافيها تفكر فى أعز البنات ، اذا بعروس الماء أريثوذا، التى لمحت بلوتو يخطف برسفونيه، والتى أهاجت النافورة لتقطع عليه سبيله ، تظهر من الماء فجأة لترى من هذه الجالسة عند دارتها تئن وتتوجع ، وتعلم انها الربة ديميتير أم الفتاة ، فتتحدث اليها قائلة :

« ديميتير ! عزيز علينا أن تجزعى هكذا ؟! طيبى نفسا

وقرى عينا ، فان بلوتو رب هيدز هو الذى خطف برسفونيه! وهاك زنارها شاهدى على ذلك ولقد تبعتها الى الدار الآخرة احسب أنى استطيع ان أؤدى لها يدا أو معونة ولكن الآله القاسى أغرى بى زبانيته ، فانطلقت مذعورة من اللعين الفيوس .... فعليك أن تخلصى الفتاة فانها لا تذوق طعاما ، ويكاد الحزن يصعقها برغم أنها اصبحت مليكة دار الفناء »

وتناولت ديميتير زنار ابنتها فعرفته ثم طفقت تلقيه على عينيها وصدرها ... ساكبة دموعها الغوالى !

وقصدت من فورها الى زيوس فحدثته بما قالت عروس الماء اريثونا وأقسمت لديه ان لم يأمر أخاه برد برسيفونيه ، لتهلكن عباده جوعا ، ولتجعلن وجه الأرض فدفدا يبابا ... لاتسمن بزرع ، ولا تروى بضرع !

فتأثر زيوس من قولها ، وابتسم ابتسامة حزينة ، ثم قال : « لابأس من عودة برسفونيه اذن ... ولكن ! على شريطة الا تكون قد ذاقت طعاما فى هيدز ، مملكة أخى ، فانها ان كانت قد فعلت، لاتصلح للحياة فى الدار الاولى!»

ولسوء الحظ كانت برسفونيه ، بعد امتناعها عن ذوق شىء من طعام هيدز طوال هذه الأشهر ، قد أكلت فى نفس ذلك اليوم الذى وعد فيه زيوس بعودتها الى الدنيا ست حبات من الرمان فحسب ! فلما علم زيوس بذلك ، عدل حكمه ، فقضى أن تلبث برسفونيه فى هيدز عند شقيقه بلوتو ستة أشهر من كل سنة ، اى شهرا بكل حبة مما أكلت !! وتعود الى أمها فتلبث معها ستة أخرى ، فيعود بعودها النماء الى الزروع ، والازدهار الى الحدائق

عاشت برسفونيه ربة الربيع ! ولا طال على الناس مغيبها فى هيدز ... ! عند الشرير بلوتو ... الذى حرم الحياة من أن تكون ربيعا كلها ! !

مصرع بروكريس



راته أورورا حينما كان الصبح يتنفس أنفاسه الندية العطرة يثب فوق الجبال ويصيد الوحوش بين الادغال ؛ فهامت به ، ووقفت تعبده ، وتروى من جماله ، وتسقى نفسها الصادية أبدا الى كل ريان مفتان .. وحاولت أن تكلمه فشاح بوجهه ، وتصدت له فأعرض عنها ، ثم انطلق فى أثر ظبى فلم يزل به حتى أرداه ، وانحنى يحمله .. ولكنه وجد مكانه أورورا ؟ . وجدها متجردة تمرغ جمالها تحت قدميه ، فنفر نفرة جرح بها كبرياء ربة الفجر الوردية ، وجعلها ترمقه بعينى أفعى ، تود لو تنفث فى صدره سمها فترديه ..

« أنا أورورا ، ربة الفجر والندى ، حبيبة الزنبق والبنفسج والورد ، لا أروق هذا الانسى المخلوق من تراب ! وحق أبى لآسرنه ولاسجننه ، ولاجعلنه يتلوى تحت قدمى ، ويبكى من أجل قبلة أمن بها عليه ؟ »

وأرسلت رقية من رقاها الساحرة فنشرت الظلام على عينيه ، والنسيان فى قلبه ، وبات لايملك لنفسه حلا ولا عقدا .. ثم حملته الى كناسها (١) فى شعاف الاولمب ، وحبسته ثمة ، واذهبت عنه طائف السحر فأدرك ووعى ؛

(١) الكناس بالكسر بيت الظبى

وهب مذعورا ؛ ثم غرق فى شىء كالحلم ، لما رأى العماد من ذهب ، والطنافس من عجب ، والكأس حفهـا الحبب ؛ والندامى والطرب ؛ وكل راقصة كالخيال يراقصها امرد كالطيف ، فتميل وتختال ، ويتأود كالسيف .. وآورورا مع هذا وذاك تدل وتتبرج ، وتفوح وتتأرج ، كأنها ربيع بأكمله ، زخرف الدنيا بالزهر ، ووشاها بالروض ، وابتعث فيها المرح والحياة

ـ أين انت اذن ؟ سيفال ! اين انت ؟

ـ أين انا ؟

ـ الا تعرف ؟ هذه غرفات الاولمب ؟

ـ الاولمب ؟ !

ـ أجل .. أولمب اربابك

ـ محال ! لن يكون الاولمب هكذا !

ـ ولمه ؟

ـ لان الاولمب مأوى الصالحين ! اليس الآلهة اجدر منا بالتقوى ؟ ماهذا ؟ أخمر ورقص وطرب .. وفسق فى الاولمب ؟ لا .. ليس هذا الاولمب . لن يكون الاولمب هكذا !

ـ بل هو الاولمب ياسيفال ؟ وليس ماترى هنا الا قليلا مما هناك ! هل ترى فينوس ؟ ألم تصل لها ؟ انظر من هذه الكوة فهى تطل على حديقتها !

ـ وأنا ما شأنى ؟ أريد أن أذهب

ـ تذهب ؟ تذهب الى اين ياسيفال ؟ لن تبرح عاكفا على اللهو الذى ترى !

ـ لا ؛ لن يقوى الاولمب كله على قهرى !

ـ ها . ها . مضحك . انت مضحك ياسيفال ؟ كل الاولمب ؟

ـ أؤكد لك !

ـ ولمه ؟

ـ لانى أحب زوجتى واقدسها .. انها جميلة جدا

ـ أجمل من أورورا ؟! أليس كذلك ؟

ـ أجمل من اورورا لدى كل من ينظر بعينى زوج امين مخلص !

ـ أنت عنيد ياسيفال ! انك تزدرينى !

ـ بل انا انتصر للفضيلة التى كان ينبغى ان تتنزل علينا من الاولمب ! من جاء بى هنا ؟

ـ انا ..

ـ ولماذا ؟

ـ أنت تعرف !

ـ لا اعرف شيئا .. والذى اعرفه لا يليق بشرف ربة ! أرجو أن تطلقى سراحى ! ..

ـ اذن أنت تفضل على زوجتك ! اهى اجمل منى ؟ الا تزال تعتقد هذا يا سيفال ؟

ـ انا افضل زوجتى لانها لم تتلوث .. وما زلت اقول انها اجمل منك لاننى انظر اليها بعينى لا بعينيك !

ـ زوجتك اجمل من ربة الفجر الوردية ؟

ـ اجمل من ربات الاولمب جميعا ، الا من تجملن بمثل روحها ، ولست منهن .

ـ أيها التعس !

ـ ولم اكون تعسا وانا أسعد الناس بزوجتى بروكريس!

ـ بروكريس ! ها ! عرفتها ، احدى وصيفات ديانا ، حقيرة مثلك ، اغرب من وجهى ايها القذر اذهب ! اذهب الى زوجتك بروكريس التى تفضلها على أورورا ، ستتمنى

يوما أنك لم تعرفها ، وانها لم تكن زوجتك ، اذهب ،اذهب»

وبلغ بيته وهو يلهث من التعب ، ويرتجف مما ألم به ؛ فلقيته زوجته الجميلة الحسان بابتسامة شفت صدره وقبلة ذات حميا أذهبت بعض ما وجـد .. الا انه كان ينتفض آنة بعد آنة ، ويعود فيبتسم ، ثم تغرورق عيناه بدموع نقية كاللؤلؤ كلما نظر الى زوجتـه ؛ حتى هجس وسواس في قلب بروكريس فقالت له :

ـ ماذا ياسيفال ؟ أتخفى عنى ذات صدرك ؟

ـ كلا ؛ ولكنها أورورا ...

ـ ماذا ٠٠ ؟ ماذا صنعت بك ربة الفجر ؟

ـ كانت تحاول ان تسحرنى عنك ٠٠ أو ٠٠ تشركنى فيك على الأقل ؟ !

ـ ... ؟ ...

ـ ولكنها فشلت ٠٠ لقد أذللت كبرياءها

ـ وهل استطعت ؟ انها جميلة وصناع ، ولها فى الغزل الصارخ اساليب خارقة ياسيفال ...

ـ لقد قهرتها واســـاليبها ... ان قطـرة من معين اخلاص ؛ تطفىء لظى جحيم يا بروكريس !

ـ لا ريب يا حبيبى .. انا امزح فقط ... سيفال ، عندى لك مفاجأة طيبة

ـ مفاجأة ! أية مفاجأة يا بروكريس ؟

ـ تعال ... افتح هذه الغرفة

ـ أوه ! ما هذا ٠٠ كلب عظيم ، من أين يا بروكريس ؟ انه سينفعنى كثيرا فى صيدى

ــ ومفاجأة أخرى أعظم ! انظر فى ركن الغرفة !

ــ هه ! حربة لم أر قط مثل هذه الحربة ! انها ليست من صنع بشر ! آه ! انها من صنع فلكان لاشك .. ! البشر لا يجيدون أن يصنعوا مثل هذه !

ــ أحزر اذن ممن الهديتان ؟

ــ من الملك !

ــ وانى لى ان يهدى الملك الى ؟

ــ ممن اذن ؟

ــ احزر !

ــ لا أدرى !

ــ انهما من ديانا يا سيفال ! أهدتهما الى هذا الصباح !

ــ من ديانا ؟ آه !لقد ذكرت ذلك أوروزا ..

ــ ماذا ذكرت لك أوروزا ؟

ــ إنك كنت احدى وصيفاتها !

ــ وأى ضير على أو عليك فى هذا ؟ أليست هى احدى تابعات ابوللو ؟ لقد كانت ولا تزال تتمنى أن لو كانت احدى وصيفات ربة القمر !

ــ لا ضير ، لا ضير يا بروكريس

ــ انى أهب لك ما أهدت ديانا الى ! ..

ــ اشكرك !

ــ الكلب لا تسبقه الريح ، والحربة لا تخطىء الغرض

***

وظل سيفال يعود اصيل كل يوم الى زوجته مثقلا بانواع الصيد ، وأحب كلبه وحربته حبا لا يعدله الا حبه بروكريس

واشتهر أمر الكلب فى الاقليم كله وذاع صيته ، حتى لقد اخطأ بعض افراد الشعب فى حق بعض الآلهة ، فسلط عليهم ثعلبا سلقا (١) لم يستطيعوا مكافحته ، ولم تقو كلابهم له على طراد ؛ فاجتاح ماشيتهم ، واتى على دجاجهم وعاث فى حقولهم ، ونفش فى زروعهم ، ولم يدروا كيف يكون خلاصهم منه ، حتى سمعوا بكلب سيفال فرجوه فيه؛ كيما يطلقه فى أثر الثعلب فيريحهم من شره .. وانطلق ليلاب ـ وهذا هو اسم الكلب ـ وراء الثعلب ، كما يمرق السهم عن القوس ، أو كما تمرق النظرة الخاطفة عن العين النجلاء ، وما انفك يحاوره ويداوره ، وينبح به فيزلزله ، حتى هم ان يفتك به ويمزقه اربا .. ولكن حدث ان كانت الالهة تتطلع من قلال الاولمب ، تتفرج بهذا الطراد ،وتشرح صدورها بمرآه ، فالتفت بعضها الى بعض ، وعز عليها ان يقتل كلب الهى ثعلبا الهيا أمام الملأ من الناس ، فقضوا نتوهم ان ينقلب الاثنان فيكونان تمثالين من المرمر الناصع، فهما كذلك الى اليوم !!

وأسف سيفال على كلبه ، وانقلب على عقبيه غضبان اسفا ... ولم يزل فى كل يوم ، وفى مثل تلك الساعة التى حاقت بكلبه العزيز هذه النازلة ، يتوجه اليه ، ويقف قليلا عنده ؛ حانا الى ذكراه ، آنا على ماحل به ؛ ثم ينطلق بعد ، وفى يده رمح ديانا ، فيصيد الظباء بدون ليلاب

وانطلق مرة فى اثر ظبى فأنهك قواه ، ونال منه الاعياء ، وانسدح على العشب الأخضر فى فىء دوحة باسقة ، ثم راح يتخلج (٢) من شدة التعب ، وكان الوقت ظهرا ، وكان القيظ قد اجج الدنيا حوله ، فتفصد (٣) العرق من

(١) السلق . الذئب (استعمل هنا صفة لتوحش الثعلب

(٢) يشكو من التعب ويضطرب

(٣) جرى وتصبب

جسمه المنهوك ، وتراخت عضلاته ، ووهنت روحه ، وانشأ يردد كلاما كالأغنية يرسله هكذا :

اين انت يا نسمة ؟ يا ابنة الربيع اللعوب
يا منعشة الروح المتعبة ، أين انت ؟
هلمى يا نسمة ، هلمى الى سيفال ،
فهو مشوق اليك ، يرجو لو تنفسين عنه ،
هلمى يا نسمة ففرجى عن سيفال المضنى ،
وهبى على راسه الملتهب ، وصدره المكروب ،
لقد كنت يانسمة ، يا أحلى قبل الحياة
تداعبين جبينى ، وتنعشين نفسى ،
فما ذا حال بينك وبينى ، يا نسمة الربيع ،
وساقية الحب ، ورسوله بين المحبين ..

وكانت أوروزا ما تفتأ تتعقب سيفال فى كل فج ، وترقبه فى كل حنية ، وكانت تقف فى صورة بلبل فوق رأسه ، مختبئة فى افنان الدوحة التى نام فى ظلها ، فلما سمعته يتغنى غناءه ، ضحكت واستبشرت ، وانتهزتها فرصة نادرة للايقاع بينه وبين زوجته ، وانطلقت من فورها الى بروكريس ، حيث تكشفت لها فى صورة احدى صويحباتها:

ـ بروكريس !
ـ مرحبا بأعز الحبيبات ، ماذا جاء بك فى هذا القيظ ؟
ـ نبأ اسود ما كنت اوثر ان احضر اليك به !
ـ نبأ اسود ؟ يا للهول ! ماذا ؟
ـ أرجو الا أثير سخطك على ..
ـ كلا ... كلا ... عجلى ارجوك !
ـ سيفال !
ـ ماله ؟

ـ أتذكرين يوم رويت لي ما كان من أمره مع أورورا ؟
ـ لم انس ! ولكن مال سيفال ؟
ـ يبدو لي اني لم اكن مصيبة في تبرئته ! لقد نفيت شكوكك فيما ذهبت اليه من الميل الى ربة الفجر ، وقلاه لك لما عرف انك كنت وصيفة ديانا !
ـ وماذا حدث بربك ؟
ـ انه يحب فتاة اخرى اسمها نسمة ! انه مولع بها أشد الولوع !
ـ لا اصدق !
ـ لا تصدقين ؟ وهل انا كاذبة ؟
ـ وكيف عرفت ؟ هل أوحى اليك ؟
ـ بل سمعته يهتف باسمها ، ويشدو بحبها ، ويتغنى أحر الغناء !
ـ لا اصدق ، لا اصدق ، سيفال لايحب واحدة سواى !
ـ هل لك في ان تسمعي غناءه بأذنيك ياصديقتي !
ـ واين هو ؟
ـ قريب من الدغل (١) الذى عند النبع ... سأحضر لك حصانا صافنا وغابت أورورا ، ولم تتلبث طويلا ، بل عادت بعد هنيهة ومعها حصانان مطهمان ، ركبتاهما واسرعتا الى الدغل ... وكان فؤاد بروكريس يخفق كالعاصفة ، وكان وجهها قد شحب وامتقع حتى صار كالليمونة ، وكانت الف فكرة تزحم رأسها وتثور فيه كالبركان ، وكانت ماتنفك تحدث نفسها بالهواجس فتقول : « نسمة ؟ ترى ما نسمة هذه ؟ عروس من عرائس البحر ؟ أم غادة من غيد السوق ؟ أم ربة كأورورا من ربات

---

(١) الشجر الكثيف الملتف

الأولب ؟ اهي جميلة ؟ اهي اجمل مني ؟ الها عينان كعيني ؟ الها روح تستطيع ان تمتزج بروح سيفال بقدر ما امتزجت به روحي ؟ اهكذا ياسيفال ؟ لقد غلبت اليقين على الشك يوم أن ذكرت لي أمر اورورا معك ، فلم تعد الشكوك لتفترسني ؟ يا ترى ؟ الست تعود الى أصيل هذا اليوم مثقلا بصيدك كسابق دابك ؟ حنانيك يا آلهة السماء »

وكانت زفراتها لا تخفى على أورورا ، فكانت هذه تواسيها

واقتربا من الدوحة التي نام تحتها سيفال وراح يغني ... واشارت اورورا الى الزوجة البائسة فاختبأت في الحشائش الطويلة القريبه من سيفال ، بعد ان تركت جوادها بعيدا عن المكان ... وهناك أنصتت بكل سمعها وقلبها ، فسمعت زوجها لا يزال يتغنى باسم نسمة ويقول

يانسمة ، الام أهتف بك يا نسمة
يانسمة يا احب شيء في هذا الحرور
تعالي قبلي خدي ووجنتي وجبيني !
كم أنا مشتاق الى نسمة يا سماء
فابعثيها رخية ندية ، عليلة بليلة
تنعش فؤادي وتثلج برفيفها صدري

وكان ما خافت بروكريس ان يكون ! فها هو ذا سيفال يهتف باسم حبيبته نسمة ويتغنى ، ويتمنى لو جاءته تقبل خديه ووجنتيه ، وها هو ذا يضرع الى السماء ان ترسلها اليه رخية ندية تشرح الصدر وتثلج الفؤاد . فماذا بعد هذا ؟ واى برهان وقد سمعت الاذنان : « اذن ، لقد كذب علي في الاولى ، ولن يكذب علي في الثانية .. اذن لقد صبأ فؤاده الى أورورا ، ولا يزال فؤاده يصبو الى الغانيات من كل جنس وفي كل فج . آه للنساء الضعيفات من الرجال الاقوياء ، ويلي عليك يا سيفال ، ويلي عليك وألف ويل !

وعاثت الوساوس في صدرها ، وانقلبت اضواء الظهر

الساطعة ظلاما داجيا فى عينيها الحزينتين ؛ فأرسلت آهة عميقة قطعت بها على سيفال غناءه ، فهب الفتى مذهولا مروعا ، وحسب ان وحشا يتربص به فى الحشيش ، فجمع قوته ، وتناول حربته ـ حربة ديانا التى لا تخطىء ـ وأطلقها الى المكان الذى صدرت منه الهمهمة ، وذهبت الحربة لتستقر فى صدر بروكريس ! .. وا أسفاه !

لقد جرى سيفال ليرى هذا الصيد الجديد ، فماذا رأى

ـ بروكريس ؟ يا للهول ؟ اهو انت ؟

ـ ... ؟ ...

وماذا جاء بك الساعة يا حبيبتى ؟

ـ لا .. شىء .. فقط .. لا تتزوج .. نسمة . من بعدى !

ـ نسمة ؟ أوه ! انها .. لا شىء .. لقد كان الجو متاججا من الحر ياحبيبتى ... وكنت أتمنى ان تهب على نسمة من الريح تروح على !

ـ أحق ... هذا ؟ ...

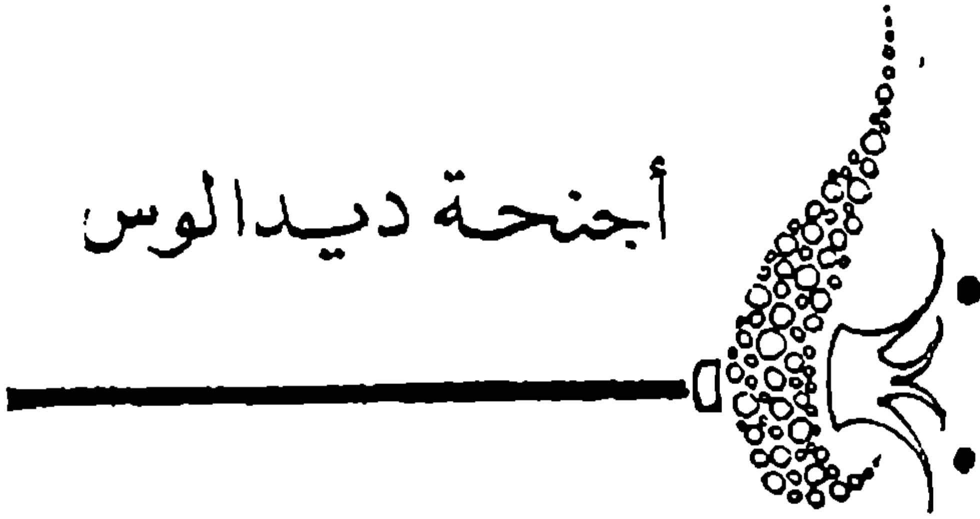
ـ هذا هو الحق وحبك يا بروكريس !

ـ اذن .. سلام ... عليك !

ـ بروكريس ! بروكريس ! لا . لا تغمضى عينيك دونى؟ افتحيهما لسيفال !

ولكنها ماتت ، وماتت بيد زوجها وحبيبها الامين الوفى!

وارسل الفتى أنينه فى الآفاق ، ورفع وجهه ليقلبه فى السماء بالشكوى ، ولكنه راى أورورا واقفة تبتسم وتضحك ... فجن جنونه ، وانطلق هائما على وجهه ، لا يلوى على شىء ، ولا ترقأ له دموع ... حتى مات !!



أجنحة ديدالوس (*)

لم يكن فى اثينا القديمة على ما اشتهرت به من روعة الفن وكثرة الفنانين ، من هو امهر من ديدالوس العظيم فى نحت الدمى وصناعة التماثيل وهندسة المبانى الضخمة . ولقد كان يتنقل بين المعاهد اليونانية ، وخاصة بين كريت وقبرص واثينا ، لكثرة الدعوات التى كانت تصله من ملوكها ، ليقوم على بناياتهم ، وليتعهد تماثيلهم ، وليشرف بنفسه على هياكلهم ، ليقال فى مواضع الفخر ، ان هذا التمثال ، أو تلك الدمية ، أو هذه الزخرفة من عمل ديدالوس

واستفاضت شهرته ، وذاع صيته ، وملأ الخافقين اسمه ، ولا سيما اذ شاد اللابيرنث (التيه) لمينوس ملك كريت ، واللابيرنث عمل من أجل الاعمال الهندسية القديمة ، ان لم يكن أجلها جميعا . ذلك انه كان لمينوس وحش هائل مخرب يسمى (المينوطور) نصفه الاسفل نصف عجل جسد ، ونصفه الأعلى نصف رجل له أنياب الاسد ، وغدرة الذئب وقوة التنين العظيم ..

وكان لا ينفك يقتل كل من اقترب منه ، ولو كان من

(*) أول محاولة للطيران عرفها التاريخ

خاصة الملك . فلما استطار شره ، وعظمت بليته ، دعا مينوس الملك ، ديدالوس المهندس ، ليشيد هذا البناء الرائع . ذا المنعرجات والحنيات ، والشعاب المتداخلة ، التى لا يستطيع احد ان يفلت منها ؛ اذا انفتل فيها . وقد بناه ديدالوس على شكل دائرة عظيمة محيطها هذه الشعاب والمنعرجات ، وفى وسطها فضاء فسيح يربض فيه المينوطور أو يركض

ولندع الآن ذاك المينوطور الرهيب جاثما فى اللابيرنث ، لنرى ما كان من أمر ديدالوس بعد ذلك

ظل الناس يتحدثون عما وهب ديدالوس من عبقرية ، وما أوتى من حذق ونبوغ ؛ وظلوا يتهافتون على آياته الفنية التى كساها الهامه ظلالا كظلال السحر ، وموهها بأمواه القداسة والخلود ، حتى كبر الفتى بردكس ، ابن أخى ديدالوس ، وكان شابا ممتلىء الجسم ، مفتول العضل ؛ قوى الملاحظة ؛ دقيق الفهم ، سريع التصور ، ما كاد يتتلمذ لعمه حتى بلغ شأوه بل هو قد فاقه بمزج الشعر والموسيقى بفن الحفر والمثالة ؛ ولاءم بين روحها جميعا ، فكان يبرز تحفه فى مظهر دقيق وطراز أنيق ، ثم هو يضفى عليها من شبابه الفض ، وروحه العطرية الشاعرة ، ظلال الحب ، وسمات الفتنة ؛ ويحرك فيها عواطف الآلهة !

ولهج الأثينيون باسم هذا الفنان الشاب ، وتناسوا عمه الذى هو أستاذه وملهمه . وضاق ديدالوس بابن اخيه ذرعا ، وساءه أن تكسف شمسه الوضاءة المتلألئة ؛ نجمه الذى لبث زمانا يسلسل نور الفن فى أرجاء هيلاس

وما فتىءالعم يحنق ويحنق ؛وما فتىء بردكس يسموبفنه الى الذروة ، حتى لسعت عقارب الغيرة قلب الشيخ الفنان ، ونفثت فيه سمها ، فلم يعد يطيق هذا الخصم

الذى صنعه لنفسه بيديه ، ولم يعد يحتمـــل ان يرى نفسه هملا بجانب الفتى العبقرى ، فأقسم ليزيحنه عن طريقه ، ولو بتجريعه كأس المنون

وزين له أن يحتال عليه ، فيذهب واياه الى شـــعاب جبل شاهق ، ذى مهاو تنتهى الى اللج الجياش فى اليم ، حتى اذا كانا فوق القنـــة المشرفة على البحر المصطخب ، نهز منه غرة ودفع به الى الأعماق ، حيث ينشق له قبر من الموت ... والنسيان !

وأنفذها ديدالوس المسكين !

ولكن الآلهة كلها كانت تنظر ، وتســـتعد للمعجزة ! وكيف ؟!

لقد استجمع الشيخ كل قوته ؛ ووضـــع فى يديه كل منته ، ودفع بابن أخيه من فوق القنة ؛ فتردى الفتى على حدور الجبل ، حتى اذا كان من الموت قاب قوسين ، هبطت منيرفا (١) سيدة الاولمب ، وصاحبة أثينا ، من عليائها ، فأنقذت بردكس من قتلة محققة ، ثم نفثت فى أذنه نفثتين ، كان بهما فرخا حزينا من أفراخ القطا ، راح يرف فى السماء مدوما فوق عمه ، حتى كاد يصعقه من حيرة وعجب ! !

وانقلب ديدانوس الى بيته أسوان اسفا ، ووقر فى نفسه أن الآلهة التى سحرت بردكس لتنقذه من تدبيره السىء ، لا بد أنهـا تترصـده ؛ ولا بد أنها سـتأخذه بأوزاره فى القريب ، غير متجنية ولا ظالمة ..

ثم مضت سـنون ، وولد لديدانوس طفـل جميـل ولكن الطفل لم يستطع أن يخفف من الروع الذى كان

---

(١) منيرفا هى باللا أثينا ، وقد خلقت شجرة الزيتون فملأت الارض
الصورة ، طلق المحيا ، مشرق الغرة ، سماه أ.كاروس !
بركة وكان بردكس يصنع لها تماثيل رائعة ، وهى هنا تنقذه لترد له قليلا من جميله

ينتاب اباه ، أو يذهب بسورة الهم التى كانت تجثم على قلبه ، وتثقل على نفسه كلما تصور الهامة الفزعة التى يضطرب بها نومه ، فتقض مضجعه وتزلزل كيانه

لقد كانت القطاة تتمثل له كلما اغمض طرفه ، كأنها روح ميت تـرنق على خصمها تكاد تصعقه . وازداد الشيخ خبالا حينما الحف عليه الاثينيون يسألونه عن بردكس اين قضى وأيان ولى ! واخذ الفوغاء يلغطون ، وشرع الخاصة يتسقطون أخبار الفنان ، ودابوا على عمه يسألونه عنه ، وهو يضللهم ويخترع لهم ، حتى أوجس أن ينكشف سره ، فينكل الناس به . فآثر الهجرة عن اثينا المحبوبة ، الى صديقه مينوس ملك كريت ، مصطحبا معه ابنه الطفل ايكاروس

وتطامن الدهر ، وشب ايكاروس وترعرع ، واخذ من والده من الفن ما أخذ بردكس من قبل ، وحسب ديدالوس أن الزمان قد غفل عنه ، وأن أعين الآلهة قد غفت واستنامت ، وأن الايام قد ابتلعت اثمه الكبير فى تضاعيفها القائمة المظلمة ، فاستيقظ الغرور فى قلب الفنان الشيخ ولم يتقبل ما غمره به مينوس الملك من النعم بالشكر الواجب على لاجىء طريد مثله ، بل بطر واستكبر ، وكفر بأنعم مولاه ، ومد له هواه فولغ فى اناء الملك ، بعد أن اختلط بأهل بيته اختلاطا شائنا ادى الى كثير من القيل والقال

وعلم الملك بما كان من خيانة ديدالوس فأمر بالقبض عليه ، واعتقاله فى احدى غرف القصر حتى يقضى فى شأنه ، فألقى به فى حجرة منفردة فى طرف القصر ، مشرفة على الماء ، متصلة بالسماء

وطالت عزلة الفنان الشيخ فى معتقله هذا ، وضاق ابنه بالحيز الضيق الذى يكاد يحبس انفاس روحه ،

ويحسر مرامى مقلتيه ، ويشيع الهم فى حنايا ضلوعه ، فقال لوالده وهو يحاوره : « اهكذا قضى علينا ان نموت هنا صبرا يا ابتاه ! » وكانت كلمات ايكاروس المبللة بالدموع تذهب كالصدى فى آذان الشيخ ، وكان الغلام يجذب اللفظة المفردة من فم ابيه ، فما يكاد يفوز الا بلا ... أو بنعم ...

وكانت للغرفة التى اعتقلا فيها شرفة صغيرة تطل على البحر الابيض المتوسط ، وكان منظر السفائن الماخرة فى البحر كالاعلام ، والطير صافات من فوقها كانها تسبح فى لج من زرقة السماء ، يثير فى نفس الفتى أحلاما واخيلة وأمنيات . وانه لفى اصيل جميل يناجى الطبيعة من شرفة سجنه الصغيرة اذ به يذهب الى والده مستبشرا متهللا ، ويقول : « أبى ! اعجزنا عن ان نصنع لنا أجنحة كهذه الطير . فنفلت بها من هذا المكان الرهيب ؟ »

وكان الشيخ جالسا فى زاوية مظلمة من زوايا الغرفة يجتر أحزانه ، ويتغنى آلامه ، فلما سمع ما خاطبه ابنه به ، افتر فمه العجوز عن ابتسامة منقبضة مغضنة ، وشاعت فى أساريره بوارق أمل جديد !

وقال لابنه : «اجنحة ؟ وانى لنا بالريش ياايكاروس ؟»

فقال الولد : « لا عليك يا ابى ، ان غرفة الدجاج قريبة من هنا ! »

وعبس الفنان الشيخ ، وقال : « والحارس الفظ ؟.. » فتضاحك ايكاروس قائلا : « الحارس !؟ امره أهون مما ترى ... سنرشوه يا أبتاه ؛ فيحضر لنا ما نشاء من الريش ، وسنخدعه اننا صانعان له لباسا لا تحلم الملوك بمثله ! »

ولكن العبوسة التى رفت على جبين الشيخ أنشبت

فيه جميع مخالبها ، وقال : « دعنى أفكر يا بنى ، دعنى أفكر يا ايكاروس ... »

وهكذا كانت العبقرية البكر ، الكامنة فى هذا الفتى الصغير ، لقاحا بعيد الاثر فى عبقرية الشيخ الفانى المتهدم ، وهكذا بدأ الفنان الاكبر ، بانى اللابيرنث ، ومشيد هياكل الآلهة ، يفكر فى هذا المقترح الشارد الذى اقترحه عليه الفنان الصغير !

« اجنحـــة .. دجاج .. ريش .. الحـــارس الفظ .. مينوس .. بردكس .. فرخ القطا .. الطـــير .. ايكاروس ابنى .. ! » وهكذا انبطح الشيخ على حصيرة تتداعى هذه الخلجات فى رأسه الساخن المتأجج تذكى فيه الذكريات والمآسى !

واحتال الفتى على الحارس حتى حصل على مقـــادير هائلة من ريش البط والاوز والديكة ، وفكر الشيخ كيف يثبت الريش فى مكانه من عضد الجناح ، فادخر الشموع التى كانت تترك له يضيئها فى الليل ، ليتضاعف بهيبها الخافت حزنه ، حتى اذا كان لديه قدر كبير منها ، عمد اليها فصهرها ، وثبت بها ما شاء من الريش ، وبذلك صنع زوجين من الاجنحة الكبيرة ، يكفى احدهما لحمل فيل !

وجلس يمحض ابنه النصح ويقول :

« أى بنى ! اى ايكاروس العزيز ! سنطير من هنـــا يا ولدى ! الى اين ؟ لست ادرى ! ولكننا سنفلت من هذا السجن على كل حال ! وهأنذا قد صنعت الاجنحة التى تخيلها أملك الصغير هـــــو اكبر من جميع امالى ! ولقد رأيت الى كيف كنت أذيب الشمع قريبا من النار يا ولدى ، فأوصيك اذا طرنا الا تترك سمتى ، وان تكون دائما قريبا منى ، فانى أخشى اذا علوت علوا شاهقا ان

تصهر الشمس شمع جناحيك ، فتهوى فى البحر ، وتتردى فى أعماق الموت ! وكما اخشى عليك من العلو الشاهق ، فكذلك لا ارى لك أن تدنو من الماء فانه ان وصل الى الشمع أيبسه ، ولم يعد يصلح لمهمة الطيران ، اذ يساقط قطعة فقطعة ، ويتناثر الريش ، وتسقط ، اما فى البحر فتغرق ، واما فى الارض فيندق عنقك . فلا تنس يا بنى أن تتبعنى أبدا ، واحذر أن تعاو فتدنو من الشمس ، او ان تسفل فيصيبك رذاذ الماء ورشاشه . الى يا ولدى أثبت لك جناحيك ، ولنمض على بركة ز .. ز .... زيوس ! ! »

وتلجلج لسانه حين أراد أن ينطق باسم الاله الاكبر ؛ لانه يثق أنه لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء ، وهو محيط بعباده ، لا ينسى أن ينتقم من الظالمين للمظلومين !

وانطلقا من الشرفة ، والقيا على القصر ، وما احاط به من حرس وعسس ، نظرات كلها نقمة وتغيظ ..

ومرا بشطوط كثيرة ومروج كبيرة ، وكان الصيادون والزراع والبحارون وأهل القرى كلما راوا هذين الطائرين الكبيرين ، ذوى الهيئة الآدمية ، خروا للاذقان سجدا ، يحسبون أنهما الهان من آلهة السماء ، هبطا يباركان الناس والخلق ، فيهللون ويكبرون ! !

فهذا شيخ يطلب اليهما أن يباركا فى عقبه ويمدا فى اجله ، وهذه شمطاء تدعو أن يردا عليها جمالها الضائع وشبابها الذاهب ، وتيك رؤوم تناجى ابنها فى قبره ، فتطلب اليهما ان ينفضاه من الثرى ، وهؤلاء فلاحون يصرخون ان يمنا عليهم فيخلصاهم من الفقر والمتربة ...

وشاع الزهو فى أعطاف ايكاروس ، فكان يرتفع قليلا ، او يهبط قليلا عن سمت أبيه ، ثم تشجع وتشجع ،

وبهرته زرقة السماء وأديمها الصافى ، فجازف وارتفع ارتفاعا شاهقا ، ونسى وصية أبيه ، فعلا وذهب فى السماء صعدا ، وكان يغريه ان يصغر العالم الارضى فى عينيه ، فيعلو ويعلو

واأسفاه ! ! لقد دنت ساعة الانتقام لك يا بردكس ! فلقد صهرت الشمس شمع الجناحين ، وهوى ايكاروس الى الاعماق ! ولما دنا من والده صرخ صرخة هائلة دوت فى اذن ابيه ، فتلفت الشيخ ليرى ولده يغوص فى اليم ، ويبتلعه مرة ويلفظه اخرى !

فأسرع الوالد المسكين الى البحر ، وانتشل ولده من الماء جثة هامدة ، وكان هو بدوره قد اذاب الماء شمع جناحيه ، فعالج الموج معالجة شديدة وسبح بفلذة كبده الى جزيرة قريبة ، بلغها بعد جهد وعناء !

وجلس يبكى ولده .. وبرزت عرائس الماء من اليم تواسينه !

ثم شق له قبرا صغيرا فى رمل الشاطىء ، وما كاد يسره فيه ، حتى رأى قطاة حزينة تدوم فى السماء ، ثم تهبط قليلا قليلا ، حتى تكون بمقربة من القبر ، فتقف كاسفة مشجونة وتنظر الى الجثة والدموع تنهمل من عينيها . عبرة ، فعبرة ...

ويفرغ الشيخ من مواراة ولده فى التراب ! وينتبه ! فيرى القطاة ! فينشج نشيجا مؤلما : « بردكس !! أتيت تبكى ايكاروس ! ! سامحنى يا بردكس ! »

فتزقو القطاة كأنها تنتحب ! ثم تدنو من القبر حتى تكون فوقه ، فتذرف عبرتين غاليتين ، وترف فى الهواء حتى تغيب عن عينى ديدالوس !



بـومونـا

عروس من عرائس الغاب يترقرق الجمال فى اهابهـا الوردى ، وتلتمع فى فمها الرقيق الخمرى ثنايا من اللؤلؤ الرطب ، وتبتسم ... فتثور من عينيها وشفتيها أسراب من النحل فى قلوب العاشـقين ، تلسـعهم ، وتسـقيهم رحيقا !

هى بدع من عرائس الغاب ، فهى لا تغشى الانهـار تتلاعب فى طيات أمواجها ، وهى لا تحب البحر لا هادئا ولا متمـردا ، وهى تكـره الغـابة لانهـا تعج بالافاعى والوحوش ، ومنظر هذه حين يساور أحدهما الآخر يبعث فى نفسها اشمئزازا ، ويثير فيها غضبا على الطبيعـة الظالمة التى جعلت الضعيف فريسة للقوى يذله ويقتله .. ثم يأكله

لذلك أولعت بومونا بالحقول الساكنة الهادئة ، الا من نشـاط الحيـاة يسرى فيها فتهتز وتربو ، ثم تكتسى بالسندس ، وتنضر بالزهر ، وتطن بموسيقى اليعاسيب ... واولعت كذلك بالحدائق ... وقد غرست حديقتها على عدوة النهر ، وسوجتها بسياج من شوك ، ثم جعلت لها بوابة جميلة عرشت فوقها عساليج الشبر والياسمين

... وكانت في جنينتها أكثر وقتها ، ولو استطاعت لم تبرحها قط ، لان الزنبق الغض ، والنسرين الجميل ، وأكمام الورد ، وهالات البنفسج ، ونضرة الشقائق ، وارج التفاح ، وعبق الرياحين ، وشذى ازهار الخوخ العقيقية ، وابتسامات الاقاح ، ولآلىء الندى المبعثرة فوق العشب ... كل هذا كان احب الى قلبها الخلى ، ونفسها العزوف ، من هؤلاء الناس ، والآلهة ، وأنصاف الآلهة ، الذين كانوا يتنظرون أوبتها فى المساء الى دارها ، فيقفون فى طريقها ، ليفوز من يفوز منهم بنظرة أو خطفة او لمحة ، يعود بعدها الى منزله مصدع القلب ، حائر الروح ، خفق الاحشاء ، موهون القوى !

وكأين من قائل لآخر :

ـ ارايت بومونا هذا المساء يا صاح ؟

ـ الحسان المفتان ! أجل والله ... رايتها ، واورثتنى الف حسرة يا صديقى !

ـ أو مشغوف أنت بها حبا ؟

ومنذا الذى لم تشغفه بومونا حبا ، وقد تبلت قلوب الآلهة ؟

ـ انى أغار من كلماتك أيها الصديق ... فأقصر !

ـ وانا أغار من غيرتك ، فاذهب لطيتك ! !

ويكاد أحدهما يحرق صاحبه بالشرر الذى ينقدح من أغوار قلبه ... عن طريق عينيه ... ثم يأخذ كل فى سبيله . وهكذا تعادى الناس فى بومونا ، وهكذا تنافس الجميع فى حبها حتى الآلهة فلقد رآها ابوللو وجن بها جنونا ، ولقيها مارس وفتن بها فتونا ... ولكن العروس كانت لاهية عن الجميع ، لا يتفتح قلبها لحب ، ولا يرق لشكاة المغرم الصب ، وكل ما كان يصيبها ويشغل بالها ،

هو هذا الفردوس ، الحبيب ، الذى لا يضايقها بكلمات الغزل ، ولا يضجرها بالانظار الجائعة ، بل يحييها دائما بالابتسامات البريئة ، وبالروح والشذى

غير ان واحدا من عشاق بومونا كان لا يعدل حبه لها حب ، ولا يسمو الى افتتانه بها افتتان ... فتى لمحها مرة تطوى الطريق قبيل الشروق الى حديقتها ، فوجد نفسه منجذبا اليها ، مجنونا بها ، فتبعها ، وجعل يقلب عينيه فى مفاتن شعرها المتهدل فوق ظهرها وكتفيها ، حتى ليكاد يقبل العقبين الرائعتين ، اللتين أخذتا تعلوان وتهبطان على ثرى الطريق ، كأنهما ختم الطبيعة فى صك البكور ، أو زهرتان من اللوتس ، ترشفان صلافة الندى ... وكان جسمها الرخص يتأود كالخيزران ، وساقاها الناصعتان المرمريتان تضيئان فى غبشة الصبح ، فتضرمان فى قلب فرتمنوس نيران الحب ؛ وتزلزلانه زلزالا عظيما

وعرف الفتى ميعادها ، فكان يصحو مع الفجر ، ويهرع الى الطريق ، ويلبث يعد الدقائق واللثواتى كأنها ساعات بل أيام بل دهور وآباد .. حتى اذا اقبلت ، شعر بقلبه يخفق ، واعصابه تذوب ، واحس كأنه خف على الأرض ، وغدا طيفا يوشك أن يسرى مع نسيم الصباح الذى تنشقه بومونا .. له الله ! لكم منى نفسه بقبلة يطبعها على هذا الفم الشتيت تذهب حر قلبه وتشفى صدى روحه الظامئة المتعطشة ، ولكنه كان يعود أدراجه كل صباح بعد أن يتأثر سالبة لبه ، ولا لب له ؛ ولا قلب معه ، ولامداوى لجراحات فؤاده الا دموعه يسكبها عبرة فى اثر عبرة ، والا آهاته يرسلها من اعماقه فتزيد فؤاده جراحا !

***

وذوى فرتمنوس وذبل شبابه ، وشفه الهم ، واضوى جسمه الفكر ؛ واستسلم لبكاء طويل يتعلل به ، وغناء

يشبه العويل ، يرسله فى نبرات تشبه الأنين ، يضمنه بثه ، وينظمه شكواه ، ويلف فيه بقايا فؤاده المعذب ، ويودعه النطف الأخيرة من روحه الحيرانة ، ويذهب به فى الليلة المقمرة فتجتمع حوله الوحوش ، وتسكر بموجع أنغامه الهوام ، ويرقص من فوقه الشجر ... ثم يبكى كل هؤلاء له ... ويعود من حيث اتى !

ولقيته مرة فينوس فرقت له ، ورثت لحاله ، وراعها أن يلقى محب كل هذا العذاب ، فى هوى عروس غاب ، فجلست اليه تسامره وترفه عنه

ـ اهكذا يقتل الناس الحب يا فرتمنوس ؟

ـ اى وحقك يا ربة ! لقد نال منى هواها ، ولم أعد افكر فى احد سواها !

ـ مسكين ! وهل كلمتها قط ؟

ـ مرة واحدة اجترات أن أهتف باسمها ، ولكنها اشاحت وأعرضت عنى

ـ وفيم تطمع اذن ؟

ـ اطمع فى رضائها ، واطمع بعد ذلك فى العيش فى ظل حبها ..

ـ واذا لم ترض ؟

ـ سأعيش لحبها وآلامى ! ولكن ؟

ـ ولكن ماذا يافرتمنوس ؟

ـ الا تساعدينني ياربة الجمال ؟ الا تتفضلين فترققى قلبها علىّ ؟

ـ عندى فكرة !

ـ أضرع اليك ياربة !

ـ سأمنحك قدرة التشكل ، فتستطيع ان تبدو فى اى صورة شئت

وانحنت ربة الحب والجمال فتناولت من ماء الغـدير قطرات ، ثم نفثت فيهن ، وتمتمت بكلمات سـحرية ، ونظرت الى الفتى فى ظرف ودل ، ونثرت الماء فى وجهه .

ـ والان فكر فى اى صورة تنقلب اليها

واخذ فرتمنوس يتقلب فى صور شتى ... وكلما حاول ان يرتد الى صورته الاولى لم يستطع ، فتضـاحكت فينوس وقالت له :

... فكر ايضا فى صورتك الأصلية قليلا ...

وسرعان ما عاد اليها ... ثم ودعته ربة الجمـال والحب وهى تقول له :

ـ تستطيع الآن أن تلقى بومونا ، وسارى ما يسوقك اليه ذكاؤك !

ورفت فينوس فكانت فى سماء الأولمب !



واستطاع فرتمنوس أن يدخل حديقة حبيبته فى اى لحظة شاء ، وكان يدخلها فى صورة بلبل غرد ، فلا يزال يغنى ويهتف حتى يلفت اليه انظار بومونا واسماعها ، وكان يتبعها اينما ذهبت ، فيقف على أقرب شجرة ، ثم يرسل أغانى الحب واغاريد الغرام ، فتنسكب فى أذنى عـروس الغاب ، فتقف لتسمع لحظة ، ثم تأخذ فى عملها كأنهـا لم تسمع شيئا ... فيتضايق الفتى ، ويطير أسـوان اسفا ...

واستمر على هذه الحال اشهرا ، وكل يوم يمر يزداد بالعروس هياما ، ويغنى فيها حبا ، حتى خيف عليـه من المرض ، واحس هو أن ريب المنون يسرى فى عظـامه ، وبرد اليأس يوشك أن يقف نبضات قلبه ، ثم بدا له آخر الامر ان يزور حبيبته فى صورة اخرى تختـلف عن تلك الصورة البلبلية التى اعتاد أن تراه فيها ؛ ثم عول هـذه

المرة ـ اذ لم يفز بحبيبته بومونا ـ على أن ينتحر تحت قدميها في صورة البلبل الحزين !

رأى ان يزورها فى صورة عجوز شمطاء ! ولم لا ؟ اليس عجائز النساء أقدر على ايلاف قلوب العذارى من كل أحد غيرهن ؟ اليس لهن حديث طلى يتصل من حيث ينقطع ، ويتشفق عن كل خرافة حلوة وكلمة طيبه ، وبأسلوب ظريف يشبه (تنميل) الخمر فى أطراف السكارى ؟!

وقف فرتمنوس فى ظل أيكة باسقة نامية فى منعرج قريب من حديقة بومونا ، ثم طفق يفكر فى صورة عجوز طيبة القلب ، سمحة الملامح ، وراح يتخيل شعرها الاشمط (١) وذوائبها الخلس (٢) وغدائرها الزعر (٣) ، ويديها عاريتى الاشاجع (٤) ، وعينيها الغائرتين ،وجبينها المجعد ، ووجها المعروق (٥) ... فكان له كل ذلك ، ثم كانت له هيبة ووقار وأسر ، فى سكينة ودعة وحسن سمت ... وأضفى عليه حبرة سوداء فضفاضة ، وجعل فى قدميه خفين هرمين ، وفى يده عكازا مقوسا أشبه بصولجان الموت !

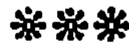
ثم جعل يدب فى هيئته تلك ، حتى كان لدى باب الحديقة فطرقه ، وكانت بومونا تقطف الزهر وتصنع منه باقات تقدمها لصويحباتها عرائس الغاب فى مثل ذلك اليوم من كل أسبوع ... فلما لمحت العجوز تتهالك على نفسها بباب حديقتها ، أسرعت اليها وحيتها أحسن تحية والطفها ، ثم فتحت لها وادخلتها ، وكانت الخبيثة ـ أو كان الخبيث ـ تبالغ فى اظهار الضعف وتعمل الاعياء ، فكانت بومونا

(١) بياض الشعر يختلط بسواده ويزيد عليه
(٢) بمعنى اشمط واحدتها خلساء وخليس
(٣) جمع زعراء أى قليلة الشعر جدا
(٤) بدت عروقها
(٥) قليل اللحم

تسندها من هنا ، وتشد ازارها من هناك ٠٠ حتى وصلتا آخر الامر الى ظلة وارفة ذات أفياء ، يعرش فوقها كـرم نضير تدلى جناه الحلو الناضج ، يغازل العيون والأحشاء ، واشارت العجوز كى تجلس على احدى الأرائك التى صفت عليها الوسائد والحسبانات (١) ففعلت ، ولكن ٠٠ ؟ بعد ان أخذت بفودى بومونا ... وطبعت على ثغرها القبـلة الأولى الحارة ... قبلة الامانى والاحلام !!

لقد شدهت بومونا من أسر هذه القبلة ، لأنها لم تكـن من تلك القبل الفاترة الباردة التى تخرج من شفاه العجائز كزمهرير الشتاء ، بل كانت قبلة ناعمة فيها خمر ولهـا حميا ، وفيها شعر وموسيقى ، وفيها روح وامقة صادية كانت تتردد على شفتى العجوز كأنما حاولت ان تلقى فى صدر الفتاة بكل أسرارها !!

ولولا أنها كانت عجوزا حيزبونا لعشقتها بومونا ٠٠



ووثبت الفتاة فقطفت عزقا (٢) من العنب وقدمتـه للضيفة العجوز .. ولكنها بدلا من ان تجدها تهش للثمـر الجنى الشهى ، وجدتها غائبة عن رشدها ... أو ... كالمغشى عليها ! ترى ماذا أصاب اخانا فرتمنوس المختبىء فى جلد هذه العجوز ؟ ! آه ! مسكين ! انه لم يكد يفيـق من سحر القبلة ، حتى رفع بصره الى بومونا ، فشـهد العجب العاجب ، والجمال النادر ، والحسـن الباهر ، والرونق والرواء !! لقد شهد الساقين الجميلتين والقدمين الصغيرتين ! وشهد الركبتين الملتفتين ... وقليلا مـن الفخذين اللجينيتين ٠٠ فاستطير لبه ، وصـبا قلبه ، وشردت أفكاره ، وغشى عليه ؟!

---

(١) المساند (٢) عنقود

ولما أفاق ـ أو أفاقت العجوز ـ سألتها ماذا أصابها ، فشكت وطأة السنين وضعف البدن ، وتهافت أعضائها من الكبر ، ثم شكرت لها عزق العنب ، وأخذت في أكل حباته ، وهي تخالس العروسين النظرات ... ثم نظرت الى الكرم العارش فوقهما ، وارسلت من أعماقها آهة طويلة حامية ، ثم قالت تحدث الفتاة :

ـ ارأيت يا حبيبتي (!) لو نما هذا الكرم على الأرض من غير أن يحمله هذا العريش،هل كان يؤتى أكله ،ويحلو عنبه ، كما هو حلو هكذا ؟

ـ كلا يا أماه ! هذا شيء بدهي !

ـ تعنين ان الكرم لا يستغنى عن هذا العريش !؟

ـ طبعا !

ـ ولا غناء للعريش من غير كرم !

ـ لا يكون منظره جميلا رائعا كما يكون ومن فوقه الكرم !

ـ عجبا لكن والله يا عذارى !! تعرفن ذلك ، ولا تفكرن في عطلكن !!

ـ أو عاطل أنا يا أماه ؟ ماذا تقولين !

ـ عفوا يا ابنتي ... فان لك ألف حلية من جمالك الذي لا جمال مثله ... انما قصدت انكن تزهدن دائما في أن يكون لكن أزواج كما لهذا الكرم عريش ... ولاسيما أنت يا صغيرتي بومونا ... انى أعرف أن كل شباب المدينة مولعون بك ، وكل أمراء النواحي متيمون في هواك؛ وانا أعرف أيضا أن منهم من يتعذب بالليل ، ويذل بالنهار؛ لأنك ترفضين أن تمنحيه نظرة حين يلقاك في الطريق ، وقد وقف لهذا اللقاء ساعات وساعات بل أعلم يا أجمل عرائس الغاب أنك قد بززت هيلين الهيفاء ، وبنلوب اللعوب في كثرة العشاق الذين يعبدون

جمالك ، وتخبت قلوبهم لحسنك ، وتتصدع صدورهم من هول ما تهجرين وتصدين . ماذا ؟ لم يا بنيتى لا تختارين لنفسك من بينهم كفء يقاسمك هذه الحياة وتقاسمينه ، ويشركك هذه الحديقة الفيحاء وتشركينه ، ويبسم لك وتبسمين ، ويواسيك وتواسين ؟ ما غايتك من هذه الوحدة ، وأنت بها في منفى ، ولو أينعت حولك ألف ألف بنفسجة ، ومثلها من الورود والرياحين ؟ وهذا الفتى المسكين الذى اسمه .. اسمه .. اسمه ماذا ؟ آه ! فرتمنوس ! ذكرت أني سمعت أنه يحبك حبا أورثه السهد ، وأولاه الضنى ، حتى لم يبق منه هواك الا حشاشة تترقرق دموعا فى عينيه ، وتتأجج نيرانا فى صدره .. لم لا ترحمينه يا بومونا ؟ لم لا ترثين له يا أجمل عرائس الغاب ؟ انه ليس الها ولا نصف اله ، ولكنه خليق بحبك ، جدير بأن تكونى له من دون العالمين ، لانه مغرم بك أكثر من كل عشاقك ، وهو ليس كجميع العشاق ، لانه لم يحبك الا عن بصر بك ، وتقدير لحسنك ، ولان عشاق هذا الزمان مفاليك لا ألباب لهم ، فهم ينظرون النظرة فتهيج شياطين الهوى فى صدورهم ، ثم ينظرون النظرة الى حسناء أخرى فتنجذب شياطينهم اليها ، فاذا لقيتهم ثالثة لم تأب تلك الشياطين أن تتصرع تحت قدميها .. أما فرتمنوس ، فقد أحبك ولم يشرك حسناء فى هواك ، لانه لا يرى لك فى قلبه شريكة تسمو الى اخمصيك .. ارحميه يا بومونا ، اعطفى عليه ، وانظريه كأنه يتوسل اليك بلسانى ، ويشكو لك بثه بعينى (!) .. ألا تخافين أن تقتص له فينوس منك ؟ ألا تعلمين أنها تثأر للعشاق من كل حبيبة قاسية القلب ؟ ألم تعرفى ما صنعت بالقاسية أنا جزرتيه ؟

ــ ومن أنا جزرتيه يا أماه ؟ وما قصتها ؟

ـ ألا تعرفينها ؟ ولا تعرفين مأساة الفتى ايفيس ؟

ـ وما مأساة ايفيس ؟ قصيها على بالله عليك !

« لقد كان ايفيس فتى جميل المحيـــا وضاء الجبين ، ولكنه كان من صميم الشعب ، وكانت أناجزرتيه من بنات الاعيان والعلية الموسرين .. وكانت بينهما من اجل ذلك هوة سحيقة لم تمنع ايفيس من حب الفتاة لدرجة الجنون. وكان كلما لقيها غشيه من الغرام ما لو حمله جبل لنـاء به ، ولكن الفتاة كانت تعرض عنه وتزور ، وتطـوى الطريق عجلانة الى قصرها الباذخ المنيف ذى الشرفات .. وكان الفتى يتبعها بقلب وامق متصدع ولكنها كانت تدخل من باب الحديقة الحديدى ثم توصده من دونه ، فيقف ثمة يتزود منها نظرات الموجع اللهفان من خلل القضبان ، ثم يذرف دموعه ، وينثنى الى داره ، وليس فى قلبه الا حبها مع ذاك ، ولا فى عينيه الباكيتين الا صورتها ! وطالما كان يهب من نومه فى جنح الليل فيطوى الطريق مفزعا ، حتى اذا كان لدى البوابة الحديدية وقف عنـــدها ، وعانق قضبانها ، وبكى ما شاءت له الآلهة ، وتغنى آلامهوغرامه، ثم ارتد وقد تضاعف وجده ، وازدادت صبوته .. وكم ذا رأته أناجزرتيه فكانت تحقره وتسخر منه ، بل كانت لا تعفيه من كلمة قارصة ، أو غمزة تهكم واستهزاء ، ولم يشفع لديها ما قاله مرة لمرضعها العجوز وما بث من شكاة ، بل زادها قسوة وعنادا .. ولما جد به الجد ، ولم يكن بد مما ليس منه بد ، ذهب اليها فى ضحوة ضاحكة من ضحوات الربيع ، ثم تعلق بالبوابة ، وكانت حبيبته ترتع وتلعب فى حديقة القصر ، فهتف بها وقال : « أيتها القاسية أناجزرتيه اسمعى ! لقد قهـــرت قلبى وغزوت نفسى وتم لك النصر ! فهنيئا لك ! تغنى أناشيد الفرح واللذة العارمة لانك قتلت ايفيس ! اعقدى فوق

هامتك اكليل الغار لانك أذللت قلبه العزيز ، ومرغت في التراب روحه العالية ·· ولكن اصغى الى يا متحجرة القلب ·· لقد عولت على أن أشرب كأس المنون ، ولكنى آثرت أن أشربها أمامك ان لم يكن بين يديك ، لتتلذذ عيناك بهذا المنظر الموجع الاخير ، وليبتهج قلبك بآخر صورة من صور انتصاراتك على ·· بيد انى اهتف بك يا آلهة السموات أن تثأرى لى ، وأن تجعلى لى ذكرا فى قصص المحبين يتناقله الخلف عن السلف ، ويتذاكره الناس فى طويل العصور والآباد ·· » وكانت السماء كلها تصغى لما يقول ايفيس فلبت واستجابت ·· وكان قد ربط حبل مشنقته فى قضبان البوابة ، وجعل أنشوطتها فى عنقه ، فلما انتهى من مقالته القى بنفسه ·· وقبضت روحه ! ولم تتحرك اناجزرتيه مع ذاك ، بل أرسلت خدمها الذين نقلوا الجثة الى أم الفتى وهم يبكون ويضجون ·· وصرخت الام المفجوعة وولولت على وحيدها ، ثم حمل الجسمان فى اران (١)الى المقابر ،ومر الموكب الحزين من الشارع الذى فيه قصر الفتاة القاسية فصعدت لتنظر اليه ، ولكنها ما كادت ترى الى الجثة مسجاة فى النعش حتى تثلجت عيناها ، ثم استحالتا الى رخامبارد·· وروعت لما اصابها ، وأرادت أن ترجعقليلا ، ولكنها لم تستطع لان الرخام سرى فى قدميها أيضا ·· ثم فى ساقيها ·· ثم فى ذراعيها ·· ثم فى جميع جسمها ·· أما قلبها ، فقد كان رخاما منذ زمن بعيد ·· وكذلك تحولت أناجزرتيه الى تمثال لا يزال محفوظا فى متحف فينوس بسلاميس ·· عظة وذكرى ·· »

وكأنما عملت القصة عملها فى نفس بومونا ··

---

(١) نعش

فاندرفت من عينيها الحزينتين عبرتان حارتان ٠٠ونظرت لعرى الى العجوز ٠٠ ولكن ٠٠ لقد كان فرتمنوس العاشق الحزين الجميل القوى يجلس مكانها ، ويأخـــذ برأس الفتاة على صدره ٠٠ فقالت له :

ـ من أنت أيها الفتى ؟

ـ أنا ٠٠٠

وانفجر فى بكاء شديد وقال :

ـ حبيبك فرتمنوس يا بومونا ٠٠ فرتمنوس

فقالت : أهو أنت ؟! اه يا ساحر !

وتبادلا قبلات اشهى من الشـــهد ، واشد أسرا من الخمر ٠٠

خرافة جاسون



غلب بلياس الظالم أخاه ايسون على ملك تساليا ، فهام الملك على وجهه فى أقصى الارض ، وهامت معه زوجته الملكة الصالحة آلسميدية ، وطفلهما الوحيد اليانع جاسون .. وعرجا فى تطوافهم باستاذ اخيل العظيم شيرون ، فدفعا اليه بالطفل يهذبه ويؤدبه ، وينشئه على الفروسية ومكارم الاخلاق ، ورجواه أن يكتم سرهما حتى يشب ويترعرع ، ويبلغ أشده ، فيثير فى صدره الحمية، ويرسله ليثأر لابويه ، وليستخلص العرش من غاصبه . وأخلص شيرون فى تربية جاسون الاخلاص كله ، وكان يردفه خلفه ليعلمه الرماية ، وهو شرف عظيم لم ينله من تلاميذه غير أخيل الخالد ، وغير جاسون .. ثم مرت الايام ، وشب الفتى على غرار استاذه ، فلم يكن فى الدنيا بأسرها أحمل منه لسيف ، ولا أرمى لسهم ، ولا أرجح فى تفكير ، ولا أوفر فى حظ من جمال وكمال . ووقفه شيرون على سر أبويه ، وما كان من اغتصاب عمه بلياس عرش والده ، فثار ثائر الغلام ، وازلزل قلبه ، وضرب برجله يود لو يخرق الارض فيكون عند الظالم ، فيذرو عظامه فى الريح !

ووعظه شيرون ، وأوصاه بالصبر وطول الاناة واعمال الروية ، وحذره أن يعيث فسادا في الارض ، ونصحه أن يكون رحيما بالضعفاء ، وألا يألو جهدا فى مساعدة من يطلب منه المساعدة ، وألا يكون عداؤه لعمه سببا فى عدائه لجميع الناس •• وأعطاه الفتى موثقه ، ثم اخترط سيفه ، وربط على قدميه وساقيه نعليه الذهبيتين ، وودع أستاذه وحياه أحسن تحية ، وانطلق يذرع الرحب الى يولكوس ، حاضرة تساليا

ولقى فى طريقه سيلا زاخر العباب ، فوقف حياله ينظر ويفكر ، ويدبر لنفسه خطة يعبره بها • وكان السيل جياشا ينحدر من شعاف الجبل القريب ،فيجرف فى سبيله الجلاميد والنؤى ، وتظل تتدحرج ويضرب بعضها بعضا فتنسحق وتتفتت ، فراعه أن ينزلق وسطها ويكون مصيره مصير جلمود منها •• وفيما هو يعمل فكره ، وفيما هو يلتفت يمنة ويسرة ، اذا به يرى عجوزا تابة (١) تدب على عكاز غليظ ، مقبلة نحوه ، مادة ذراعها المعروقة ، مستغيثة : « لهفى بنى ! بنى انتظر ارجوك انتظر يا ولدى ! » من هذه ؟ لا يدرى جاسون • بيد أنه انتظر حتى أقبلت العجوز وسألها عن شأنها ، فتوسلت اليه أن يحملها على ظهره ليعبر بها مجرى السيل ! ووجم جاسون قليلا ، لكنه ذكر وصاة شيرون أستاذه ، فتبسم ، وانحنى للمرأة فاحتملها على كاهله القوى المتين ، ثم رجاها أن تدفع اليه بعكازها يتوكأ عليه ففعلت ، وتقدم بخطى وئيدة ، ولكنها أكيدة ، الى مجرى لا يفكر فى نؤيه وجلاميده ، ولا جيشانه واصطخابه ، بل يفكر فى أنه يجب أن يؤدى يدا لهذه العجوز التى استغاثت به •• وعبر مجرى السيل ، وبلغ عدوته

(١) تابة اى متقدمة فى السن

الاخرى بعد عناء وجهد ، ووضع على الـــرمال اللينة المتطامنة حمله ٠٠ ولكن ٠٠ يا عجبا !! أين هى المـــرأة العجوز الحيزبون ؟ أين الكومة من الجلد المتهـــافت ، والعظام النخرة ، التى كانت ترهق كاهله ؟ لقد ذهبت ووقف مكانها شباب رائع ، وجمال فتان ، وغادة حسان مفتان !!

ـ يا للآلهة ! من أنت بحق السماء يا ربة ؟

ـ أنا ؟ ٠٠ ألا ترى الى هذا الطاووس المزهو بذيله وألوانه أيها العبد الصالح ؟

ـ أوه ؟ أو أنت جونو (١) ؟

وسجد جاسون بين يدى الربة ، سيدة الاولمب ، ثم أذنت له في أن ينهض ، واخذت براسه فباركته ،وسألها أن تهبه رعايتها فى حله وترحاله فوعدت ، ثم رفت فى أثير السماء التى تفتحت لهـــا أبوابا ، وغابت عن بصر جاسون !

ووقف الفتى لحظة مسبوها مشدوها ، ثم انطلق فى طريقه ٠٠ وراعه بعد مرحلة طويلة أن يرى الى قدميه فلا يجد الا نعلا واحدة فى احداهما ٠٠ أما الاخرى ، فقـــد ذكر أن السيل انتزعها من قدمه واحتملها ، وهـــو لا يستطيع استعادتها ، لان حمله كان يرهقه !

ثم بلغ يولكوس

ورأى جمعا حاشدا حول ملكها بلياس ، الـــذى وقف ينحر الذبائح ، ويقرب القرابين للآلهة ، ويفرق حواياها(٢) على الفقراء ! فدافع الناس ، وشق طريقه الى حيث وقف

---

(١) عودنا القراء فى أساطيرنا أن نسميها باسمها اليونانى (حيرا) وهذا هو اسمها الرومانى

(٢) حشاياها

الملك ، ثم سار الى عمه قدما ، حتى كان قبالة المذبح ٠٠ وما كادت عين صاحب العرش ـ أو غاصبه ـ تقع على الفتى الذى يلبس نعلا واحدة حتى شحب لونه ، وغاضت الدماء الوردية من خديه ، وأخذ قلبه يخفق ويضطرب اضطرابا شديدا ٠٠ ذلك لانه ذكر تلك النبوءة التى تنبأ له بها أحد سحرائه ، والتى حذرته من الشاب الذى يقبل من بلاد بعيدة لابسا نعلا ذهبية واحدة فى احدى قدميه ، فى حين يكون هو مشغولا بتقريب القرابين للآلهة !! أن هذا الشاب يقتله !!

وأمر حراسه بالقبض على الفتى واحضاره الى غرفة العرش فجىء به اليها ، ولم ينتظر حتى يبدأه عمه بالكلام بل وقف أمامه جبارا يغلى الدم فى عروقه ، وطلب اليه أن يعتزل الملك ويخلع التاج ، ويعطى الصولجان صاحبه، وأن يعيد الحق الى نصابه ٠٠ « لانك انتهزت ضعف آبى الذى وهنت عظامه ، واشتعل رأسه شيبا ٠ فعتوت عليه وألبت عليه الاوشاب من مرتزقة الجند ، ورعاع الشحاذين والأفاقين ، فلبست تاجا ليس لك ، واستويت على عرش تزعزعه الجريمة من تحتك ، ثم حاولت أن ترشو الالهة وتخدع السماء بالاضحيات والقرابين ، ولكنك لا تخدع الا نفسك فالتمس لها السلامة من موت يبغتك ، ومغبة وبال يحيط بك ٠٠ »

وكان بلياس يسمع هذه الكلمات الثائرة كأنها سهام تملأ أذنيه ، ومنايا تطير حول قلبه ٠٠ بيد أنه استعد لها بالمكر ، وتهيأ لصدها بالخدعة ، فتبسم لابن أخيه وقال : « ماذا تتول ياجاسون ؟ اتحسبنى يابنى قد سلبت اباك عرشه ، وغلبته على صولجانه ؟؟ كلا والله يابنى كلا ... ولكن .. ليسكن طائرك قبل كل شىء .. فلقد دعوت نفرا من (رعاياك !) لوليمة الهية ، وقد اقبلوا من كل

فج ، وهم ينتظروننا الآن ، وليس من حســن الرعاية ولا من مروءة الملوك أن يستأنوا عن مواعيدهم ، فهــلم نلقهم ياجاســون ، ونرحب بهم ، فاذا فرغنا وفرغوا من طعامهم ، عدنا سوية لنبحث هذا الامر الذي اهمــك وأقلقك ، وملأ فؤادك بالوساوس والاراجيف ، وسترى أن الذي انبأك هذا النبأ زخرفه عليك ، وشوه حقيقته فى نفسك ، بدليل هذه النــيران التى تنقذف كلمات من من فمك ! .. تعال .. مرحبا بابن اخى جاسون ؟ لشد ما أنا مشتاق اليك ياحبيبى ! »

ثم قبله فى جبينه قبلة صفراء قاتلة ، أفتك من قبــل التماسيح ، وانطلقــا الى البهو الكبير ، حيث صــفت الاخاوين (١) الحافلة باشهى الاكال . وأطيب الاشربات ، وحيث جلس المدعوون اليها صفوفا صفوفا وألوفا الوفا

وجلس جاسون فأكل وشرب ، ثم اخذت الموســيقى تعزف فتشرح الصدور الحرجــة ، وتشفى النفوس من كل حرد ، واعتلى المنصة التي أقيمت فى صدر الحفــل جماعة من المنشــدين ورواة القصص ، شرعوا يسردون قصصهم ، ويتناشدون أشعارهم ، ويروون من أنبــاء الابطال ما يأسر القلوب ويسحر الالباب ، حتى أن جاسون نفسه كان يصغى اليهم ، وكأنه يتلقى وحيا من السماء يتنزل على قلبه ، ويدعوه الى فعال الفتية الابطال

قال أحد المنشدين « واسمعوا أيها الناس حــكاية الملك الذي صبا قلبه الى امرأة غلبت فؤاده وســحرته بجمالها عن زوجته وأم طفليه ، فبنى عليها (٢) ولم يبال أن ينقض ركن الاسرة وينهار عمادها .. ذلك هو أتماس

(١) اخوان لغة فى خوان الذى جمعه خون وفى القلة اخونة
(٢) تزوجها

أحد ملوك تساليا فى الزمان القديم ، ولقد فزعت الملكة البائسة وخشيت أن يصيب طفليها مكر ضرتها ، فاعتزمت أن ترسلهما الى ملك كولخيس ليكونا بنجوة من اينو الخبيثة .. وفيما هى واجمة تفكر فى ذلك اذا هرمز الامين يتنزل من السماء فيسألها وتجيبه :

ـ نيفيل أيتها العزيزة ؟ فيم تفكرين حزينة هكذا ؟

ـ هرمز ؟ تباركت يارسول السماء ، أفكر فى ولدى هذين وما عسى أن يصيبهما من مكر اينو ..

ـ لا عليك يا حبيبة الآلهة ، اننى مساعدك ، كفكفى دموعك ..

ـ شكرا يا اله الرحمة ، سأسبح لك ما حييت !

ـ وأين تحسبينهما يكونان فى سلام وأمن يانيفيل ؟

ـ لا يكون ذلك الا عند ملك كولخيس ، ولا أدرى كيف أرسلهما اليه ؟!

ـ لا أهون من هذا ، فانتظرى طرفة عين !

ومضى الاله فغاب برهة ، ثم رجع ومعه كبش عظيم ذو فروة ذهبية وقرنين وحوافر من خالص الابريز ، فقدمه الى الملكة المحزونة ليركبه طفلاها ، ولينقلهما الى ملك كولخيس ، وسجدت الملكة شكرا لهرمز ، ثم قبلت طفليها فركسوس ، وابنتها هلة، وطبعت فوق جبينهما وخدودهما ألف ألف قبلة ، ودعت لهما ، ثم انطلق الكبش فى الاثير يطويه بين بكائها الطويل وآهاتها التى لا تنتهى ..وطفق الكبش يعرج فى السماء ، ويخفق فوق الممالك ، حتى كان فوق بحر صاخب مضطرب تقلبت أمواجه ، وتناوحت زوابعه . فنظرت الفتاة المسكينة هله تحتها لترى ما هنالك ، ولكنها فزعت فزعا شديدا ، حينما رأت سراطين

البحر وحلازينه تقتتل ، وتحترب ويأكل بعضها بعضا ، فارتجفت رجفة هائلة ، وانفلت صوف الفروة من قبضتها فسقطت من عل وجعلت تهوى حتى ترديت في البحـــر وابتلعتها أمواجه ... ومنذ ذلك الوقت ، وهذا المكان يعرف من أجل ذلك باسم (الهلسبنت (١)) نسبة الى الفتاة البائسة هله ! ومضى الكبش يستبق الريح، ويطوى العوالم ، حتى وصل الى مملكة كولخيس ، فهبط قليـلا قليلا ، حتي اذا كان على الارض نزل الفتى فركسوس ، فصلى للالهة ، وذرف الدمع على أخته ، وسلم على الملك الذى هش له وبش ، وأحسن لقياه ، وأكرم مثواه ، ثم شحذ سكينه وتل الكبش لجبينه ، وكبر وسبح باسم جوف وبأسماء آلهة السماء وجزر الحيوان قربانا لهـم جميعا ... وسلخ الجلدة الذهبية وقدمها هدية للملك الذى فرح بها فرحا شديدا ، لانها كانت تعدل كل ما فى كنوز الملوك من ذهب ... وقد ربطها الملك فى سنديانة باسقة ، ووكل بها تنينا هائلا ليحرسها وليسهر عليهـا من كل سارق رجيم ... ومنذ ذلك اليوم والفروة التى تعدل ألف كنز معلقه لا تمتد اليها يد ، ولا يجسر أحد أن يقترب منها والا جازف بنفسه ، فاصبح لقمة سائغة للتنين ... »

ولحظ بلياس كيف زاغت عينا جاسون عندما سكت المنشد ، فانتهز الفرصة ، وانطلق يغريه بالاســـتيلاء على الفروة الذهبية ليكون بها أعز الملوك وأضخمهم غنى ، وأوفرهم ثراء ، ثم ليخلد اسمه بين أسماء الابطال الذين دوخوا الممالك ، وأتوا من الفعال ما جعلهم أنشودة المجد فى فم الزمان ... « ولم لا يا ابن أخى ؟ لقد علمت أن

(١) هو الدردنيل

أستاذك الذى نشأك ، وهذبك وأدبك ، هو شـــيرون السنتور الاكبر ، أستاذ أخيل العظيم ، وقد خلد اخيل اسمه على أسوار طروادة ، وأعلى ذكره فى جميع الانام ، فلم لا تذهب الى كولخيس لتحصل على الفروة الذهبية اما سلما واما حربا ، وأنت من أنت فى أبطال الوغى وصناديد الحروب ؟ ألست أرمى الناس لسهم ، وأضربهم بسيف وأحذقهم طعانا برماح ؟ انها فرصة المجد لمن يبتغى المجد يا جاسون ، فلا تضعها ! لا تقل « بل حسبى أن أحكم الناس » فالناس يعشقون أشجع الناس ... » وهكذا طفق بلياس المخادع يزخرف للفتى ، حتى هاج فى صدره الشباب نائم المنى وساكن الآمال ... فرضى جاســون بالاضطلاع بهذه المجازفة ، وظن أنها من اليسر بحيث لا تستعصى على شجاعته . بيد أنه عندما خلا الى نفسه ، وراح يفكر فى الوسيلة التى يبلغ بها مناه ، بدت له حقائق أسقطت فى يده ، وجعلته يتخاذل ، ويندم على الوعد الذى وعده عمه ، غير أنه ذكر ما قال له أستاذه شيرون من ضرورة احترام الوعد ، وربطه بالشرف ،فصمم على السفر الى كولخيس وجلس يفكر فوق عدوة النهر ، وكانت سمادير اليأس تملأ عينيه ، فلم يهتد الى الوسيلة ! وانطلق الى غرفته ، فقضى فيها ليلة ليـــلاء مثقلة بالهم والفكر .. ثم انبلج الصبح ، فانطلق الى هيكل جونو عند دودونا ...

ـ جونو ... جونو ... لقد كدت أنسى جونو ، يجب أن أصلى لجونو ، فقد وعدتنى أن تدركنى بغوثها كلما حزبنى أمر ... لقد حملتها على كتفى هذين فى صــورة عجوز شمطاء ! وهى ستحمل عنى هذه المرة !

ووقف بجانب المذبح يرجو ويتوسل ويصلى ، وكانت سنديانة هائلة ـ هى الناطقة بنبوءات جونو ـ نامية وراء

المذبح ، فسمعها جاسون تهتف باسمه وتقول :

ـ لبيك أيها الفتى لبيك ! لبيك وسعديك يا جاسون يا حبيب جونو لبيك ! كفكف غوارب دمعك فسترعاك الربة وتحفظك ٠٠ تعال ! اصعد فوقي ! اقطع أحد أغصاني واصنع منه عصا ، واجعل لها رأسا على هيئة السفينة التى تحملك الى كولخيس ، وسيبنيها ارجس(١) لك ، وذلك باشراف مينرفا ٠ ولتكن العصا معك دائما ، ولكن لا تنقلها من السفينة فهى حارستها ، وكلما ألم بك خطب أو حز بك أمر ، فارجع اليها ، فهى تكلمك وتشير عليك ٠٠٠ » وسكتت السنديانة ، وصنع جاسون العصا وذهب عند سيف البحر ، ليرى عمال آرجس ، باشراف مينرفا ، قد فرغوا من السفينة الهائلة وأنزلوها الى الماء ففرح واستبشر ، وسماها (آرجو) نسبة الى صانعها ، ثم أعلن عن حاجته الى نفر من شجعان هيلاس ، يقاسمونه مجازفته ، فاجتمع اليه عدد غير قليل ، منهم هرقل الجبار وكلستو ، وأدمتوس ، وتيزيوس ، وأرفيوس ، وبولكس ويليوس ٠٠ وأعدوا ميرتهم ، واستكثروا من ذخيرتهم ، ثم همت الفلك ، واحتواها الماء

مساكين هؤلاء الآرجونوت (٢)

لقد كانت رحلة شاقة مضطربة بالمتاعب ، مليئة بالأشجان ، فى بحر لجي وأمواج كالظلل ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وأهوال جسام يأخذ بعضها برقاب بعض ، وطريق كله سعالى (٣) وأغوال

لقد لقى الابطال الصناديد من أمرهم رهقا أى رهق ٠٠ فلقد أرسوا مرة بأرض شجراء باسمة الدوح ، نما أيكها

---

(١) حيوان رائع من اتباع جونو
(٢) المسافرون فى السفينة (آرجو)
(٣) جمع سعلاة اوسعلاء وهى الغول أو ساحر الجن

واستطال ، وغلظت جذوعها واستوت ، فبدا لهرقل أن يصطحب غلامه هيلاس وينطلق فى الغابة يقطع أغصانا تصلح لان يصنع منها مجاذيف للآرجو ، فأوغلا ٠٠ وكانت الطريق ملتوية مضلة ٠٠٠ فلما أن قطعا من الاغصان شيئا كثيرا ، أصاب هرقل ظمأ شديد لم يصبر عليه ، فأمر هيلاس أن ينطلق فيملأ جرة الماء التى كانت معهما من نبع قريب كانا يسمعان خريره يتلاشى كالصدى فى سكون الغابة ٠٠٠ وذهب هيلاس ، وجلس هرقل ينتظره ٠٠٠ ولكن وقتا كافيا طويلا مضى قبل أن يعود الفتى ٠٠٠ ثم مضى من الوقت ساعة أو نحوها ٠٠٠ ثم ساعتان ٠٠٠ ثم أكثر من ذلك ٠٠٠ ثم أكثر ٠٠٠ ماذا ؟ ترى ما الذى عوق هيلاس ؟ أواه ! لقد كان هيلاس أجمل شباب الدنيا فى ذلك الزمن ، ولقد كان له جسم سمهرى ممشوق ، وصدر رحب أخيلى ، ووجه تمتزج فيه بداوات الرجولة والفتوة بقسمات الفتنة والجمال ، وعينان يترقرق فى بريقهما لون من السحر لا يعرفه الا العذارى ، ولا تحسه الا قلوب الحسان ٠٠٠ وشفتان ان كانتا لرجل ، فقد سرقتهما له الطبيعة الفنانة من فم غادة ٠٠٠ وجبين متلألىء وضاح ، لماح كاشراقة الشمس فى مولد الصباح ٠٠٠ تبارك الله ما كان أسبى وما كان أصبى ، وما كان أجمل هيلاس !!

ذهب يملأ الجرة ٠٠٠ وما كاد ينثنى ليضرب بها الماء ، حتى رأته عرائسه الغيد ، الخرد الامالبد ، فشغفهن وامتلك قلوبهن ، وبرزن من القاع ليسكرن بجماله ، وينهلن من حسنه ، وليقسمن بسيد الاولمب ماهذا بشرا ، ان هذا الا ملاك كريم !! واقتربن من مكانه ، ثم لم يقوين على البعد فاقتربن أكثر ، ثم تأجج الهوى فى فؤاد احداهن وهى أجملهن ، ان كان فيهن من هى أجمل من أختها ،

فهتفت به ، فلم يجب ، فجذبته من ذراعه جذبة نزل بها الى الماء

ـ ماذا بالله عليك يا عروس ؟

ـ تعيش معنا !

ـ أعيش معكن فى الماء وأنا بشر ؟

ـ لن تكون بشرا بعد اليوم ، بل تكون الها كريما

ـ وأنى لى هذا وأنا غلام هرقل ومولاه ، وهو ظمىء الى جرعة من مائكن تشفى جواده ؟

ـ ومن أذن لهرقل أن يرسو بأرضنا ؟ اذن هذا عقابه ! تعال ! سيمنحك الخلود سيد الاولمب !

وجذبته الى القاع .. ولكنه لم يغرق .. وهو يعيش الى اليوم مع هذا السرب من الحور العين لا يخدم أحدا ، ولا يجوع ولا يظمأ !

ونهض هرقل يقص أثر فتاه ، حتى اذا انتهى الى النبع ، ووجد الاثار هابطة الى الماء ، الى غير عود ، صرخ صرخة تجاوبت أصداؤها فى أركان الغابة ، ثم جلس ساعة على حفافى المقبرة التى ابتلعت هيلاس ، ينشج ويبكى ... وأقسم لايذوقن من مائها قطرة ، وأقسم كذلك لايصحبن الآرجو فى هذا السفر ... وعاد أدراجه ، بعد رحلةطويلة قطعها على قدميه الى أرض الوطن ، وعاش حياتهالطويلة القاحمة لايفتأ يذكر هيلاس ، ولا يفتأ يبكى على هيلاس !

***

وأرست الآرجو فى شاطىء تراقيا ، ونزلجاسون فى نفر من رجاله يمتارون ، فعلموا أن ملكا أعمى يقال له فنيوس ، شديد البؤس ، طويل الشقاء ، يحكم هذه المملكة .. ولم يكن عماه وذهاب بصره علة شقائه فحسب ، بل كان ذلك بسبب طيور غريبة الخلق ، لهاجسم الطيروريشه ومخالبه ، ورأسالانسان ولؤمه وخبثطباعه .. كانتهذه

الطيور تنزل بساحة القصر الملكى ، ثم تهجم على غرفة الملك كلما حان موعد الطعام ، فتلتهم غداءه ، فلا تبقى ولا تذر • وكان الملك في أكثر الاحيان لا يجد لقمة واحدة يتبلغ بها . لان هذه الطيور لم يكن من دابها أن تبقى على شيء •• حتى على الفتـــات •• ولم يكن يردها عن قصر الملك كلما حان موعد الطعام ، فتلتهم غـداءه ، فـلا تبقى تخمش وجوه الجند وتمزق جلودهم كلما حاولوا صدها عن بيت مولاهم ، وكانت تفلت من سيوفهم وتمرق من سهامهم بخفة تحير الالباب ، ولم يحدث مرة أن أصـــاب احد الجنود منها غرضا ، حتى جن جنون الملك وتضاعفت بلواه ، وجأر بالشكوى الى آلهة السماء

ودهش جاسون ،وذهب بالقصة الى رفاقه الارجونوت، فتقـــدم اليـــه البطلان الضرغامان ، ولدى بوريس ، يقترحان ان يذهبا معه الى الملك المسكين فيعرضا عليه حربا عوانا يشبان نيرانها على هذه الطيور ، فاما ان يتم لهما النصر عليها ، واما أن تكون لها الكرة عليهمـــا ••• وصادف الاقتراح هوى فى نفس جاسون فانطلق معهما الى الملك الذى هش لهما وبش ، وفرح بما عرضاه فرحا شديدا ... فلما حان موعد الغذاء ، جلس الملك وضيفاه ــ وكان جاسون قد عاد الى السفينة ــ الى المائدة ثم لم تمض لحظات حتى أقبلت الطيور ترنق فوقهم وتدوم ، فوقف البطلان وامتشقا سيفيهما ، فلما هبطت ناوشاها مناوشة عنيفة ، ولم يمكناها من خدش واحد تحـدثه ببدنيهما ، بل هجما عليها هجوما ذريعا ، واخذا يسقطان منها عددا كبيرا كان يهوى فوق الارض فيلطخها بدماء حارة فائرة ... وكلما هبطت واحدة طفقت تشكو وتبث بلسان يونانى مبين ... ثم فرت بقية الطير ... ولـكن ملكتها حطت بمكان قريب من الملك ، وهتفت به كى يأمر

بوقف الملحمة التى تدعو بعض جندها لنقل جثث القتلى ... بيد أن الملك رفض طلبتها حتى تقاسـمه اغلظ الاقسام وأوكدها أنها لا تعود الى الاعتداء عليه أبدا ، ولا تعود الى زيارة تراقيا كلها أبد الحياة .. فقاسمته ملكة الطير ، وأشار الى ولدى بوريس فأغمدا حساميهما . وذهبت الملكة ، وعادت بعد قليل فى شرذمة من جندها ؛ وبعد أن ذرفت من دموعها على قتلاها ، حملتها ، وذهبت الى غير عود (١) ... وبرت قسمها ، فلم تزر تراقيا بعد هذا أبدا . وشكر الملك لولدى بوريس ، وعرض ان يستوزرهما ، فاعتذرا شاكرين ، ليصحبا جاسون

***

وكأنما ذاع نبأ الهزيمة فى عالم الطير فهبت جبابرته تأخذ بثأر الهاربز ، فانه ما كادت الآرجو تبعد عن شطئان تراقيا ، حتى رأى راكبوها سربا كبيرا من البزاة والنسور البواشق يقبل من علو كأنما تفتحت عنه أبواب السماء ، ثم لا يفتأ يضرب الهواء بخواف من نحاس تلمع فى أشعة الشمس كالذهب ، حتى اذا كان فوق الارجو طفق يقذف راكبيها بحجارة مسومة من سجيل ، فألحقت بهم اذى كبيرا .. ولم تنفع سيوفهم ولاقسيهم شيئا ، فاختبأت كل كوكبة منهم فى قمرتها وخلا جاسون الى عصاه السحرية يستشيرها ماذا يصنع لينجو بقبيله من هذه الطير ، فتكلم الرأس العجيب ، فأشـار بأن يضرب الجنود بأغماد سيوفهم على دروعهم ضربا شديدا فيحدثوا صوتا تنزعج الطير منه ، وتفر مروعة الى غير عود .. ودعا

---

(١) تعرف هذه الطيور فى الميثولوجيا باسم هاربز Harpies وروى أنها نفت نفسها فى جزيرة ستروفيد

جاسون جنوده ففعلوا كما اشارت العصا وفرت الطير ذاهلة ممزقة في رحب السماء

***

وحاقت بهم كوارث أخرى لا حصر لها .. ثم اقتربوا من برزخ سمبلجيدز الذى ليس لمسافرالى مملكةكولخيس سبيل غيره .. وهو مضيق رهيب يصل ماء بحرين وعلى كل من عدوتيه صخرة هائلة ، فلا تزال الصخرتان تنطبقان وتنفجران ، بحيث تسحقان كل شيء يحصل بينهما فيصيرانه هباء عفاء كأن لم يغن من قبل .. وكأين من سفينة جازف ملاحوها بالمرور بينهما ، فحطمتهم وعفت على آثارهم .. ولم يدر جاسون ماذا يصنع وجلس رفاقه يقلبون الاكف على ما أنفقوا فى مخاطرتهم هذه ، وظلوا ينظرون الى الصخرتين ساعات وساعات وهما ترتطمان ، وكلما سمعوا قصيفهما يجلجل فىالآفاق جعلوا أصابعهم فى آذانهم حذر الغشية وتقية الصمم .. وخلا جاسون الى عصا جونو يستوحيها ماذا يفعل ، فما كانت غير لحظات حتى تكلم الراس العجيب ، فأشار بأن يطلق جاسون حمامة بين الصخرتين حين تنفجران، ويرى هل تمرق قبل أن تنطبقا عليها ؟ ثم يرى ، هل يستطيع أن يمرق ملاحوه بسفينتهم بمثل سرعة هذه الحمامة .. ؟ ودعا جاسون رجاله يستشيرهم ، ثم اطلقوا الحمامة البيضاء كما اشارت العصا ، وكم كان عجبهم شديدا حين رأياها تفلت من بين الصخرتين الا ريشة واحدة انتزعت من ذنبها فصارت هباء نثره الهواء واستعدوا للمقاحمة ، وطفقوا يقيسون مسافة ما بين البحرين فى البحر الذى هم فيه ، ثم يطلقون حمامة كالتى اطلقوا ، بحيث يعملون مجاذيفهم حين تنطلق فى الجو.. واعادوا التجربة مثنى وثلاث ورباع حتى وثقوا من

قدرتهم على قطع المسافة فى مثل البرهة التى قطعتها فيها حمامتهم الاولى .. ودفعوا سفينتهم الى أول المضيق ، وانتظروا حتى أوشكت الصخرتان ان تنفرجا، ثم أعملوا مجاذيفهم بأذرع مستبسلة ، وأرواح ترتعد فرقا من الموت فى أبدانها ، فمرقت السفينة ، كما يمرق السهم عن قوسه .. واحربا !! لقد استطاعوا أن يفلتوا بفلكهم ، وان حطمت الصخرتان سكانها (١) ، كما حطمته سئل عن طلبته فقال :

وما كادوا ينجون من هذه الموتة المحققة ، حتى انسدحوا (٢) فى الفلك يلهثون ويتنفسون ، ويهنىء بعضهم بعضا ..



وبلغوا كولخيس بعد عناء وجهد ، ومثلوا بين يدى ايتيس ملكها الجبار ، فسلم جاسون بسلام الملوك ، ثم سئل عن طلبته فقال :

ـ عز نصر مولاى ، لقد تجشمنا مشاق هذه السفرة فى سبيل الفروة الذهبية التى يقتنيها ملك الملوك ، لانه نمى الى أنها كانت من تراث آبائى .. ولا أدرى كيف حصل عليها السيد بعد اذ أفلتت من كنوزنا

وقهقه الملك ملء شدقيه كالساخر المستهزىء ، ثم ربت على كتف جاسون وقال :

ـ اى بنى ! أبق على شبابك الفض ، وجمالك الفينان، وعلى شباب هذه النخبة أولى القوة والفتوة ممن معك .. اى فروة ذهبية يابنى تبتغى ؟ وتراث آبائك من ؟ ! لقد ذبح فركسوس الكبش بيديه أمام عينى ، وسلخه بين

(١) دفتها (٢) انطرحوا

يدى ، وضحى باللحم والحوايا (١) للآلهة ، ثم أهدى الى الفروة الذهبية التى تعدل كنوز الدنيا بأسرها ! ففيم اذن تجشمك تلك المشاق ، وفيم مجازفتك بالسفر بين صخرتى سملجيدز ؟ ! وفيم كل تلك المهاوى والمهالك ؟ عديابنى الى بلادك فهو خير لك ، وابق على حياتك ، وانعم بحضن أمك الدافىء ، فهو أرحب لك من ميدان كله ذؤبان وغيلان ، ومنايا تثير الاشجان والاحزان !

وتبسم جاسون وتشبث بما سأل الملك ، فأخذ ايتيس يعظه وينصحه ، فلما رأى تصميمه واستمساكه ،قال له :

ـ « لك اذن ماطلبت يابنى ، ولكن اسمع ، واصغ الى ، ان أمامك مخاطر كنت أوثر الا تلقى بنفسك فى تهلكتها ، ولكن ما دمت قد غرتك الامانى وأزهدتك هذه النخبة من ابطال بنى جلدتك ، فاذهب اذن ، وحاول مااستطعت ان تلجم عجلى فلكان الهائلين اللذين ينقذف اللهب من منخريهما ويفتكان بكل من اقترب منهما ، ثم حاول بعد ذلك أن تحرث بهما الارض الجبوب (٢) التى تقدست باسم مارس ، فاذا فعلت فازرع ماحرثت بأنياب تنين كما فعل قدموس بانى طيبة ، فانك لاتلبث أن ترى الارض تنبت جيلا من المردة مقنعين فى الحديد يلاعبونك بأسنة الرماح ، فاذا قدرت عليهم فان عليك أن تقتل التنين الهائل الذى يحرس الفروة الذهبية ، فاذا فعلت ، ولااحسبك تفعل ، فان الفروة لك ، كنزا ليس كمثله كنز ، وذخيرة من الذهب الابريز ليست تعد لها ذخيرة ، هذا الى فخر يرفعك الى عليين ، وينقش اسمك فى لوحة الخلود الى آخر الزمان! »

وسمع جاسون .. وخفق قلبه ، ووجبت روحه وجيبا محزنا ، ثم أخذ على نفسه عهدا ان يفعل ! ؟

ونصحه رفاقه أن ينكث ، وأشفقوا عليه أن يضحى بهم

(١) الأحشاء (٢) الغليظة

وبنفسه فى مثل هذه المهالك ، بيد انه صمم على أن يلجم عجلى فلكان ، وأن يحرث بهما الارض الجبوب ، وأن يزرع فيها أنياب التنين ، وأن يحارب المردة ، فاما هزمهم واما غلبوه ، وان يقتل التنين الذى يحرس الفروة الذهبية ليفوز بها وليعود الى الوطن بالفخر والمجد وخالد الذكر ، فيحكم ويكون خير الحاكمين !

وكان يتكلم أمام رفاقه فى شجاعة مدعاة ، وفتوة مفتراة ، فاذا خلا الى نفسه حزن اشد الحزن ، وأسلم نفسه للتفكير العميق .. ثم استوحى عصاه السحرية ، فقالت له : انه ينبغى عليه أن يلقى ابنة الملك الاميرة ميديا ، فانها مشغوفة به حبا منذ ان رأته يحدث أباها .. وانها تكاد تجن به جنونا

ــ وكيف ألقى ميديا هذه يامعجزة جونو الحبيبة ؟

ــ اتصل باحدى عجائز كولخيس تقض حاجتك

ــ ومتى ألقاها واين ؟

ــ يالك من فتى ؟ ! ألم تسمع من يقول : وكم لظلام الليل عندى من يد ؟ القها فى جنح الليل ، ولتكن له يد عندك ، والقها فى حديقة قصر أبيها الملك !

ــ ولم ؟ ألست ابن ملك مثلها ؟ ألست صاحب عرش عظيم ؟ أليس لى ملك تساليا بعد أن أعود من رحلتى هذه ؟

ــ بلى يابنى ؟ ولكنها تخشى اباها أشد الخشية . أليس يرى فيك عدوه الاكبر لما تريد من استلابه الفروة الذهبية التى هى أكبر كنوزه ؟

ــ دعى هذا اليوم يا أماه ، ولكن طمئنينى كان الله .. هل تحبنى ميديا حقا ؟

ومن أنبأك هذا ؟ ..

ــ نبأتنيه ربة من السماء لا تضل ولا تنسى ..

ـ ربة ؟ تقدس اسمها ؟ ! من عساها تكون ياترى ؟
ـ هى جونو يا أعز الامهات ؟ لا أكذبك ، انها جونو !
ـ اتعرف ماتقول ؟
ـ وهل يكذب بشر على آلهته ؟
ـ ان كان ماتقول حقا . فلا أذيع سرا أذاعته سيدة الاولمب ، ومليكة جوف الكبير المتعال ، ان ميديا يا بنى مولعة بك ولوعا شرد المنام من عينيها ، وجعلها فى أيام معدودات طيفا لايردد لسانه غير اسمك ، ولاتذرف عيناه الا من اجلك .. و ..
ـ ميديا تبكى ؟ ومن اجلى ؟ ولم تبكى ؟
ـ تبكى لانك كلفت بامور لا تحملها الجبال!وأين أنت من عجلى فلكان والارض الجبوب التى لمارس ؟ ومن أنت والجيش العرمرم من المردة من نبات أنياب التنين ؟ ثم من أنت وما هذا كله فى مواجهة التنين الهائل الذى يحرس الفروة ؟ حقا لقد جازفت بنفسك حين وافقت الملك على خوض تلك المخاطرة ..
ـ وما الرأى اذن ، ولابد مما ليس منه بد ؟
ـ الرأى أن تلقى ميديا فهى حبيبتك ، وان عندها ، فضلا عن ذلك ، أم كتاب السحر ، ولن تبخل عليك بعلمها مهما كلفها ذلك من حنق أبيها ، واغضاب أربابها

***

لقد كان الليل يضرب على الدنيا بجرانه، وكانت النجوم تلتهب فى فحمته كقلوب المحبين ، والفرقدان يتقدان من هول الزيارة المطلوبة بين العاشقة المدلهة ، والفتى المقاحم ذى الآمال ..

واقبل جاسون فوجد العجوز تنتظره عند الباب الخلفى ... وهمست اليه ، فسار فى اثرها ، حتى كانا عند منعرج مسوج بنبات ذى عساليج ، يؤدى الى رحبة

واسعة ينتشر فى أرجائها أرج الورود والرياحين ، حتى ليوقظ القلوب النائمة،ويعطرها بفغمة (١) الحب ويسكرها برحيقه المختوم ، الذى كله لغو وتأثيم !

وهناك ، كانت تنتظره ميديا بنفس غرثى (٢) ، وقلب ظامىء خفق ، فلما رأته غمرها احساس ثائر ، واستولت عليها عاطفة صارخة ، لم تستطع معها الا ان تلقى بنفسها على صدره القوى الرحب ، تبلله بدموعها ..

ووقف جاسون ساكنا هادئا ، كأنما كان يوجس خيفة من هذا الحب الذى أقبل فجأة يهاجمه ويدارأ عليه ، ويدفع بعضه بعضا من حوله .. لقد كان قلبه باردا كالثلج ، وذراعاه جامدتين كالرخام .. وكانت ميديا تبكى وتنثر اللؤلؤ من عينيها المرتجفتين ، ولكنه لم يستطع أن يرد تحية واحدة من تحايا هذه الدموع..وكانما كان يحس ، حينما كانت الفتاة تلف ذراعيها حوله ، أن حية رقطاء تتحوى عليه ، وتنفث سمها فيه .. لماذا ؟ لم تكن الا الآلهة وحدها تدرى !!

ـ جاسون .. أحبك .. أحبك من أعمق أغوارقلبى!لم أكن أعرفك قبل أن رأيتك من الشرفة تكلم أبى ، فلما رأيتك فنيت فيك ..

ـ أشكرك ياعزيزتى .. اشكرك شكرا لاادرى كيف أعبر عنه !

ـ جاسون ! الاتكون لى الابد ؟

ـ أنا خادمك .. بل عبدك اذا شئت !

ـ لم رضيت لنفسك ماعرضه عليك أبى ياجاسون ؟

---

(١) الفغمة : الرائحة الجميلة
(٢) غرثى : جائعة والمراد مشوقة

ـ وماذا يخيفنى ياميديا ؟ نحن الاغريق لانرهب الردى، ولانخاف الموت !

ـ هذا جميل .. ولكن الموت اكره الاشياء واقبحها لمثل هذا الشباب !

ـ قد انتصر ، والنصر لا سيما فى المخاطرات ، آجمل تاج يتألق على جبين الشباب !

ـ هذا محال اذا لم اساعدك !

ـ تساعديننى ؟

ـ اجل !

ـ وكيف ؟

ـ عدنى أولا !

ـ وبماذا أعدك يا أعز الناس !

ـ أن تكون لى .. ان نتزوج !

ـ أعدك !

ـ بل اعطنى موثقك !

ـ اقسم لك ؟

ـ بل احلف بجونو ، فهى حارستك واحلف بهياكاتيه!

ـ أ .. أ .. أحلف . أحلف بجونو ! وبهياكاتيه !

ـ تحلف بجونو ماذا ؟

ـ أحلف بجونو أن نتزوج !

ـ وأن يعيش كل منا للآخر الى الابد !

ـ ا .. ا .. الى الابد ؟!

ـ اذن .. لاضيرعليك .. ستنجو من كل شيء ياجاسون .. خذ ! ..

ـ ماذا ياميديا ؟

ـ أسلحتك التى تقيك !

ـ أسلحتى . ؟ هاتان علبتان .. وهذا حجر أسود صغير ! أكل هذه أسلحتى ؟ ماذا أصنع بها ؟

ـ علبة من فضة اذا فتحتها اصاعدت منها ريح تفل من حدة عجلى فلكان ؛ وتقى وجهك حر النار التى ينفثانها من منخريهما ، فتستطيع ان تلجمهما وتضع على عنقيهما النير حتى يكون القوم (١) بيدك ، اما الحجر الاسود الصغير فتقذفه وسط المحاربين الذين تنبتهم ارض مارس الجبوب ؛ وانه لحجر مسوم من سجيل ؛ يجعلهم كعصف مأكول ! واما العلبة الصغيرة الذهبية فتنثر مما بها من طيب فى وجه التنين ، فيسكر وتتخدر أعصابه وينام لساعته ، ولك عندها ان تقضى عليه ..

وسكتت ميديا ..

ومدت فمها الى جاسون ؛ فطبع عليه قبلة فاترة خائفة ترتجف وترتعد ؛ مما سمع من سحر الحجر الاسود، وريح العلبة الفضية ، وطيب العلبة الذهبية !!

***

وكان الجو العبوس القمطرير يزيد فى منظر الحفل الحاشد روعة ورهبة ، وكان الملك الجبار يملأ بجسمه الضخم ، عرشه المرد ، فوق الاكمة المشرفة على الارض الجبوب المقدسة باسم مارس ؛ وكان الناس الذين أقبلوا من كل فج مشاة وعلى كل ضامر ، يجلسون على الشعاف واحياد الجبال المطلة على الميدان ، متزاحمين متدافعين كأنهم فى يوم حشر ... وكان اخوان جاسون يجلسون عصبة بينهم وفى قلوبهم حسرات على صاحبهم ، والسنتهم ماتفتر عن الدعاء له ، والتوسل الى الآلهة من اجله .. وكانت ميديا العتيدة تجلس فى ركن من مقصورة الملك تشعوذ وتعوذ وتطلق الرقى ..

---

(١) القوم الخشبة بين الثورين يمسك بها الحراث ، أما النير ، فالقصبة التى تشد المحراث على عنقيهما (الثعالبى)

ثم دق الناقوس الكبير فصمت الناس وشملهم سكون عجيب ..وانفتح باب الزرب فبرز عجلا فلكان ، ثم جعلا يعصفان ويتلبطان (١) وينفثان من منخريهما شرراودخانا يختلط بهما لهب أزرق ، مامس شيئا فى الميدان الاحرقه .. حتى العشب الرطب المندى ، بلهالهشيم اليابس.. ، .. وبرز جاسون من مكمنه ، فانحبست انفاس الناس ، وسكنت الريح ، وأشرف الآلهة من نوافذ السماء تنظر الى هذا اللقاء العظيم ·· وأهطع (٢) أصحاب البطل ، وطارت ألوان وجوههم ، وتحسس كل منهم فؤاده ··· ولكن جاسون الهائل خطر شطر العجلين غير هياب ، وعليه دروعه ، وفى يده سيفه ، فلما كان قاب قوس منهما ، جعل يتلطف بهما ، ثم فتح العلبة الفضية فصعدت منها ريح هدأت ثورتهما ، وأسلست قيادهما ، فأسرع الى النير فوضعه على عنقيهما ، وشد وثاقه ، ثم ربط اليه المحراث وبدأ عمله الشاق ·· وكانت الريح السحرية قد بطل عملها أو كاد ، فعاد العجلان الى سابق دأبهما من التوحش والتماص والشبوب (٣) وعاد منخراهما يقذفان دخانا أبيض وشواظا ·· بيد أن جاسون سيطر عليهما حتىأتم حرث الارض كلها ، ثم قادهما الى زربهما وأطلقهما ،وغلق عليهما ، وقصد ناحية الملك يسأله أنياب التنين ليزرعها ·· فدفعها الحراس اليه ، وطفق يغرسها فى الارض الرحبة ، حتى اذا فرغ من عمله ، نظر ، فاذا رؤوس مقنعة فى خوذات من حديد تنبت من الارض ، ثم تنمو فتبرز الرقاب ، ثم تظهر الصدور وعليها الدروع السابغات ،

---

(١) الاعصاف السير السريع الذى يثير الارض ، ويتلبطان يختلطان فى سيرهما

(٢) مدوا رؤوسهم

(٣) أن ترفع الدابة يديها غاضبة

ثم تشقق الارض وتكون الجذوع كلها من فوقها ،وتخلص الاذرع وفي أكفها السيوف المرهفه تلاعب الهواء ٠٠ ثم ترتفع الافخاذ وعليها كل لامة دلاص (١) ، ثم يقف امام جاسون جيش عرمرم من هذه الشياطين المسلحة ترغي وتزبد وتزأر ، ثم ينقض عليه الجيش باكمله ، وقد شرع كل جندى حسامه ، فيتلقاهم البطل باحسن ما علمه شيرون أستاذه العظيم من قوة فى كر ، وحزم فى فر ؛ وحذق في تحرف لقتال ، ورسم لخطط النضال ٠٠ وكان الملك ينظر الى كل ذلك ويتعجب ، وكان الشعب يفغر أفواهه من دهش وذهول ٠٠ وكانت ميديا ـ برغم ما سلحت به جاسون من سحر ـ تمسك قلبها الخفاق بيدين مرتجفتين ٠٠ أما رفاق جاسون ، فوا رحمتاه لهم ! لقد كانوا يرون الابالسة يحدقون به من كل صوب ، ويزلزلون الارض تحت قدميه ، فتزيغ أبصارهم وتتقلب قلوبهم ، وتتثلج مشاعرهم ، وينظر بعضهم الى بعض ، لا يملكون لهذه ردا ولا دفعا ٠٠

وظل جاسون يناضل ويناضل ، وكلما قتل عشرة وقفت مائة مكانها ، وكلما جندل مائة بدلت بالف ، فانقذف شيء من الرعب في قلبه ، وسرى الى نفسه دبيب من اليأس كاد يقتله لولا أن اقبلت جونو تكلمه فى بسمة روحت عن قلبه ، وتذكره بالحجر الصغير الاسود ٠٠ ولكن الحجر الصغير الاسود كان فى جيب صداره ، فأنى له به ولو غفل لحظة عن الدفاع عن نفسه لباء بقتلة شنيعة يقطر سمها من الف ألف سيف !!

وجعل المسكين يحاول مرة بعد مرة أن يخرج الحجر الصغير الاسود ٠٠ ولكن محاولاته كلها ذهبت سدى ٠٠

---

(١) الدرع الواسعة السابغة

وكان قد بلغ منه الجهد ، وتولاه الاعياء والضنى .. فلهج لسانه فجأة باسم جونو .. فأسرعت سيدة الاولمب لنجدته ، وأخرجت الحجر الاسود من جيبه ، ووضعته فى يده ، فقذفه جاسون وسط جيش الاعداء المحدقين به ، فما هى الا طرفة عين حتى تفرقوا من حوله ، ثم تصرعوا غير مأجورين .. وماتوا جميعا

وأهرع أصحاب جاسون اليه ، وطفقوا يحيونه ويهنئونه ويذرفون حوله دموع الفرح لما كشف عنه من غمة هذا البلاء ، ثم حملوه وهم يهتفون أحر الهتاف ، وأهرعت الجموع الزاخرة فى آثارهم نحو البحر ، وهى لا تفتأ تردد صيحات الاغريق ، حتى خاف الملك على عرشه أن يثله شعبه ، وأن يجلس عليه جاسون .. لذلك اربد وجهه ، وانتشرت عليه سحابة من الكآبة والهم تملأ أساريره

وبلغ الاغريق سفينتهم فشكروا للكولخيين جميل ما حيوا به بطلهم ثم خلوا بعد ذلك الى جاسون فنضوا عنه ثيابه ، وضمخوه بالطيوب والعطور ، ثم هيأوا له طعاما وشرابا ، من أفخر ما يقتنون . وفى الليل أسر لهم بسره وانطلق ليلقى ميديا

ولقيته ابنة الملك بابتسامة لم يجزها عليها بمثلها... ثم تركها وقتا غير قليل تغمره بقبلها وتنضح يديه وخديه وجبينه بدموعها ، وتعبر له عما كان يقيمها ويقعدها حينما انبرى لعجلى فلكان ، وحين أحدق به أبالسة التنين يقاتلونه ويتكاثرون عليه ، وهو صابر لهم ، ثابت لجموعهم ، حتى قذف الحجر فانقذفت فى قلوبهم المنايا

ـ أرأيت اذن يا حبيبى ما صنع الحجر الاسود من السحر ؟ أيقدر على مثل ذلك غير من أوتى من العلم ما أوتيت ؟

ـ كلا !

ـ ما لك لا تتكلم يا جاسون ؟

ـ الفروة الذهبية !أريد أن أفرغ من هذا الهم الطويل؟!

ـ الفروة الذهبية لك من غير ما ريب ، فـلا تبتئس ! قبلنى !

وطبع على ثغرها قبلة ميتة كانت ترتجف من شـياطين السحر التى ترقص دائما فى فم ميديا ... وانطلقـا الى الجانب القصى من الغابة المجاورة، حيث كان التنين الهائل يحرس الفروة المعلقة على شجرة السنديان ، وهناك، فتح جاسون العلبة الذهبية ثم اقترب من التنين فى غفلة منه ، وقذف فى وجهه بما كان فيها من قطرات السـحر ... فترنح الوحش المخيف الرائع ، واستل جاسون جرازه ، وأغمده فى صدر الافعوان الكريه ، فخـر يتلبط فى دم غزير ... وانقض الفتى على الفروة الثمينة التى ترجح ألف كنز فانتزعها من الشجرة .. وعادا عجلين الى القصر الملكى الرهيب ، حيث كان وصيفاتها فى انتظارها ، وقد جمعن كل ما استطعن حمله من أذخار القصر ، كما رسمت لهن ميديا من قبل ، وحين أوشك الجميع أن يغذوا السير الى الآرجو ... اذا بالفتى أبستروس ، أخو ميديا غـير الشقيق ، وولى عهد الملك ، يقبل لبعض شـأنه ، فتغريه أخته بالسفر معها فى رحلة جميلة الى أبدع بلدان العـالم ... تساليا ... ويرضى ولى العهد ... وينطلق الجميع الى المرفأ حيث رست الآرجو ، فيركبون فيها ، وتقلع بهم فى موج كالجبال

***

أقلعت الآرجو وطفقت تطوى عبابا من بعده عبـاب ،

ولجة من ورائها لجة ، وبدا الطريق كأنه يطول ، والافق كأنه يحلولك ، والسحب كأنما تتجمع من كل صوب لتنعقد فوق الآبقين بكنوز ايتيس وابنته وولى عهده ···

ونمى الخبر المفزع الى الملك فجن جنونه ، وهب من فوره يعد أساطيله ليقتفي آثار جاسون ، عسى أن يقبض عليه ، ويعود بابنيه وأعز كنزه ··· وانطلق هو الآخر يطوى العباب ، ويتواثب بأسطوله فوق أعراف الموج ، ووقف بين الملاحين يحضهم ويحرضهم ، ويستحثهم ويشجعهم ، حتى لاحت الآرجو لهم كالنكتة السوداء في حمرة الشفق ، أو المطوقة الورقاء في صحيفة الافق ، فضاعفوا الجهود وشدوا الاذرع ، واستبقوا اليها من كل فج ، وكانت سفينة الملك في المقدمة كالطائر الدليل يتبعه سائر السرب ، ونظر الارجونوت فأبصروا السفينة تنقذف فوق نواصي الموج نحوهم ، فراحوا بدورهم يعملون المجاديف ويهدهدون الشراع للريح ، وكلما اقتربت السفينة منهم خفقت قلوبهم وشاع فيها الذعر ، وكانت ميديا تنظر الى مركب أبيها وترتعد فرائصها من الفرق ··· وفكرت في ألف حيلة وألف سحر ، ولكن أفكارها ذهبت كلها أباديد ، وبطل سحرها كله ، فهو لا ينفع ولا يفيد ··· واقتربت سفينة أبيها حتى صارت على رمية سهم ··· وأخذ أبوها المسكين يهتف بها وينادى ، ويتوسل أن ترد اليه ابنه ·· ابنه الأوحد ·· أبستروس ··· « ميديا ! ابنتى ! أنا أبوك ! أتوسل اليك ! ردى على ولدى واذهبى أنى تشائين ! انه أملى في الحياة ! انه ولى عهدى وحافظ ذريتى ! ميديا ! أرسليه في زورق واذهبى أنت ··· ! » ولكن الفتاة غلقت فؤادها وسدت بالجحود سمعها ! واأسفاه ! يا للقاسية ! يا لبرودة القلب الذى لا يحس ، والنفس التى لا ترحم ؟ لقد أمرت

ميديا بالفتى فأحضر اليها ، ثم شحذت سكينا وأغمدته في صدره ، وتدفق الدم الحار ٠٠٠ دم الشباب الفينان ٠٠٠ يلطخ اليد الاثيمة المجرمة ٠٠٠ اليـــد الشقية ، يد ميديا التى طوعت لها نفسها المغلقـــة قتل أخيهـــا ، ثم تقطيعه اربا ٠٠ ؟

***

ماذا خطر برأس الساحرة ؟ أواه ! لقد أخذت تمزق أخاها مزقا مزقا ، وكلما أقتطعت منه شلوا قذفت به في الماء ، وأبوها المسكين المجنون يرى ، فيضطر أن يتلبث عند الشلو لينتشله ، ثم يتلبث عند الشلو الذى يليه٠٠٠ وهكذا دواليك ، حتى انتشل آخر الامـــر الراس العزيز ٠٠٠ الراس الصغير الذى كان يبسم لاينع الآمال ، ويحلم بأجمل الامانى ٠٠٠ رأس أبستروس ٠٠٠ ولى العهد ، والامل المدخر لأمة بأسرها ...

لقد انتشر الظلام في عينى الملك ٠٠٠ وغمر قلبـــه قنوط مر ٠٠٠ وأمر الملاحين فطووا الشراع ، وأخـــذوا يعودون أدراجهم الى الوطن فى بحر هادىء كله هم ، وكله حزن ، وجلس ايتيس وبين يديه أشلاء ولده يغســـلها بدموعه ، ويخضبها بالدم الذى تذرفه عيناه

ـ آه يا بنى ! أية فروة وأى كنز ؟ ليتك خلصت لى بكل ملكى ! ميديا ! غضبت عليك آلهة السماء يا عاقة ! تبت يداك يا أغدر البنات ! ألا ليت أمك لم تلدك ٠٠٠ ! أبستروس ! رد على أيها الحبيب ٠٠٠ ! » وهكذا ظـــل الملك المحزون يجتر أشجانه حتى عاد الى الوطن !

ولكن جاسون ما خطبه ؟ ! مسكين ! لقد كان ينظـــر الى ميديا وهو مأخوذ بما تصنع ! ولقد حاول أن يمنعهـــا من ارتكاب هذا الاثم ٠٠٠ لكنها حدجته بنظرة آمرة كان

يرقص فيها ألف جني ، فسكت ! وهل كان في وسعه أن يفعل شيئا ؟ ! أليس يذكر الحجر الواحد الصغير الاسود الذي أهلك جيشا بأكمله ؟ ورد عنه كيد ألف ألف مقاتل من المردة الجبـــــابرة ؟ ! بيد أنه عرف ماذا يحجز بين قلبه وبين فم هذه المرأة الهائلة حين كانت تغمر خديه وجبينه بالقبل ! لقد كان السر الرهيب المطوى في صحائف الغيب هو الذي يصون جاسون من مبادلتها حبـــا بحب وغراما بغرام ، وقبلا حارة ملتهبة بمثلها !

وقد فكر جاسون في ملكه الضائع المغتصب ، وفي أبيه الضعيف الطريد ، وفي عمه الجبار العتي ، وفكر في قوة ميديا الخارقة ، فآثر أن يبقى عليها عسى أن تنفعه ... لهذا أظهر لها التودد ، وتعمل في حضرتها البشاشة ... حتى وصلت الآرجو الى ايولكوس ، حاضرة تساليا ..

وحمل جاسون الفروة الثمينة ، وقصد الى عمه ...

وذهل بلياس ... وجعل يحملق في الكنز العظيم الذي أتاه به ابن أخيه ... وجعل يلمسه بيديه كأنه لا يصدق ... ولكن كيف لا يصدق وهذا بريق الذهب يكاد يذهب سناه ببصر عينيه جميعا ؟ !

ــ « ترى ماذا صنع هذا الفتى حتى وسعه أن يقهر ملك كولخيس على هـــذا الكنز العظيم ؟ ان الملك كان أحرص عليه من نفسه التي بين جنبيه ؟ ألا كم هلك أناس طمعوا في فروة فركسوس ؟ عجلا فلكان ! وأرض مارس ! وجيل بأكمله ينبت من أنياب التنين ... ؟ والافعوان الهـــولة الذي يحرس الفروة ؟ أظفر جاسون ــ هذا الفتى ــ بكل أولئك ؟ جاسون ابن أخي ؟ عجيب وحق الآلهة ... ؟ بل اسأله ، فلا بد من سر في هذا الامر ... » وســـــأله ، وتبسم جاسون ، وراح يلفق قصة طويلة قذف بها الرعب

فى جوانح عمه ، وظل يتغنى بشجاعته ، ويصف ما كان من ظفره بعجلى فلكان ، وحرثه الارض الجبوب ، وغرسه أنياب التنين ، ثم هذه الحرب الزبون التى شبها عليه المردة وما كان من افنائه لجموعهم ، وتلك الملحمة التى قتل فيها التنين الرهيب الذى وكلت اليه حراسة الفروة العظيمة ... ثم انه لم يشر بكلمة الى ميديا

وأكرم عمه مثواه وطلب اليه جاسون أن يتنزل له عن العرش ، فمطله ، وراوغه ، وزخرف له الامانى ، حتى أيقن جاسون أن عمه يعبث به ، بل يدبر له غيلة يخلص له العرش من بعدها ، ولا يعكر عليه صفو الحياة أى من تلاميذ شيرون



ولقى جاسون أباه فراعه أن يرى كومة من العظام ، نخرها الكبر ، وجللها المشيب ، وأوهاها الحزن ، وأوهنها الالم المتصل ، وناءت تحت كوارث الزمان ... وبكى جاسون ! ولكن أباه انتهره وقال له : « أى بنى ! ليس لرجل مثلك شب على فضائل شيرون أن يبكى !انمايبكى النساء والمستضعفون من الرجال . على أنه ماذا يبكيك ؟ ألا ان كان يبكيك اقتلاع أبيك من العرش ، فلهذا عهدت بك الى أستاذك العظيم ، وأحسبه قد ذكر لك ما كان من وصاتى له حينما عهدت به اليه يهذبك ويؤدبك ، ولقد أصبحت رجلا شيخا هالكا ، أما أنت فمن صباك فى ابان، ومن عنفوانك فى ريعان ، وأنت بالعرش أحق منى وأولى، وهو بك منى ومن عمك أليق ، ولن أغفر لك قعودك عنه ، وليس فى تساليا الا شعب يحبك ورعية تلهج بالثناء عليك ، فشمر عن ساعدك، واطلب حقك بالقنا يا جاسون»

وذهب الفتى ، وقد اضطرم بين جنبيه جحيم من النقمة

على عمه ، فلقى أول من لقى ميديا

ـ ماذا ، فيم أنت مقطب هكذا يا حبيبى ؟

ـ لا شيء ··· لا شيء مطلقا !

ـ لا شيء ؟ وكيف ؟ ألا تفهم ميـــديا ما فى نفسك ؟ حدثنى ولا تخف على ! ···

ـ لا شيء وحقك يا ميديا

ـ اومصر أنت على كتمان دخيلتك عنى ؟ اذن لقد كان أبوك يعظك !

ـ أجل ! وبهذه المناسبة أريد أن أقول لك كلمة ···

ـ قل يا حبيبى ! تكلم يا جاسون !

ـ ان لك الماما تاما بغرائب السحر ، وعلم التعـــاويذ والرقى ، ولقد نفعنى علمك فى أحـــرج مواقفى ··· ولن أنسى مساعدتك يوم لقيت عجلى فلكان ، وحاربت المردة ، وقتلت التنين ··· انما فعلت كل أولئك بمعونتك ، ولى رجاء اليك ···

ـ رجاء ؟ أى رجاء يا حبيبى ؟ انما لك أن تأمر ···

ـ شكرا .. ! الا تستطيعين يا ميديا أن تردى الشباب الى ابى ؟ أنه رجل شيخ محطم ، وان الايام لتنحدر به الى القبر ، كما تنحدر صفوانة (١) من شـــاهق ·· فهل عزيز على علمـــك أن ترديه الى ما ولى من الصبى ؟ ··· خذى من عمرى فصلى عمره ان استطعت ! أتوسل اليـــك يا ميديا أن تفعلى ! ··· »

ـ اطمئن يا حبيبى فليس أيسر مما طلبت ، وســـأرده الى ميعة شبابه بقليل من العناء ··· وسأزيد فى عمره

(١) حجـر

ما أحببت على ألا تنقص سنوك شيئا بل تزيد ان شئت؟!

لقد كان البدر تاما والليل الفضى الجميل أروع ما ينثر لجينه على الطبيعة النشوانة (١) ، وكل ما فى البـــرية نائما ساكنا والعشب الحلو كان نائما كذلك ... وكانت ميديا تخطر كالشبح الابيض بين الآكام وملء الادغال ، حتى أتت الى ربوة تشرف على كل ما حولها فصعدت فوقها ... وتلبثت قليلا تفحص الطبيعة الرائعـــة فى الارض والسماء بعينيها الجبارتين ، ثم بدأت تتلو تعـــاويذها وتقرأ رقاها ... وتصلى للنجوم صــــلاة ســحرية كان يحملها الليل الصامت الى أرجاء السماء ، والى القمر الحالم الساهم ... ثم سبحت سبحا طويلا باسم هيكاتيه ربة السفل والسحر ، وباسم تللوس ربة هذه الارض العجيبة النائمة التي تنبت البقل والعشب لما تعمل ميديا ، وصلت كذلك لآلهة الغاب والانهار والبحار ، والغدران ، ولآلهة الرياح والضباب والسحاب ، وصلت لجميع الآلهة ، ولم تفتر تطلق التعاويذ وترسل الرقى ...

***

ثم سكنت ، وصمت من حولها كل شيء ، حتى الرياح كتمت أنفاسها ، ثم تشققت السماء فكانت وردة كالدهان ... ثم انفتح باب كبير من ذهب ، وبرزت منه عـــربة عجيبة يجرها أفعوانان هائلان ، فلم يزالا يطويان الرحب حتى كانا عند قدمى ميديا ... وتقدمت الســاحرة وهى تبتسم ، فركبت فى العربة وانطلق الافعوانان يجرانهافى الهواء ، ويرفان بها فوق الوديان والغـيران ، وفوق قلل الجبال وهضاب الارض ، وفوق الغاب الساكن المستسر ، وفوق الانهار والبحــــار .. حتى انتهت الى آخر اقطار

(١) المشهور نشوى وقد استعملنا هنا لغة بنى أسد كركانة

الارض ، حيث تنبت الاعشاب العجيبة التى تنفعها فى سحرها ... وهناك ... مكثت الساحرة تسع ليال بعيدة عن العالم تجمع العشب وتنتقى البقل ذا الاسرار ، ثم ركبت عربتها ، وانسابت فى الهواء حتى أتت بيت جاسون ، فنزلت بحملها العجيب ، وعرج الافعوانان فى السماء ...



وفى الصباح ، فوجىء جاسون بوجودها فذعر ذعرا يشوبه شيء من التفاؤل بعودة الشباب الى أبيه كما وعدت ... وأمرت أن يخلى بينها وبين ايسون حتى لا ترى عين الى ما تصنع ، ولا تنكشف أسرار سحرها لاحد ما من العالمين . ثم انها أقامت مذبحين عظيمين أحدهما باسم هيكاتيه ربة السفر والسحر ، والآخر باسم هيب ربة الشباب ، وذبحت لكل شاة سوداء فاحمة السواد ، ثم صبت على دمائهما صلاة للربتين من خمر ولبن ... وتوسلت بعد ذلك الى بلوتو رب هيدز ، والى زوجته برسفونيه ألا يعجلا بقبض روح ايسون . ثم بدحت (١) نحو الرجل فتمتمت برقية أسلمته الى نوم عميق ، وأضجعته على فراش مهدته له من الاعشاب العجيبة التى حملتها من أقصى الارض ، وطفقت بعد هذا تخطر وتدور حول الجثة، وشعرها المتهدل يداعبه النسيم ، وصدرها المنكشف ناهد نحو السماء .. حتى اذا أتمت دورات ثلاثا وقفت وشحذت سكينا ماضيا ، وجعلت تشعل أعوادا من عشبها وتنظمها حول المذبحين . ثم تناولت اداوتها التى حفظت بها أعشابها ذوات الاسرار ، وحفظت بها ازهارا فيها من الرحيق السحرى ما هو آية ، وجعلت فيها من حجارة

(١) اتجهت اليه

الشرق ورمال البحر المحيط ، ومن البرد الذي جمعته أثناء رحلتها في ضوء القمر ، وجعلت فيها رأس بومة وجناحيها، وحوايا (١) ذئب ، وبقايا من صدفة سلحفاة ، ومزقا من كبد غزال ، ورأس غراب ومنسره ، وما الى أولئك من آثار الحيوانات المعمرة ، ثم صبت على ذلك كله ماء وتمتمت بكلمات ، واشعلت نارا فجعلت عليها الاداوة بما فيها ، وتركتها تغلي وتفور ، وهي فيما بين هذا وذاك تعوذ وتهمهم وتتمتم وتغمغم ، ثم تقلب ما في الاداوة بغصن زيتون أملود ... فما كاد السائل يفور حتى نمت في الغصن أفنان من الورق الاخضر وحبات من الزيتون ، يكاد زيتها يقطر منها ، وكلما نثرت منه على الارض شيئا نما مكانه عشب حلو أخضر كأحسن ما ينمو العشب في ابان الربيع !

***

ثم شحذت سكينها مرة ثانية ، ثم أهوت على حلقوم الشيخ فقطعته ، وتركت دمه ينبجس من الجرح الكبير حتى سال أجمعه ، ثم انها صبت من الاداوة في الجرح وفي الفم ، كأنما تجعل منه مكان ما سال من الدم . وما هي الا لحظة حتى دبت الحياة الفتية في جوارح الرجل المهدم المحطم ... فهذا شعره يسود ويصير فاحما غربيبا ... وهذا وجهه الجعد ذو الاسارير يمتلىء باللحم وبالدم، وهذا ظهره المحنى يستقيم ويمتلىء قوة وعنفوانا ، وهذا دم الشباب يجري في عروقه كما كان قبل أن يكتهل ، وها هو ذا يثب كالغلام الامرد السمهري ، ويشب على اخمصيه كأرشق ما يفعل الصبيان ! وها هو ذا الوجه يكتسي جمال العصر الخالي ... ثم ها هو ذا جاسون

---

(١) احشاء

يقبل من بعيد فينظر الى أبيه وكأنه في حلم ... ويعانقه ويهنئه ··· ويشكر ميديا ··· ويبكى !!

ـ أرأيت يا حبيبى ؟ أليست لك حاجة بعد ؟

ـ وكيف يا ميديا ؟ انى مفتقر أبدا الى واسع علمك ، ومبين سحرك !

ـ أمهمة أخرى ؟

ـ أجل يا ميديا ! ألا ترين الى والدى مطرودا من عرشه ، وأن الحزن يقتلنى من أجل هذا ؟ ألا تصنعين شيئا ينفعنا فى ذلك ؟

ـ ولم لا تقتل عمك ؟ ألا يستحق القتل بعد كل هذه الجرائم ؟

ـ أنا ضعيف ياميديا ·· وهو رجل جبار وله جند···

ـ اذن أنا أكفيك مؤونة ذلك ··

***

واخذ ايسون يجوب شوارع المدينة فيراه الناس ، ويعجبون لهذا الشباب الذى تدفق فى برديه ، فيسجدون له ، وان منعهم الجند وطاردوهم ··· وعلم بنات الملك بما ردت ميديا على عمهن من رونق الصبى ، وما ألبسته من رواء الشباب ··· وكان أبوهن قد بلغ منه الكبر ، ورزح تحت أعباء الملك المغتصب، فوددن لو أتين له بميديا لتصنع معه ما صنعت مع ايسون ··· واتصلن بالساحرة ، وأغرينها بالمال، فرحبت وقبلت مختارة أن ترد الى ابيهن الصبى ، حتى لا يغلبه على الملك ايسون ولا ولده جاسون ··· وأحضرت الاداوة بما وعت من عشب ، ثم جيء لها بالشاة السوداء ، ولكنها حين تمتمت بكلماتها السحرية ، وكانت الاداوة تغلى بما فيها من سائل عجيب ، قفزت الشاة فكانت فى الاداوة ، ثم قفزت منها فكانت حملا

وديعا جرى الى السهول يرعى العشب ··· وطرب البنات حين شهدن آية السحر واعجازه ··ثم جيء بالملك وحراسه ليشهدوا ··· وأعطت ميديا كلا منهن سيفا مسلولا وتمتمت بكلمات فدارت الارض برأس بلياس وصحبه وحراسه، فسقطوا! وغطوا في سبات عميق··· وأشارت ميديا الى البنات أن يضربن بسيوفهن عنق أبيهن وصدره، لتبدأ هي عملها··· فتلكأن أول الامر ·· ثم أطعن ، وحركن أيديهن بالسيوف في ضعف وفرق ، فأحدثن به جروحا أيقظته ·· فلما شهد بناته تأوه وتوجع وصرخ بهن : « ويلاه ! بناتي يقتلنني ؟! » وخافت ميديا ان يبطل سحرها ، فبدت في صورة احدى بناته ، واستلت سيفا مرهف السنان ، وأغمدته في صدر الملك اللص ·· فمات الى الابد ·· وأغمض عينيه ليفتحهما في هيدز ، وفي هيدز فقط !

وكانت ميديا قد هتفت بالآلهة فأرسلت اليها العربة التي يجرها الافعوانان ، وكانت قد فعلت فعلتها حين بدأ الفجر ينبلج ، فركبتها ولاذت بالفرار ، قبل أن يكشف صنعها أحد !

سبحان مقلب القلوب ! ان كل هذا السحر لم ينفع ميديا ! لقد كان قلب جاسون مغلقا دونها برغم أنه بر بوعده فتزوج منها وأولدها أطفالا أبرياء أطهارا! أنقياء كالثلج !! لقد أحب جاسون الاميرة كروزا ملكة كورنث وأحب هذه المرة حبا صريحا لا يشوبه ذعر ، ولا تعكره التعاويذ ، ولا تتلفه رقى السحر ·· وأعلنت الخطبة ، فجن جنون ميديا ! واسودت الدنيا في قلبها وعينيها ·· وهالها نكران جاسون جميلها الذى ناله مثنى وثلاث ورباع ·· ولم لا ؟ أليست هي التى مهدت له سبيله الى العرش ؟ أليست هي قاتلة بلياس ؟ اذن ، فالويل له !!

ودست الى أميرة كورنثا ثوبا لو اجتمعت الجن والانس لم تقدر على مثله ، فلما كانت ليلة الزفاف ، لبســـته كروزا ، ولكنها ماتت لساعتها ! اواه ! لقد كان الثوب مسموما ، وكان ما به من سم يكفى لقتل شعب بأسره !

ولم تكتف الساحرة بذلك ، بل شحذت ســكينها ، وأعادت مأساة أبستروس ، فقتلت جميع أبنــائها من جاسون .. وأشعلت النيران فى القصر الملكى ، وفرت الى أثينا على العربة السحرية لتتزوج من ملكها ايجيوس، ولتلقى ثمت مصرعها !



فينوس

ربة الجمال والحب

تعالوا يا أعزائى المحبين نسمع اغنية الجمال والحب، من ربة الجمال والحب ، بارزة من الثبج ، فوق الموجة الكبيرة ، وسط اليم

لقد كانت السماء زرقاء صافية ، ولكنها لطفت ورقت وتضاعف صفاؤها ، عندما ذاع فى ملكوتها النبأ العظيم، وبشرت بمولد فينوس !

ابتسمى ايتها الشفاه الحزينة ، وانبسطى أيتها الاسارير المقطبة ، واثلجى يا صدور المكلومين !

وأنت أيها القلب الملتاع قف خفقانك ، وأنت أيها الطرف الساهم كفكف عبرتك ، ويا نفوس العاشقين اطربى ، فقد ولدت فينوس !

برزت عرائس البحار يصلين فى بكرة الصباح لابوللو، فما راعهن الا الطفلة المعبودة تخرج من الزبد الابيض كما تخرج من الصدفة لؤلؤة غالية ، وتتهادى على رؤوس الموج كطيف نورانى فيسجد الماء تحت قدميها الصغيرتين ،

(*) اسمها اليونانى افرودبت ، وسميت فى أساطير كثيرة ديون ، كوثيريا ، وهى الهة الجمال والحب ، وربة الضحك والزواج

متمتما بصلاة الحب لربة الحب ، مرتلا أنشودة الجمال لربة الجمال !

وافتر فم الدنيا عن ابتسامة سعيدة حلوة ، يحيى الفم السعيد الحلو ، الذى سيملأ قلوب العالمين رضى وسعادة!

وأشرقت ذكاء تحمل أبوللو ، فلمح السوسنة الوردية تخطر على لازورد الماء ، فترك عربته المطهمة بالذهب تعرج وحدها فى القبة الزرقاء ، وانثنى هو يزف البشرى الى آلهة الاولمب !

وهرعت عرائس الماء الى فينـــــــوس الطفلة فرقصن وزغردن وتغنين ، وحملنها الى قصورهن المرجـــانية فى الاعماق ، حيث أرضعنها لبان الهوى ، ولقنها كلمــــات المحبة ، ونشأنها على اساليب الصبابة والغـــرام ، حتى أينعت وترعرعت ، فأزمعن المسير بها الى الاولمب حيث يتلقاها الآلهة ، فتأخذ مكانا بينهم ..

وكم كان جميلا رائعا أن يصطف التريتون والاوسيانيد والنيريد (١) من حولها ، وكم كان جميلا رائعـــا رقص التريتون على صفحة الماء الجيـــــاش بالزبد ، وتغريد الاوسيانيد كأنها بلابل الروض الاخضر ترسل فى هدير المحيط شدوها فيحور غناء كله !

وكم كان جميلا رائعا من النيريد أن يتضاحكن مترنمات فى الحلقة الاولى حول فينوس فتستجيب السماء لهن ، ويميد البحر من طرب بهن !

كم كان جميلا رائعا أن يخب موكب الحب فوق الماء ،

(١) التريتون هم أبناء نبتون اله البحار ونصـــفهم الاعلى نصـــف رجل والاسفل نصف سمكة ـ والاوسيانيد هن عرائس المحيطات وأجمل عرائس الماء وهن بنات اوســيانوس رب المحيطـــات ومنه اشتقت Oceans والنيريد طائفة اخرى من عرائس البحار وهن بنات الاله نيروس

حتى يكون على فراسخ من قبرص معدودات ، فينثني الجميع ، الا فينوس التي يهدهدها زفيروس الطيب ، رب النسيم الجنوبى ، حتى يصل بها الشاطىء ، حيث يكون فى انتظارها بنات تيميز (١) ربة العدالة ، وبنات يورينوم ربات الفضيلة والخلق الحسن ، فيتقدمن الى ربة الحب ، فيصلين لها ، ويجففن شعرها الذهبى المتهدل فوق كتفيها العاجيتين ، ثم تدلف بينهن ، لفاء هيفاء ، غراء غيداء ، مهتزة الجيد ، وضاحة الجبين ، كلما خطت خطوة قبلت الارض قدميها المعروقتين ، وكلما مرت ببلقع اهتز وربا ، واعشوشب وأزهر ، حتى يلقاها الهة الحب الاربعة ، رب الشهوة هيميروس ، ورب الغزل سواديلا ،ورب الالفة بوثوس ، وهيمين رب الزواج ، فينخرطون فى الجماعة ويهطعون الى الاولمب !

وتكون الانباء قد تواترت عن قدوم الربة الجـديدة ، فيصنع لها عرش عتيد ما تكاد آخر ياقوته تركب فيه ، حتى تصل فينوس فجأة فتستوى عليه ، وتتصارع أبصار الالهة العطشى حول جسمها الخصب ، المترع بالمفاتن ، وتتلمظ الشفاه الجائعة تود لو تفترس هذا الفم الاحوى الجميل ، وتسرى كهرباء الاشـــتهاء فى الاذرع القوية ، والصدور الهرقلية ، تحلم بضم الجيد الناهد ، ومخاصرة الوسط المياس ، و .. كأنها العنقاء ترسل اللمحة من طرفها الساجى فتصرع هؤلاء وهؤلاء !!

وتقدم الآلهة كل بدوره يطلب يد فينوس ، وكان كل اله يفاخر أخاه بما لديه من نعم وآلاء . وكان مضحكا أن يسفه الالهة بعضهم بعضا بين يدى ربة الجمال والحب حتى ازدرتهم جميعا ، وخبرت من حماقتهم مالا يتفـق

(١) بنات ثيميز هن ربات الفصول الاربعة ، وبنات يورينوم هن تاليا وأحاليا ويوفروسين

وهذا الورد المتفتح في خديها ، والسحر النـــائم فى مقلتيها ، والفتنة الثاوية فى كل جارحة من جارحاتها ، فرفضتهم أجمعين ، وان تكن برفضها قد أغضبت أباها كبير الآلهة وسيد أرباب الاولمب

ولم يغض الآلهة عن تحقـير فينوس لهم ، بل انقلب اعجابهم ثورة ، وارتد افتتانهم نقمة ، وود كل منهم لو خلى بينه وبينها فيبطش بها بطشا شديدا

وأجمعوا أمرهم ضحى ، وذهبوا الى زيوس يطالبونه بالاثئار لكرامتهم كأرباب مرهوبى الجانب مخـوفى السلطان ، من ابنته ربة الحب الطائشة !!

وخاف زيوس من ثورة الآلهة ، وافزعه تجمهرهم فى ردهة الاولمب يتصايحون ويصخبون ، فخرج اليهم هاشا باشا ، ودق بصولجانه على الارض المرمرية وقال : اخوانى ·· أبنائى :

« لستم أنتم وحدكم تنقمون من فينوس الجميلة ما بدر منها فى حضرتكم من زهو وخيـلاء ، بل أنا معـكم ناقم على هـذه الابنة العـاقة التى صعرت فى حضرتى خدها ، وشمخت بأنفها ، وحسبت أنها خير من الآلهة درجة وأعلى مقاما ··

لتطب نفوسكم يا اخوانى ويا أبنائى ·· لقد أصدرت الساعة ارادة أولمبية تقضى بأن تتزوج فينوس المتكبـرة المتغرطسة ، المختالة ، من فلكان الحداد ، صانع دروعكم ولجم خيولكم ! »

وما سـمعها الآلهة حتى صـاحوا لسانا واحدا :
« ليحى زيوس العـادل ! تقدست يا زيوس ! طوبى لك يا أولمب ! »

وكان فلكان بين الجماعة وهى تهتف ، ولـكنه كان

مشغولا عنها بتلك السـعادة التى هبطت عليه من السماء ، وكان يحمل أرزبته الهائلة ، فلما سمع النـطق الاولمبى ، ضرب بها الارض ضربة راجفـة ، أحس بها بلوتو فى أعماق الجحيم ...

***

ـ « يحسب الآلهة أننا معشر الربات ملك ايمـانهم دائما ، يتصرفون بنا كما يحلو لهم !! ما عليهم الا ان يأمروا ، وما علينا الا ان نطيع ! لقد كنت أوثر ان البث فى القصـور المرجانيـة فى اعماق الاعماق ، على ان تشرق على شعاعة من أشعة الشمس الدافئة التى يرتفع فيها أولئك الآلهة العتاة الظالمون ! »

ـ « هونى عليك يا مولاتى فقد يصفح غدا سيد الاولمب !

ـ « يصفح أو لا يصفح ...

ـ « يا للهول ! ...

ـ «أى هول يا فتاة ...

ـ « ينبغى ألا تعرضى نفسك لغضب رب الارباب ...

ـ « رب الارباب ! انت تضحكيننى يا اجمل العرائس الاوسيانيد !

ـ « مولاتى ... !

ـ « ان رب الارباب يحكم دنيـا من الخزعبلات .. أما القلوب .. اما قلوب العـذارى .. فالحب وحده يتولاهن ، ويهيمن عليهن ..

ـ « الهتى فينوس ...

ـ « لا تنزعجى هكذا ياعروس الماء .. لقـد ولدت لاكون ربة الجمـال والحب .. فاولى لى ثم اولى ، أن أسـعد بالحب ، وأن أختار من ذوى الحسن متعتى

الغالية ونعيمي الاوفى .. فلكان !! أنا أقســـم ان هذا الحداد لا يفرق بين القبلة والجذوة ، ولا بين نشـــوة الحب وزفير الكير ! وأخشى أن يغازلني يوماً فيقـــذفني بارزبته · يحسبها ريحانة او زنبقة ! يا للحداد القذر ! »

ـ ولكن زواجكما تسجل في الســماء ياربتي !

ـ « ان كان سجل السماء مدنسا بكل هذه المقـــابح الاســـــــتبدادية ، فأنا ··· فينوس ربة الجمال والحب والزواج .. آنف أن يدرج في صفحاته اسمي !

والآن اســـمعي يا أوســيانة (١) ، اذهبي الى حبيبي مارس (٢) فبلغيه أنني منتظرته الليلة ، بعد مغيب الشفق، تحت السنديانة الكبرى في أول منعرجات الغابة .. »

***

وهكذا اقبلت ربة الحب على كؤوس الحب تنهل منها ما تشـــــاء ، وتستعرض الآلهة (٣) ؛ تقبل منهم على من تشـــاء وتعرض عمن تشـــاء ... وما أكثر القطيع وما أشـــد نهم الذئب !

لقــد علقت مارس القوى اله الحرب ، ورب الدمار ؛ ولم تبال بزوجها الفظ القذر المنتن ، الـــــذى لا يميز جرس الموسيقى من طرق الحـديد ، ولا نسيم الجنـــة من زفرات الجحيم !

وعلقها مارس وافتتن بها ، حتى لكان يعد دقات قلبـــه دقة فدقة ، حتى يلقاها ، فتهدأ اعصـــــابه ، ويطمئن قلبه ، ويثوب اليه رشده

(١) واحدة الاوسيانيد (٢) اسمه اليوناني ايرس

(٣) في الميثولوجية اليونانية الالهة هم أبناء الخلص فانصاف الالهة هم من كان أبوهم أو أمهم من البشر في حين تكون الام الاخرى او الاب الآخر من الالهة ..

لقد كانت فينوس فتنة حقا !

لقد كانت تتلألأ كتمثال من النور ، في إهاب من البلور ! وكان لها شعر كأشعة الشمس ، يغدودن فوق كتفيها العاجيتين ، فيظل النسيم العاشق يقبله ٠٠ بل يعبده فاذا تعب ، تركه لينتشر فوق الخصر أو الصدر ، ثم يعود اليه بقلوب الآلهة وارواحها ، فينثرها تحت القدمين الدقيقتين الرقيقتين ، لتسحقها فينوس الجبارة

والسعيد السعيد من فاز بابتسامة من هذا الفم الاحوى المفتر ، أو غمزة من ذلك الطرف المفتر ، أو اشارة من ذلك البنان المخضوب بدم العاشقين !

وكان مارس لايخشى من اعين الرقباء مثل ما يخشى من عينى أبوللو ، ولذا كان اذا وافى فينوس في هذا المنعزل انغرامى السحيق ، فى أعمق أحشاء الغابة ؛ ترك خادمه أليكتريون عند أول الشعب المؤدى الى الطريق انعام ، يلحظ المارين وينبه الى خطر الاعداء والناقمين ، حتى يكون الاليفان بنجوة من الفضيحة ، وفى حرز من ألسن الكاشحين ٠٠ فاذا تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، ذهب أليكتريون فأيقظ العاشقين الآثمين ، فينهضان من غفوة الهوى الى يقين الفراق ، قبل أن تشرق الشمس

ولكن ! لقد ذهب العاشقان يتراشفان كؤوس الهوى دهاقا ، حتى اذا نال منهما الجهد وترنحت أعينهما تحت عبء السهاد الطويل ، انبطحا على الحشيش الاخضر : هو الى جانبها وهى الى جانبه ، غريقين فى سبات هنيء ! ولمح اليكتريون ظبيا نافرا ، يتفزع فى ظلام الغابة ، فتبعه ، وطفق يعدو وراءه حتى لحق

به بعد عناء شـــديد ، فاحتمله ، وعاد به الى مركزه من مكان الحراسة ... ولكنه ما يكاد يصـل ثمة ، حتى يساقط متهدما من التعب ، ويغلبه نعاس عميق ..



واشرقت الشمس !! وبرزت المركبة الذهبيـــة حاملة أبوللو ، رب هذا الكوكب المشرق المتـأجج ، وبـــدأت رحلتها السـمـاوية ، واخذت ترتفع فى العلاء رويدا ، حتى اذا كانت بمنزلة الضحى ، أطل ابوللو فرأى مارس الاثيم ، وفينوس الغـاوية ، متعـانقين على الحشيش الاخضر ، وكانت بين أمه لاتونا ، وامهاديون ، مايكون عادة بين (الضرائر) من بغضـاء وشحناء ، وكانت ديون تفخر على زوجات زيوس جميعا بأنها أم فينوس وحسب! وكانت لا تعدل بابنتها واحدة من جميلات الاولمب ، بما فيهن ديانا أخت أبوللو ، وابنة لاتونا

انطلق ابوللو والشـماتة تضطرب فى قلبه الناقم على فينوس ، يحمـل الخبر الفاجع الى فلـكان ، فالفاه مستغرقا فى صنع شـبكة حديدية هائلة ، والنار تتلظى فى أتونها الكبير ، والدخان ينعقد فى جو المصـنع كأنه ينقذف من بركان ، والملاقط والمبارد والمخارط متناثرة على الاديم المعفر القذر كأنها اعجاز نخل ..

— « فلـكان ! ... »

— « هـلا ... أبوللو .. ماذا جاء بك فى هـذه الضحوة ... وأنى غادرت عربتك ؟ »

— « آثرت أن اطأ ثرى هـذه الارض بقدمى على ان

تحملنى بوح (١) ، وقد تدنس شرف الاولمب بالفضيحة المزرية ! ••• »

— « الفضيحة المزرية ؟ ماذا وراءك يا أبوللو ! •• »

— « فلكان ! أين زوجك ؟ •• هل أويت اليها الليلة ؟ »

— « ماذا ؟ ... »

— « أو لم تفقه بعد ؟ •• ولكن قل لى : ماذا تصنع بكل هذه الاسلاك الغليظة ؟ »

— « أصنع شبكة كبيرة ... »

— « ولم ؟ »

— « لقد لاحظت النجس مارس يحوم حول حماى ...وأنا لابد صائده »

— « هلم ، هلم •• »

— « والى أين ؟ ... »

— « تصيده .. ألم تنته من صنعها بعد ؟ »

— « بل انتهيت •• وأين هو هذا الوغد ؟ »

— « عنى الحشيش الاخضر ، فى أول شعاب الغابة ، مما يلى الطريق العام »

— « ومع من ؟ ... »

— « مع .. .. انه قطعة واحدة مع .. فينس »

— « معها ؟ •• ياللهول ؟ •• ياللمعرض الاحمر ؟ •• »

***

واحتمل شبكته العظيمة ، وانطلق الالهان الى حيث •• النائمان الحالمان الآثمان !

---

(١) الشمس

لقد كانا ملتصقين التصاقا تاما .. حتى ما يكاد ينفذ الماء بينهما !

ونسى كل الف شفتيه فى شفتى الفه ، فهما جلنارتان تبثان نجوى الهوى الى جلنارتين

يا الله !

ليس هذا فسقا أيها الالهة ، بل هو التمـــازج الذى سميتموه الزواج (١) !

وانقض فلـــكان كالمذنب المدمر ، فألقى شـــبكته على الخائنين !

وانتفض مارس وهو يكاد يصعق من الذعر ، وانتفضت فينوس وهى تكاد تذوب من الخجل ! ولكن ! اى ذعر وأى خجل ، وهذه الشبكة قد أمسكت بهما كسمكتين !!

لقد مضى فلكان ، بعـــد اذ ربط الشبكة بما كسبت فى أصل دوحة كبيرة ، وعاد بـــكل الاسرة الاولمبية (لضبط الحادثة !)

***

وكانت ساعة رهيبة ، انصبت فيهـــا لمزات الآلهة الناقمين على رأس فينوس ، وراح كل منهم ينتقم لكرامته المهدورة من كبريائها وصلفها ، وهى ماتكاد تبين !!

وأطلق فلكان سراحهما ، أما فينوس فذهبت تنشـــد عشاقا آخرين !

وأما مارس ، فمضى الى حيث خادمه الاحمق اليكتريون، فألفاه لا يزال يغط فى نومه غطيطا مزعجا ، فركله ركلة أطارت صوابه ، واخذ بتلابيبه فخضخضه تخضيضا !

ثم انه اقسم لينتقمن منه انتقاما يكون أحدوثة الابد

(١) هذه السطور من كيتس وهى من أبدع شعره فى فينوس

وضحكة العباد ، فنفث فى أذنيه نفثتين ، ارتد بهما الخادم المسكين ديكا عجيب الصورة ، ارجوانى التاج ، طويل الجناحين ، عظيم الذيل !

وركله مارس ركلة ثانية ، وقال له : « اذهب فلن تذوق عيناك غفوة الفجر أبد الابدين ، ودهر الداهرين ، وستصحو قبل كل الخليقة لتصيح فى النائمين :

ويحكم أيها الغفاة ، هبوا فقد كاد أبوللو يقطر مركبة الشمس !! ...

***

ولا يزال اليكتريون ، ديكنا المحبوب ، يوقظنا قبيل الشروق الى اليوم ! ...



القرية الظالمة

ذهبا يدلجان فى هداة الليل ، ويضربان فى ظلام الوادى ، ويتحدث أحدهما الى الاخر حديث الالهة ، وكلما نال منهما الجهد ، جلسا يتسامران أو ينصت الشيخ ذو اللحية البيضاء المرتعشة ، الى السحر الذى تنفثه قيثارة الفتى اليافع

ـ « حسبك يابنى ، فلقد كادت موسيقاك تبطل عمل العاصفة »

ـ « وفيم تريد أن تستيقظ العاصفة يا أبتاه ؟ »

ـ « اريد أن تستيقظ العاصفة لأريك عجبا هذه الليلة من طبائع الناس • أترى الى هذه القرية النائمة فى أكتاف الجبل ؟ »

ـ « أين يا أبى ؟ »

ـ « انظر جيدا »

ـ « الظلام دامس ، ويكاد الحلك يختلط بسواد الصخر فلا أرى شيئا . . . »

ـ « انظر فى الجهة التى تشير اليها يدى »

وأشار الشيخ بيده فانبعثت منها شعاعة من نور شديد كشفت القرية للفتى

ـ « آه · هذه هي · عمش خفيف أصابني الليلة يا أبتاه ! »

وكان الفتى حلو الدعابة ، رقيق النكتة ، ثرثارا ، فقال له الشيخ يحـــذره :

ـ « اذا كنا عند القرية فلا تبدأ حديثا ، ولا تخاطبني الا ان اخاطبك ، واياك أن تأتي باشارة تسقط هيبتنا في أعين القوم ، فانهم لؤماء سفهاء ، وقد تفسد علينا ثرثرتك ما جئنا من أجله الليلة الى هذه القرية ! »

ـ « نسيت القفل يا أبتاه ! »

ـ « أي قفـــل ؟ »

ـ « الذي أقفل به فمي فما يتحرك ببنت شفة »

ـ « يا خبيث .. اصمت »

***

وأشار الشيخ بيده الى الســـماء فاربدت وتكلحت وأورى برقها وقرقع رعدها ، وانصبت ميازيبها بمـــاء منهمر ، وانطلقا الى القرية !

ووقفا عند منزل فخم ضخم ذى شرفات ، فقال الشيخ :

ـ « تشبث يابني بأحياد الحائط حتى تكون عنـــد النافذة ، فانظر ماذا ترى »

وفعل الفتى ، ونزل ، وقال للشيخ :

ـ « أبتاه ! نسوة عاريات يرقصن ، وندامى وخمر ، و .. وموسيقى وفتيات .. و .. »

ـ « وماذا يا صغيرى العزيز ؟ »

ـ « ودعارة وعهر يا أبتاه ··· لماذا جئنا هنا ؟ لمــاذا جئنا هنا ؟ ··· »

ـ « قلت لك جئنا لاريك عجبا هذه الليلة من طبــائع الناس هلم الى باب هذا المنزل »

وطرقا الباب ، فبرز لهما فتى غرانق وقال : « ماذا ؟ شحاذان قذران ! » فقال الشيخ :

ـ « على رسلك يا بنى · أنا رجل شيخ غريب ، وهذا ابنى ، وقد فجأتنا العاصفة فلجأنا اليكم نرجو أن تضمنا غرفة صغيرة الى الصـــباح ، ونطمع أن نتبـــلغ لديكم بلقمات ··· »

ـ « غرفة ولقمــــات ؟ ها ها ··· اذهبا اذهبا ··· لصوص ! هذه حيل قطاع الطرق والسفاحين بلوناها من قبل »

ثم قذف بمصراع البــاب فى وجهيهما · فنظر الشيخ الى ولده وقال : « أرأيت ؟ سر الى هذا البيت القريب »

وقال لابنه : « هلم الى النافذة فانظر ·· »

وتسلق الفتى وحملق قليلا ، ثم قفز وقال : « أبتاه ! أناس يخزنون الذهب فى خواب عظيمة ، ويختمون عليها بالرصاص المذاب ، من أين لهم بهذا الذهب كله يا أبى ؟ ·· »
فقال الشيخ : « هم لصوص يا بنى ، وان كانوا لا يقطمون طريقا ، ولا يسطون على دار ، ولكنهم يمتصون دم الفقير والمعوز ، ويصهرونه ذهبا ويكنزونه هـــكذا ؟ ! انهم أصحاب هذه الضياع والبساتين ! هلم الى بابهم ··· »

وطرقا الباب ، وسألا طعاما ، ومبيت ليلة ، فقالت لهم العجوز صاحبة الدار :

ـ « ان هذا العام عام شدة ، ولم تبق لنا المجـاعة على زرع ولا ضرع ، ماذا عندنا لنعطيكم ؟ هيكل زيوس قريب

من هنا فناما فيه ، وكهنته أسخياء كرماء ، وعندهم في كل آونة خمر ... سيطعمونكما ويسقونكما ! وربما قدموا لكل منكما غادة ! فهم فساق عرابيد ... انطلقا اليهم ... اذهبا ... »

وقذفت بالباب في وجهيهما ...

قال الشيخ : « أرأيت يا بني ؟ » فقال الفتى مداعبا : « نحن نستحق أضعاف هذا الهوان ! ما لنا وللناس ؟ !» ، فقطب الرجل جبينه وقال : « مالنا وللناس ؟ اذن ما نحن في هذه الدنيا يا بني ؟ ولكن ليس الآن ما أعددت لك من عبرة هذه الليلة ، سر بنا الى ذلك القصر العتيق »

فلما كانا عنده ، تطلع الفتى فرأى صحبا كثيرا لا يزال يتعشى ، والموائد حافلة بالاشربات والاشواب ، وبكل ما لذ وطاب . والندامى البيض كالنجوم رافلات ، ورافلون ، في وشي وأفواف . وكأن الفتى استطير من العجب ، فقال للشيخ : « كل الناس هانئون هذه الليلة المقرورة الا نحن!! الجميع يأخذ في نشوة ولذة ونحن نضرب في وحل وننشمق من غيظ ؟ ! »

قال أبوه : « ألم أقل لك ألا تبدأ حديثا حتى ابدأك ؟ هلم الى الباب »وقرعا الباب فبرز لهما شاب مفتول العضل كأنه هرقل . فلما سألاه حاجتهما ، قادهما الى البهو الواسع حيث القوم فيما هم فيه من متاع

قال الشاب المفتول : « اليكم أيها الاخوان لصين من لصوص الدجاج عاثا كثيرا في قريتنا هذه ، ولولا طول الحذر ما ذقتم الليلة رجل دجاجة ... ... انهما يطلبان مبيتا وعشاء ، ولا أدرى لم لم يقصدا الى هيكل الاب زيوس حيث المبيت الوثير والعشاء الكثير ؟ ! وحيث أشياء أخرى ... ... »

وقهقه السمار وتكبكبوا حول الغريبين ، ثم اخذوا معهما فى ألوانغير محتشمة من المزاحالثقيل ٠هذا ينتف شعرات من ذقن الشيخ ، وذلك يرفع ذيل الفتى مما وراء ، وهذه تعانق الشيخ وتقبله وتقدم له كأسا من الخمـــر ، وتلك تركب الفتى « زقفونه ! » (١) ٠٠٠ ٠٠

ولما فاضت الكأس بالشيخ والفتى ، نظر أحـدهما الى الاخر نظرات ، ثم غابا عن أنظار الجماعة ، كأنما تحولا الى هواء ٠٠٠ ؟ ! فشده القوم وأوجسوا خيفة

***

لم يبرح الرجل وابنه يتنقلان فى شوارع القريةالموحلة من بيت الى بيت ، وكلما طلبا المبيت والعشاء استهزىء بهما وطردا شر طردة وأخسها ، حتى ضـجر الفتى وبرم بحكمة والده فى هذه الرحلة المضنية فى ذلك البـــلد البخيل ٠٠٠ فقال له : « اذهب أنت فسأنتظرك على هذه الصخرة الناتئة فى حيد الجبل ، وسأتسلى بموســيقاى حتى تعود » فقال الشيخ : « وحـــكمتى التى أردتك أن تراها بعينيك ؟ هلم ، هلم ٠٠٠ أترى الى ذلك الكوخ ، لندلج نحوه وليكن آخر مطافنا »

وكانت فى الكوخ كوة صغيرة ينبثق منها نور خافت ٠ فلما نظر الفتى تمتم يقول : « أبتاه ! امرأة مهدمة وشيخ محطم أيا لبؤس الحياة ، ويا لطف العيش ! لماذا أثرت العاصفة يا أبى ؟ ان الماء ينزعليهما ويبلل فراشهما ٠٠٠» ٠

ـ « سترى أن هذا الكوخ هو وحده الذى يبقى »

ـ « ماذا تعنى يا أبى ؟ هل تهدم القرية ؟ »

ـ « صه ! هلم فاطرق باب الكوخ »

---

(١) لم نعرف غير هذه اللفظة النابية للتعبير عن الركوب على ظهر الانسان مع لف الساقين والذراعين حول الوســط والعنق وابتكرها ابو العلاء فى رسالة الغفران فنقلناها عنه

ـ « قم يا فيلمون ٠٠ ان بالباب طارقا » ٠٠

ـ « نامى يا بوسيز ! انه البرد ترجم به العاصفة »

ـ « لا ٠ ليس بردا ٠ اسمع ! أناس ينادون ٠ قدتكون بهم حاجة »

ونهض فيلمون متهالكا على نفسه ففتح الباب ٠ وما كاد الشيخ يذكر حاجته حتى هش صـــاحب الكوخ وبش ، وتلقى الرجل وابنه أحسن لقاء

ـ « مرحبا مرحبا ٠٠٠ أنتما فى حاجـــة الى دفء ٠ بوسيز ٠ انهضى يا امرأة فأوقدى نارا ٠ أنا أعـــرف أن الحطب مبلل ، ولكن حاولى ٠٠٠ مرحبا يا كرام ومعذرة ، فنحن نستعين على الحياة هنا بالصبر ٠ بوسيز ، هــاتى قربة النبيذ أولا ٠٠ ليس فيها الا صـــــبابة ! لا بأس ، فسيبارك زيوس للضيفين فيها ٠٠ هاتى شيئا من المشمش الجاف يا امرأة ! ٠٠ »

وتأتى بوسيز بقربة النبيذ ، وما يكون فيها الا ثمالة ، فيتناولها الشيخ ذو اللحية البيضاء ، فيتمتم فيها بكلمات فتمتلىء نبيذا من خير ما عصر باخوس ، وبعد أن يروى منها هو وابنه ، يدفع بها الى صاحب الكوخ ممتلئة كــأن لم يمتد اليها فم ! فيتولى الرجل دهش عظيم ويقـــول : « بحق زيوس الا ما أخبرتنى أيها الصفى الصـــالح من أنت ؟ » فيقول الشيخ : « أنا أيها العزيز رجل نقلـــة وأسفار ، وهذا ابنى الموسيقى البارع٠ أتطرب للموسيقى؟»

ويهتز الرجل ، ويوقع الفتى على قيثارته لحنـــا كأنه لسان العاصفة ، فما فيها من سنا برق ، وهزيم رعـــد ، ومكاء ريح ، وتنقير مطر ، ثم هو مع ذاك لحن مشرق متألق يأسر اللب ولا يستأذن على القلب ٠٠٠ وطرب فيلمون ، ورقصت جوانح بوسيز ، وأحضرت طبقا به قليـــل من

المشمش الجاف فقدمته للفتى ، ناسية أن تقدمه الى الشيخ ، وهذا من أثر الموسيقى فى أعصابها ، ثم قدمته الى أبيه فى أدب واحترام ٠٠ وما كادت اليد البيضاء الناصعة تمس الفاكهة حتى عادت اليها النضارة ، وتأرجت عنها أنفاس الحديقة ، وتضاعفت فى الطبق حتى ملأته ٠ فأكل الشيخ ، وأكل ابنه ، وأكل فيلمون وزوجته ، وهما لا يصدقان ما يريان !

وظلا يقدمان للضيفين كل ما استطاعاه من خبز وأدم ، فكان القليل يزداد والمشفوف يتضاعف ٠ وكانت لديهما اوزة عجفاء حاولا أن يجريا عليها التجربة فهما بذبحها ليصنعا منها شواء يقدمانه للضيفين ، ليريا ماذا يكون من أمرها ٠ ولكن الاوزة فزعت فزعا شديدا ، وانطلقت فى ناحية الشيخ تستجير به كأنها تكلمه ٠ فابتسم ، وربت على ريشها الناعم النظيف ، وأجارها من سكين فيلمون

وكان نسيم السحر قد أخذ يهب فى الافق الشرقى ، فقال الشيخ :

ـ « أيها العزيز فيلمون ٠ أيتها التقية الكريمة بوسيز، من الهكما ! »

ـ « الهنا زيوس تبارك فى علياء الاولمب ٠٠ »

ـ « أو يسركما أن يكون معكما الآن ؟ »

ـ « معنا ؟ هو دائما معنا ! »

ـ « أجل هو دائما مع عباده المخلصين ٠ ولكن ، أيسركما أن تكونا فى حضرته يحدثكما وتحدثانه ؟ »

فيصيح فيلمون :

ـ « أنت هو زيوس ٠ تقدست ٠ تقدست »

ويسجد الرجل وزوجته ، وما تفتأ تأخذهما رعـــدة شديدة

ـ « أجل · أنا زيوس · أتيت أبتلى هذه القرية · وهذا ولدى هرمز · انهضا · والآن ستزلزل الارض زلزالهـــا فلا تنزعجا ·· »

ووقف زيوس ، وأشار بيده اشارة خفيفة الى الشرق ، ثم الى الغرب ، ثم الى الجنوب ، ثم الى الشمال ، ثم نظـر الى فوق وتمتم بكلمات وجلس

وما كاد يفعل حتى رقصت الارض ، وسمع كأن الجبل القريب يندك ، وكأن الصواعق تنقض على المنازل فتقوضها، وتنقلب القرية الى جحيم ملتهب ، وكلما أطل فيلمون أو أطلت امرأته من الكوة سرت فيهما رجفة أروع من رجفـة الزلزال ، فيطمئنهما زيوس

ـ « الكوخ يا الهى ! أنا رجل فقير ! »

ـ « مال كوخك يا فيلمون ! »

ـ « اذا انهدم عشت فى العراء ! »

ـ « لا عليك ! فلن تقوض الزلازل الا قصور العتاة ؟ »

وأشرقت الشمس ، فنهض الاله الاكبر ، ونهض الجميع معه · وما كاد فيلمون يفتح باب كوخه الحقير حتى أخذه العجب ، وارتد على عقبه مذعورا :

ـ « مولاى ! لمن هذا القصر المشيد ؟ »

ـ هو لك يا فيلمون ، أمرت الآلهة فبنى لك فى ساعة السحر جزاء كرمكما · هلما نشهد غرفاته »

وانطلق الجميع يتنقلون فى غرفات القصر وردهاته ، وكلما مر فيلمون وزوجته بتمثال اله سجدا له وأخبتا ، حتى اذا كانوا فى أكبر ردهات القصر، وقف زيوس وقال:

« فيلمون ، هذا هيكلي ! وقد جعلتك كاهني الاكبر ، فتمن الآن على ، فسأجيبك الى كل ما تطلب »

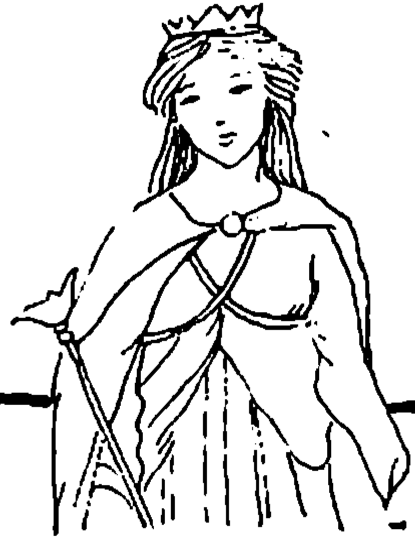
فتبسم فيلمون وقال : « مولاى ! الشباب يا مولاى ! ليعد الشباب الى والى زوجتي بوسيز ، ولنعش طويلا ، فاذا جاء وعدك فلنمت في يوم واحد وفي ساعة واحدة !» وسجد يقبل الارض بين قدمي الاله الاكبر !

فقال زيوس : « انهض يا فيلمون فطلبك مجـاب ، وستعيشان راغدين ! »



وسلم الالهان ، ثم غابا عن الانظار ، وخـرج فيلمون وزوجته ليريا الى القرية ، فلم يشهدا شيئا غير بحيرة تعج أمواجها ، وجزيرة كبيرة خضراء في وسـطها قصرهما المنيف ! فآمنا بزيوس وسبحا له !

وعاشا طويلا واستمتعا بشباب دائم ، وماتا في يوم واحد وساعة واحدة ، ونبتت دوحتان عظيمتان من أشجار السرو أمام باب القصر تخلدان ذكراهما في العصور



غرام أورورا

رأته على رمال الهلسبنت (١) يرتع ويلعب ، فوقفت تملأ عينيها وقلبها بجماله ، ثم نظرت اليه وهو يداعب البحر المضطرب ، ويتواثب فوق عبابه الزاخر ، فسحرها قوامه ، وفتنتها قسماته ، ونسيت أنها ربة الفجر الوردية الهيفاء ، وأن من ذكران الآلهة من هو أكثر من هذا الشاب - تيتون بن بريام ملك طروادة - جمالا وأشد فتنة ، وأخلق بحب ربة جميلة لعوب مفتان مثل أورورا ... ولكن ماذا يصنع أهل هذا العالم فى قلوبهم ، ولا سلطان لاحدهم على فؤاده ؟ يستوى فى ذلك الارباب وغير الارباب

لقد كان تيتون يتقلب بين الموج ، فتتقلب نفس أورورا فى جحيم من الهوى ، وتتلظى فى سعير من الحب ، وتنجذب نحو الفتى الجميل المفتول بكل ما فيها من نورانية وقداسة .. وكان يبرز من الماء ليستجم على الشاطىء الناعم الوادع ، فتكاد تجن به ، وتود لو ترشف قطرات الماء التى تنحدر على جسمانه ذى العضل ، وتتلألأ فى ثنايا شعره الاسود الفاحم

وطفقت توسوس لها نفسها بالامانى ! وتزخرف لها

(١) مياه الدردنيل

الاحلام ، فصممت أن تتكشف له ، وتتبرج على مقربة منه ، وتدل وتميس ، عسى أن تاسر لبه ، وتسبى قلبه ، فيسلس قياده ، وينخذل فؤاده ، دون مشقة أو عناء ...
ولكن تيتون أبى ، واستكبر قلبه أن يلين ، ولم يستطع ذلك المرمر الناصع الذائب فى ساقيها ، ولا هذا الورد المتفتح فى خديها ، ولا الابالسة الراقصة فى عينيهاوفوق ثدييها ، أن ترقق من عناده ، أو تنتصر على فؤاده ، أو تسكب فى نفسه صبابة أو هوى

ـ اذن أنت ماذا تشتهى !

ـ أشتهى ماذا أيتها الغادة ؟ اذهبى فاعرضى مفاتنك الرخيصة على غيرى !

ـ ومن أنت حتى تكلم أورورا ربة الفجر هكذا ؟

ـ أورورا ؟ كيف ؟ ما يدرينى ؟

ـ أجل أنا أورورا ... أنظر

وأخذت ترف فى الهواء ، وتسبح فى السماء ،وتغوص فى الماء ، وتأتى من آيات الاعجاز ما بهر تيتون

ـ الصفح اذن يا ربة ؟ !

ـ لا صفح الا أن تهب لى حبك ، وتلقى بين يدى قلبك !

ـ وكيف وأنا بشرى عاجز ، ولا ألبث أن أفنى فى بضع سنين ، وهذا أبى الضعيف الشيخ قد خطب لى حسناءمن بنات الملوك ؟

ـ « أما أنك عاجز فلا ، وأما أنك لا تلبث أن تفنى فى بضع سنين فسأهبك الخلود ، وسيخلعه عليك زيوس سيد الاولمب فلا تموت أبدا ، بل تحيا كالآلهة الى لا نهاية الازل ، وأما أبوك الضعيف الشيخ ، فلا أحب اليه من أن يراك فى كل ما ذكرت ، ولا سيما اذا علم أننى سأكون

لك من دون هذه الفتاة التي خطبها لك ، والتي لا تلبث أن يخط الشيب رأسها ،ويعصرالزمان عودها فتجف وتذوي، وتحملهـــا أنت كأثقل الاعبـــاء الى القبر حيث الدود والذباب ... »

ـ ولكن ... ألا تأذنين لي في لقاء أبي ؟

ـ لن يكون هذا أبدا ...

ـ هذه قسوة ياربة !

ـ ستفتنك هذه القسوة بعد قليل

وانطلقت تداعبه وتلاعبه ، وتضاربه وتغالبه، حتىزالت عنه وحشته ، فأنس لها ، وأقبل بكل مشاعره عليهـا ، واتفقا على الرحيل من فورهما الى أولمب ، فانطلقا يطويان الرحب

ـ من هذا يا بنية ؟

ـ ... ؟ ...

ـ صيد جميل ، ومجازفة جديدة ، أليس كذلك ؟

ـ أجل يا أبي .. وليست مجازفات ابنائك أروع من مجازفاتك ..

ـ مجازفاتي أنا ؟ أية مجازفات يا أورورا ؟ ..

ـ مجازفاتك الغرامية التي لا تحصى مع الغيد الرعابيب من عبادك

ـ أي غيد رعابيب يا أورورا ؟ تلك جراءة بالغة !

ـ لعل الاله الاكبر ، سيد الاولمب ، قد نسي ! وعلى كل حال فسيدة الاولمب ، حيرا العظيمة ، لا تنسى .... لقد شهدتك تلهو مع يو ، وتعبث مع لاتونا ، وتتساقى كؤوس الغرام مع يوروبا .. و .. و ..

ـ اسكتي ... انك ابنة لا خير فيك ... وماذا تبتغين

لهذا الشاب الغرانق الجميل يا اورورا ؟

ـ الخلود ... الخلود يا ابى ... ينبغى ان يعيش ابدا .. لن يموت .. الا تراه جميلا يا أبتاه ؟ الا تبهرك منه وسامته وقسامته ؟ الا تنظر اليه كيف هو عبل قوى ، عبقرى سمهرى ؟ لقد لقيته عند شاطىء الهلسبنت ، ورأيته يشق اليم فعلقه قلبى وهويته نفسى .. وكان الموج يلفه فى أعرافه ، ثم يسجد تحت قدميه كأنه يقبلهما، فلما خرج من الماء رأيت الدنيا كلها تحف به ، وتغازله وتناغيه ، فلم ار أن يفوز به غيرى ، ولا ان يستأثر بجماله سواى ، وقد رضى أن يتبعنى الى أولمب ، فتفضل ايا أبتاه وامنحه الخلود ، فالموت لمثل هذا الجمال قسوة هائلة . وذبول هذا الحسن شىء مخيف جدا ... ينبغى أن يعيش الى الأبد حبيبى تيتون ... اليس كذلك يا ابى ؟ اليس خليقا بالخلود كالآلهة ؟

وتقدم تيتون فسجد بين يدى الأولمب ، وتفضل رب الارباب فمنحه الخلود .. وا أسفاه ! ألاليته ما فعل .. الاليته ما فعل ؟ !

قال زيوس وهو يحدث نفسه :

« اذهبى يا أورورا ، سأعذبك بهذا الحبيب ، وسأنتقم لكبريائى منك ، وسيكون تيتون عبئا ثقيلا على قلبك وسيعيش الى الأبد بجانبك كما اشتهيت ، وسأعلمك كيف تستبيحين ان تكلمى أباك كما فعلت .. فوعزتى وجلالى لأعذبنك بالف حبيب وحبيب ! »

***

وعاشت أورورا مع حبيبها تيتون احسن عيش واجمله، واستمتعا بسنين كانت اشهى من الأحلام ، وانجبا طفلهما

اليافع الجميل ممنون (١) فكان لهما كالقبلة الحلوة فوق ثغر الحياة الباسم

ومرت الأيام واورورا جميلة وردية كما هي ، لانها ربة، ولأن قوانين الزمان من قدم وحداثة لا تنطبق على الالهة ، لأنه لا أول لهم ولا انتهاء ، فأورورا جميلة دائما ، وردية ابدا ، لاينى قلبها يخفق بالحب وينشده ، ويهيم بالجمال ويفتقده ، ونفسها عاشقة وامقة كذلك ، وان أمانى الغرام تجيش فى صدرها دواما ، فهى ان خلت الى حبيبها تيتون الزمته فنونا من الغزل ، وضروبا من النجوى ، اذا صبر لها الشباب ، واحتملها الصبا ، فليس المشيب بصابر لشىء منها ، ولا محتمل القليل الاقل من تكاليفها ، ولاله جلد على أفانينها

ـ ما هذه الشعرة البيضاء التى بزغت فى سواد شعرك كما تبزغ نجمة الفجر فى اخريات الليل يا حبيبى ؟

ـ « اية شعرة بيضاء يا أورورا ؟ ربما كانت نذير المشيب يا حبيبتى !

ـ « المشيب ؟! كلمة غريبة لم اسمعها الا منك ! ماذا تعنى ؟

ـ آه ! انتم معشر الآلهة لا تعرفون المشيب ، أما نحن ، معشر البشر ، فسرعان ما يذهب صبانا ، ويولى شبابنا ، فنشيخ ونهرم ، وتصبح لنا رؤوس مجللة بشعر أبيض يشبه ابر الشوك ، يقول الشعراء انه نور قبيح يسعى بين ايدى الكهول ليشق لهم ظلام القبور !!

ـ يا للهول ؟ ان هذا الضرب من خيال الشعراء يخيفنى !

ـ اطمئنى ! انا باق الى جانبك آخر الدهر . اليس قد وهبنى الخلود سيد الأولمب ؟

---

(١) قتله أخيل فى حروب طروادة

ـ بلى ! ولكن ...

ـ ولكن ماذا ؟

ـ هذه الشعرة البيضاء التي قال فيها شـــعراؤكم ما قالوا ؟

ـ الشعرة البيضاء ؟ مالها هذه الشعرة البيضـــــاء ؟ ليست شيئا مادام سيد الأولمب قد وهبني الخلود ، ان الذي أفزع الشعراء من الشيب هو ما ينذر به من غروب شمس الحياة !

ـ ولكن الشعرة البيضاء تنذر بأكثر من هذا ؟

ـ آه ! قد فهمت مايوسوس في صـــدرك ؟ الم أعد جميلا يا أورورا ؟

ـ بل انت لا تزال جميلا يا حبيبي

ـ اذن لا عليك من هذه الشعرة البيضاء

***

وتمتعاسنوات أخريات ، ولكن الشعرة البيضـــــاء اصبحت شعرات وشعرات ، حتى غلب نور المشيب حلك الشباب ؛ ولم تعد لطرة تيتون المصفوفة تلك النضارة وهذه اللمعة ، وذلك السحر الذي كان يرف مع النسيم على جبينه المشرق الناصع فيثير الغرام في قلوب العذارى ... بل حال (١) لونها الأسود الفاحم ، ونبت فيها قتاد شائك تنفشه الرياح على جبين متغضن باسر (٢) ذي اسارير ، يبعث الرهبة في أفئدة الشياطين !

ـ تيتون !

ـ نعم يا حبيبتي !

ـ لا ! لا ! لاتنادني بهذا النداء

---

(١) تغير (٢) مقطب

ـ ولمه ؟

ـ لم يعد يصلح ... لقد اشتعل راسك شـــيبا ، وتغضن جبينك ، وترهل خداك ، وبرزت عظامهما ، وغارت عيناك جدا ، وانطفأ فيهما بريق الشباب الغض ، والصبى الغريض (١) . وعضلاتك لقد عصرتها السنون يا تيتون ! وى ! مالك تنحنى هكذا ؟ هل ضاعت منك درة ثمينة ، فأنت تبحث عنها فى أديم الأرض بعكازك هذا الغليظ ؟ آه ! بل ضاع منك شبابك أيها الشيخ الهرم فأنت تبحث عنه فى هذا الثرى !

ـ حسبك يا أورورا ... حسبك يا ربة !

ـ « لا ، ابدا ، ليس حسبى ، اغرب عنى أيها المسـخ الشائه ! ظل فى عقر الدار حتى أرتد أليك !!

وانطلقت ربة الفجر الوردية غضبى صاخبة ، وذهبت تطوى الفيافى وتهيم فى الرحب حتى كانت من غير قصـد عند شاطىء الهلسبنت ، حيث لقيت لاول مرة حبيبهـا الجميل الشاب تيتون بن بريام ملك طروادة ، منذ نصف قرن من الزمان !! أواه تيتون !! يا للذكريات الحلوة التى تطيف بالقلب كما تطيف أطيب الأحلام بعينى نائم !! هنا ، على رمال ذلك الشاطىء الهادىء ، وبين طيات ذلك الموج الذى يبدو كأنه لم يتغير ، رأت أورورا الوردية تيتون البارع ، وشعره الاسود الفاحم يتهدل على جبينه الوضاح ، ثم لا يلبث أن يستوى حين تمر عليه أمشاط الامواج . وهنا .. ثارت عاصفة الغرام القديم فى قلب ربه الفجـر الوردية لأول مرة ، وشب لظى الحب ملء جوانحها ... وفوق هذه الرمال السافيات تكشفت أورورا لتيتون الفتى لتخلب لبه وتملك عليه قلبه ، ولكنها ما استطاعت الى ذلك

(١) الغض الطرى.

من سبيل ، حتى تقلبت تحت قدميه ، وتبرجت بين يديه ، فرضى ما عرضت عليه ، وانطلق معها الى اولمب ! فمالها اليوم غضبى على تيتون ؟

مشت على شاطىء غرامها الأول ، فثارت فى فؤادها الذكريات ، وارسلت عينيها تفتش بين طيات الموج الجياش عن تلك الصورة الحبيبة الرائعة ، التى تطفو هناك .. هناك فوق ذاك الشبح كحلم جميل ... صورة تيتون وهو يصطرع مع اليم فيصرعه ، ويغالب اللجة فينتصر عليها ... ثم جلست على صخرة مشرفة على البحر الممتلىء بالذكريات ... وطفقت تبكى !

لاريب انها عنفت نفسها على ما صنعت أمس مع تيتون! ما ذنبه ؟ ماجريرته ؟ بأى حق تنعى عليه شيبته ولا يد له فيها ؟ ولماذا تخزه بقوارص الكلم لان جبينه تغضن وامتلأ بأسارير الكبر ؟ ولماذا تعيب عليه عينيه الغائرتين المنطفئتين ! ولم تذكره بشبابه وتتهكم عليه ، فتقول له انه يبحث عنه بعكازه فى التراب ؟

لاريب انها كانت قاسية ، ولا ريب انها لامت نفسها ، لان كل تلك الافكار ترددت فى أعماقها ، وقد سألت روحها المتألمة ألف سؤال فلم تستطع أن تراها محقة فيما صنعت ...

***

وعادت أورورا ادراجها الى تيتون البائس الهرم ، فهشت له وبشت وراحت تملق له ، وتتحايل على قلبها ترجو لو تستطيع أن تخدعه فيسيغ هذه الكومة المتراكمة من القبح والشوه والدمامة ، قبعت فى ركن سحيق تحمل أوضار السنين وتنوء بكارثات الليالى

ولبثت تتغفل نفسها بضع سنين ، ولكن للآلهة (١)

(١) ليذكر القارىء أن القصة من اساطير اليونان

كما البشر قوة محدودة من الاحتمال ، ومدى غير واسع من الصبر ، وقد جاهدت اورورا نفسها مجاهدة طويلة شـــاقة ، عادت بعـدها الى التبرم بتيتون ، والضيق بشيخوخته الثقيلة ، والنقمة على تلك اللحظة الاسيفة التي لقيته فيها ، ونوبة الجنون التى جعلتها تتورط لدى سيد الاولمب فتساله ان يهب حبيبها نعمة الخـلود

ـ وفيم كل هذا الحزن يا اختاه ؟

ـ وما العمل للخلاص منه ؟

ـ انت المخطئة ، ذلك لا ريب فيه

ـ مخطئـة ! وكيف ؟ هل كنت عامدة أن اقصـد الى الهلسبنت لاراه ثمة ؟

ـ ليس هذا ما عنيت

ـ اذن كيف كنت مخطئة ؟

ـ لانك سألت سيد الاولمب أن يهب حبيبك الخلود ، ونسـيت ان تسأليه ان يديم له شـبابه ، ويحفظ عليه صباه . اذن كنت تمتعت بجماله الفينان ابد الحياة !! اليس كذلك يا اورورا ؟

ـ بلى ، هو ذاك ولكن ... لقد سبق السيف العذل!

ـ على كل حال هناك من هو اجمـل من تيتون فـلا تبتئسى ..

ـ أجمل من تيتون ؟ وكيف الخلاص من تيتون قبل كل شيء ؟

ـ لا ايسر من ذلك : اسحريه !

ـ اسحره ؟ ! آه ؟ فكرة يا اختاه ! ولكن من هو هذا الشاب الوسيم الذى عنيت أنه أجمل من تيتون ؟

ـ وى !

ـ لابد من صيد آخر قبل أن يطلق سراح الصـــيد القديم ؟!

ـ اذن فاذهبى الى جبـــل هيماتوس حيث يــرعى سيفالوس الجميل قطعانه !

ـ ثم ... ؟

ـ ثم عودي فاسحرى تيتون واخلصى منه !

ـ وماذا ترين ان أسحره اليه ؟

ـ انه عجوز هرم يدب على عكاز ... الا تسحريــه جندبا (١) ؟

ـ بلى ! فكرة نابغة يا أختاه !

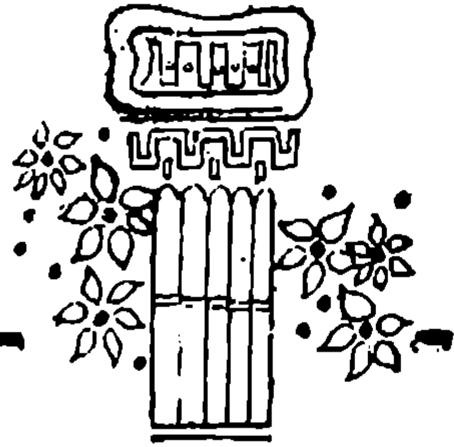
***

ولقيت اورورا حبيبها الجـديد ســيفالوس الــراعى فهويته وشغفته حبا ، أما تيتون فيا ويحـــه ، ويا ويح للعشاق من قلوب العذارى ! انه لا يزال الى اليوم يثب مع آلاف الجنادب في الحقــول والغيطان (٢) بعد اذ سحرته اورورا

(١) نطاط (٢) السهل المطمئن الواسع من الارض

بجماليون المثال

أسطورة الفنان الذى عشق تماثيله



فى مدينة أماذيس ، الراقدة كالحمل بين مهاوى الجبال على شاطىء قبرص الجنوبى ، كان يعيش المثال بجماليون عيشة كلها عزوف عن العالم ، وانزواء عن مشـــــاغل الحياة ، وهرب من الناس . كان يأوى الى ممثله اذا تنفس الصبح ؛ ويكب على عمله حتى توارى الشمس بالحجاب ، فياوى الى فراشنه ، سادر النفس ، مممود القلب ، مكتئبا حزينا

ولم يكن حزنه من نوع هذه الاحزان التى تتعارفهـا قلوب ابناء آدم ، بل كان حزنا فريدا فى نوعه ، غريبا فى اسبابه ، شاذا فى دواعيه ، حتى لنحسب ان احدا من الناس لم يشق بمثله من قبل .. ولا من بعد

كان فى بجماليون صدود عن الناس شديد ؛ لايراهم جديرين بتودد ؛ ولا خليقين بمؤاخـاة . ومع انه كان يضفى من عبقريته على تماثيل الالهة التى طالما تفننت فيها يده الصناع ، فكان يخرجهـا على نسق الفاتنـــات الحسان ، وفى سمات الغيد القيان ؛ فانه لم يصب مرة الى امرأة ، ولم ترتبط أسبابه بفتاة . فكأنه كان يسمو بحبه على النساء ، وان كن فى الحقيقة صاحبات وحيه ،

وفيض نبوغه ؛ واللمع الخاطفة التى يتجه شطرها مثله الاعلى ..

ولم تكن هذه الحيـــاة الصـــحراوية التى يحياها لترضيه ، ولا تلك المعيشـــة الالية التى اغطشت أيامه لتقنع خياله الخصب ، وقلبه الرحب . لقد كان يقف منقبض الصـــدر ، مغلول الروح ، أمام هـــذه الدمى الصـــامتة ، والتماثيل الخرساء ، التى صنعها لابولاو ، ومينيرفا ، وديانا ، وكيوبيد ، وفلكان !

ولقد كانت المناحت والازاميل ، والمثاقب والمناشير ، والمبارد والمناعم ، وكل عدده تثير فى نفسه السخط على الحياة ، والبرم بالايام ، كلما فكر فى حاله فعلم أنه يحيا بلا حب ، ويعيش بلا امل ، ويعمل بلا غرض ، ويسعى الى غير مطمح !

وبينما هو فى يقظته النائمة هذه، اذا بحجارين يحملون رخامة كبيرة ، على جرارة ضخمة من هـــذه الجرارات الثقال ، التى ترى كثيرا فى محاجر اليونان ، ثم يقفـــون أمام المثل ، ويطرقون باب بجماليون ، فينقـــدهم ثمن الرخامة ، وينصرفون كل الى طيته ، وكانما كانت هـــذه الرخامة ، على ثقلها الهائل ، وحيا خصيصا من السماء ، أو آية من آيات الاولمب ؛ هبطت على هذا المثال المهمـــوم ، فبدلت يأسه املا ، وقنوطه المظلم رجاء نير الآفاق ! فانه لينظر اليها نظرات تشف عن التمثال الرائع الذى سيولده منها ، وانه لينزع ملابسه ، ويضفى عليه ملابس العمل ، ثم يتناول ازميله ومنحته ، ويهوى على الرخامة مستلهما الحول والقوة من « فينوس !! »

« يا فينوس الجميلة ، يا ربة الحسن والحب ، يا من تسبح لك القلوب العاشقة ، وتلهج باسمك النفوس الوامقة

ياسر الورد الجميل ؛ ونسمة الفن اتضاحك ! يا أم كيوبيد الحالم ، وبنت ديون (١) الباسمة ، يا فينوس الجميلة ، العون ، العون يا فينوس ! »

***

وهكذا لبث هنيهة يصلى ، ثم اخذ في عمله ، وكأن فكرة تنزلت على فؤاده ، وامتزجت بشغاف قلبه ، فراح يصورها ويمثلها ، فى هذه الرخامة النقية كالندف ، البيضـاء كالثلج . بل كأنما استجابت فينوس ربة الحب لصلاته ، فأودعت فى يده نفحاتها المباركة . فما دق دقة ، أو نقر نقرة ، الا وتمثل فينوس الجميلة امامه ، نآذرا لها هـذا التمثال ، برغم التماثيل البارعة التى نحتها لهـا ، والتى تملأ معابد اليونان واقداسهم

وأقبل على عمله بروح جديدة ، ويد لا تكل ، فلم يكن يحول بينه وبينه الا الليل يرخى سدوله ، والا سنة من النوم ترقص فى جفنيه ، فاذا نام تتابعت الرؤى ، وتلاحقت الاحلام ، كل منها يبدى له ناحية كان يجهلها من جمـال فينوس !

ولقد بدا له كفنان ، ان يروح عن نفسه بيوم يقضيـه فى الادغال ، وبين مسارب المياه ، لكى يجدد نشاطه ، وينعش ما خمد من ذهنه ، وخبا من خياله ، لطول ما اكب على العمل ، فانطلق ذات صباح الى سيف البحر يناجى ابوللو ، وهو يوقظ الشمس من خدرها فتعاونه فى مركبتها الذهبية الاثباج ، وظل يعلو ويهبط ، ويروح غاديا الى هنـاك ، حتى شارف ان ينتهى ، وعاوده هواه الملح ، فندم عـلى ما قتل من ساعات فى هذه الراحة الخاملة ، والفسحـة الباطلة ، فعاد أدراجه الى المثل مستغفرا فى طريقـه

(١) فى الميثولوجية اليونانية أن زيوس كبير الآلهة كان مزواجا ، وزير .. ربات • فمن زوجاته ديون التى اولدها فينوس

الطويل فينوس !

ووصل ما انقطع من عمله ، فكان يستذكر أحــلامه ليضفيها على التمثال ، ويستوحى السماء فتلهمه من آديمها الصافى ، وتشيع فى يديه وقلبه بطهرها ونقائها ؛ تنتقــل من ثمة سحرا وفتنة فوق تلك العضلة ، وتحت ذياك الابط ، وبين انفراج هذين الثديين ، وبالقرب من العكن ، وحــول الفخذين ، وعند هذا الانف الاغريقى الاشم ، وملء ذاك الذقن الدقيق ، والعنــق الرقيــق ، ولفتة الحدقتين ، وانفراجة الشفتين ، وتبسيم الثغر ، وتكوين الشــعر ، وتمليس الردف ، وتدوير الكعبين ، وتنعيم العقبين .. وتباركت يافينوس !

لكأن بجماليون يحس الحياة تسيل من ازميله الحنون ، فوق هذا الجوهر المكنون ! وكان يتقدم فينظر ، ويتــأخر فيرى ، ويميل من هنا وينثنى هناك ؛ ثم يهطع الى عل ، وينحنى الى اسفل ؛ ليتفقد التمثال من جميع نواحيه ، فماذا رأى ؟ لقد استطير من الفرح ، ومادت اعطــافه من الخيلاء ! ولكنه سكن قليلا ، وانطلق يتحدث الى نفســـه « ويحى !! لم صنعتك أيها التمثال ، مادمت قد بلغت هذا الجمال ولا تتكلم ؟ انا بجماليون التعس ، الذى يعيش فى هذا العالم القفر ، وعلى هامش تلك الدنيا المجدبة ، لا انيس لى ، ولا قلب ينبض بحبى ، فينبض قلبى بحبه ، ولانفس تصلى لى ، فأصلى من اجلها ! تكلم أيها الرخام الصامت ، وانفرجا بكلمة واحدة أيتها الشفتان الساحرتان ! انا بجماليون ! أنا صانعك أيتها الانثى المتحجرة .. تكلمى ، ردى على ، فوحق فينوس المعبودة لقد اودعتك سر روحى ؛ ولغــز حياتى ! أوه ، ألا تردين على بجماليون المسكين ؟ آه فينوس! النجدة يا فينوس ! انا لا اصـــلى الا لك يافينوس ... الغوث الغوث !.. »

وظل المسكين مكبا على هذه الدمية التى صورها بقلبه كله ، وروحه جميعها ، يشكو اليها كأنها تسمعه ، ويبثها كأنها تصغى اليه ؛ ثم انتهى حاله الى هيام شديد ، وحب ودنف ، ولوعة وصبابة ، وانقلب عشقه المبرح الى لون كاسف من الوجد ، وضرب شديد من امر ضروب الحزن ، مصدره العقل الحائر والوجدان المضطرب .. اذ كيف يعشق هذه الكتلة المجسمة من الرخام ، وهى مما صنعت يداه ؟ واى امل له فى هذا العشق الشاذ ؟ لا ريب انه ضرب من الجنون ، ما له من ضريب !

ولج به هواه ؛ فأحضر عصبة من الحمالين الاقوياء ، نقلوا له تمثاله الى ردهة الآلهة — كما كان يسميها — وهى صالة واسعة فى الطابق الثانى من البناء الذى فيه ممثله ، وقصد الى امهر الصاغة وتجار اللآلىء ، فاشترى ماوسعه من الحلى البالغة والجواهر النفيسة ، وعاد فقرط الاذن وقلد الجيد ، وتوج الراس ، ثم هام فى المروج الخضر ، والحدائق الغناء ، يجمع الورود والرياحين ، كيما ينثرها تحت قدمى التمثال !

وتحولت الردهة الى معبد من معابد البوذية المقدسة ، بما عكف يحرقه من مقتنى الند ، وفواح الرند ، فى مباخر المرمر الجميل المصففة حول قاعدة التمثال

وتلف تلفا شديدا من الغرام العجيب ، فلم يكن يكتفى بالعبادة فى الحب والخبوت بين يدى ذلك الصنم المنتصب للفتنة ، بل كان يشركه فى كل أمره ، ويعرض عليه جميع شأنه ، حتى القراءة ! فطالما كان ينشده من دواوين الشعراء ما جادت به القرائح وشدت به الالسن وتغنت بالحانه قلوب العاشقين !

معذور بجماليون ! لقد تعب وراء الحب ، ولكنه لم يلق هذه الفيداء الفاتنة ، التى تستطيع التسلط على مشاعره ،

والهيمنة على فؤاده ، وكان يتخيل روعة الجمال فلا يجدها مجتمعة الا فى هذا التمثال الذى نحته لهذه الانثى ، فعبده ، وراح يتمنى على الآلهة الامانى ، أن تنفخ فيه من روحها ، وان تهبه الحياة ونعمة العيش

***

وبينما هو نائم فى هداة فجر اليوم التالى ، اذا به يصحو فجأة على لغط شديد ، وهرج عال فى الشارع الذى يقع فيه بيته . فينهض الى النافذة ، ويرفع الستر ، ويفتح احد المصاريع قليلا ، ثم يحنى راسه ليرى . واذا موكب زاخر من غوغاء المدينة يحملون تمثالا كبيرا من تماثيل فينوس التى صنعها بجماليون ، واذا الدهماء ينشدون الاناشيد الشعبية ، ويرسلون فى غبشة الصبح اغانيهم (الشعبية) الجميلة .. وكان من عادة سكان أماذيس أن يحتفلوا بالربة فينوس ثلاثة احتفالات يفاجئون بها النائمين ثلاث مرات كل سنة ، فلما عرف بجماليون أن الحفل حفل فينوس ، أسرع فارتدى أبهى ملابسه ، وجمع بعض باقات الزهور المبعثرة تحت قدمى تمثاله ، وهرول على الدرج ، ثم انفتل فى الشارع ، واندمج فى صميم الشعب الذى يلهج بالصلوات والادعية باسم فينوس . ثم ماهى الا هنيهة ، حتى كان بجماليون يهتف كما يهتف الاطفال والسذج ، ويردد من الصلوات مايرددون

ولم لا ؟ هل لحظة من الزمان هى خير من هداة الفجر ترسل فيها الصلوات على أول آراد الصباح ، الى آلهة السماء ، وارباب الاولمب ، فتسمع وتلبى ؟

وكان كل همه ان ينتهى هذا الحشد الهائل الى المعبد ، حيث يستطيع ان يرتل دعاءه ، ويتمتم بصلاته

وقد تنظر حتى فرغ الكهنة من جميع الطقوس التى

اعتادوا أن يقوموا بها فى مثـل ذلك اليـوم ، وأخـذت الجماهير تنصرف هاشة مستبشرة ، كأنما غمرتهم نفحات خالدة من فينوس . ولما لم يبق فى المعبد الاكهنته ، وأفراد من الاتقياء الصالحين ، يصلون صلاتهم ، ويغمغمـون بأدعيتهم ، تقدم بجماليون فى روعة التقى وخشوع الورع ، ووقف خابتا أمام المذبح ، حيث تصاعد ألسـنة البخور المعطر ، حاملة الارج الشذى من لهب المحرقة الى السقف والسجف ، فتكسب الهيكل جوه القدسى البديع .

ثم القى فى اللهب بحفنة من فتيت الكافور والمسـك ، وطفق يرتل هذا الدعاء الطويل : « فينوس الكريمةالبارة ، يا ربة الحب الطاهر ، والهوى البرىء ، أيتها القـديرة على كل شىء ، المتصرفة فى جدود العاشقين ، وحظوظ المدنفين : اصغى الى ، ولا ترفضى دعائى : منذ اهتديت اليك ، وانا عبدك القانت لك ، الهاتف باسمك فى الغدو ، المصلى لك فى الآصال ، لا انى عن ذكرك ، ولا يفتر لسـانى عن التسبيح لك ، والنسك من اجلك ، باسمك اقبل على فنى ، ومنك استلهم وحى العبقرية ، فأنت لى قبـل كل شىء ..

ولقد أيقظتنى صلوات الشعب لك من احلامى الجميلة بك ، فلم اطغ ولم استكبر ، بل هرعت اليك ، أتوسـل بك ، والتمس البركات منك فحنانيك يافينوس !

حنانيك ياربة الحب ، وجابرة القلوب الكسـيرة ، والنفوس الحائرة !

انت ، من غير ريب ، تعلمين ما ألم بى من برح هـذا الهوى الطارىء وما تام قلبى من حب هذه الدمية التى صنعتها باسمك ونذرتها لك ، فدلهتنى ، وشدهت روحى المبلبلة ، وصارت لى أعذب الامانى وأعز الآمال . وهى بعد رخامة لاروح فيها ولا نأمة ، أكلمها فما ترد ، وأناجيها

لها تجيب ، واغنى لها فما تبتسم !

انت قديرة يا فينوس ! فانفخى فيها من روحك ، وانشرى الحياة فى أركانها ، وامنحيها النبضات والانفاس

حنانيك يا فينوس ! وسلام لك من قلوب العاشقين ! »

وما كادت صلاته تنتهى ، حتى انهمر الدمع من عينيه يروى قدمى التمثال المنتصب فى المحراب . فانبعث الشرر عاليا من المحرقة ، حتى أضاء قبة الهيكل ، والتمع فى جميع أرجائه ، واقبل الكهنة والمصلون يباركون بجماليون ويهنئونه ، لان انبعاث الشرر هكذا ، عقب الصلاة ، هو فى اعتقادهم دليل رضى الربة ، وآية تلبيتها واستجابتها !!

ولكن مثالنا لم يشعر بقلبه يثلج ، ولا بنفسه تهدأ ، بل على العكس احس كانما الحياة تتدجى أكثر من قبل ، ويحلولك كل شىء فى عينيه وشعر بعد ذلك بقنوط قاتل ينفذ الى صميمه : فيطفىء فيه مارجى من الآمال البيض ، والامانى العذاب ! فتعثر الى الباب غير آبه لما حوله من الآس المنضود فى انحاء المعبد ، والزهر المبثوث فى صحنه الرحيب ، وما برح بين ونى وبطء حتى باب منزله ، فولج متساقطا على نفسه ، وانبطح على أول سلاليم الدرج لا يحس ولا يعى !

***

وعفا اغفاءة مريضة ، فبدا له ان يحمل ارزبة هائلة ، يهوى بهاعلى رؤوس الدمى ، ويحطمبها التماثيل المنتشرة فى ردهة الآلهة .. الا تمثال فينوس الجديد ، المرصع باللالىء واليواقيت ! ففزع فزعة مروعة ، ونهض يعدو الى الصالة ، يتفقد التماثيل .. فما راعه الا ان يسمع صوتا رقيقا يناديه :

« بجماليون ... بجماليون ... ارق الى هنا ... هلم الى !! »

من؟ صوت من هذا ؟ انه صوت مرمرى لا عهـــد لبجماليون به !! »

وقفز قفزات كان بها فى الطابق الثانى ، ونظر فلم يجد تمثاله الحبيب فى المكان الذى غادره فيه ... « .. اين ؟ ويحى ! لصوص ! »

ولكن الصوت الرقيـــق الرنان عاد يطن ... ويرن « لا ، ولكنها فينوس ! » والتفت بجماليون فرأى غادة هيفاء فى طبق تمثاله ونسجه ، متكئة على الاريكة التى طالما وضعها امام التمثال وانشد عليها الاشعار ؟!

« من انت ايتها المعبودة ؟ »

« لست معبودة ، ولكننى هبة فينوس لك ! انا جالاتيا تمثالك المكنون ! »

وكيف ؟ انا لا اصدق . هذه خديعة لاشك ! »

« وكيف تخدعك السماء يابجماليون ؟ اتريد ان تكفر بآلاء فينوس ؟ »

« لا .. لا .. لا اريد ان اكفر .. وحاشاى .. ولكن كيف حرت انسية ، ومن وهبك الحياة ! »

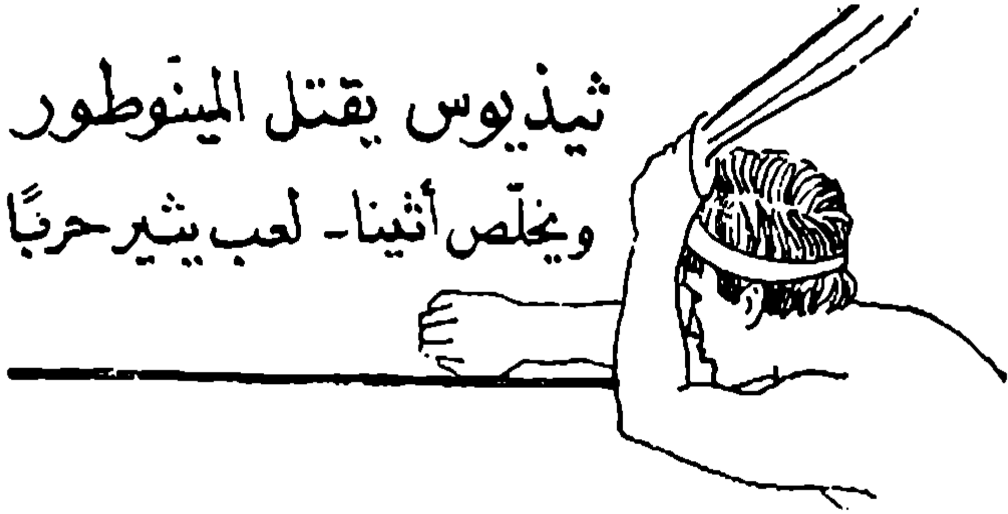
« هذا سر فينوس . وهذه قبلاتك لا تزال مطبـــوعة على قدمى ! »

« يالسعادة ! »

« انظر الى هاتين الشفتين القرمزيتين ، وهذين الخدين الموردين ، وتينك العينين الزرقاوين . هل استطعت ان تموه تماثيلك بهذه الاصباغ الفينوسية ؟ »

« وانظر الى الانفاس الحارة التى تتردد فى صدرى ، هل وسعك مرة أن تبعثها فى احدى دماك ؟ »

« حاشا . حاشا »
« اذن فهلم الى أحدثك حديثى »
« فدنا منها بجماليون المشدوه »
ـ بجماليون ! لقد استجابت فينوس لدعائك ، وقبلت صلاتك ، وحضرت الى هنا اذ كنت أنت فى الهيكل تبكى وتنتحب ، فمنحتنى الحياة ، وعلمتنى من العلم ما لم أكن أعلم
ـ « ولكن كيف بحق فينوس عليك يا جالاتيا »
ـ « كنت منتصبة كما وضعتنى على تلك القـــاعدة الناصعة ، فأحسست حدقتى تتحركان ، واذا بى أرى فينوس الجميلة أمامى ، تأمرنى أن أدلف نحـــوها ، ففعلت ، وكنت احس كأن ثلجا ينفذ من كيانى ، وأن حرارة تشيع فى اركانى ، وكانت فينوس تقول لى .. « تعالى .. تعالى ، وكونى ربة هذا البيت ، احميـــه واحرسيه ، وانشرى السعادة فيه ! تعالى القنك دروس المحبة والحياة .. » ، ثم انها نفثت فى أذنى نفثـــات تعلمت بها هذه الكلمات . وأسبغت على هذا الثـــوب الحريرى الذى لابد أنك قد رأيته على تمثالها فى الهيكل .. ليشهد لك أنها هى التى منحتنى الحياة .. ومنحتك الحب ! »
ـ « وماذا ؟ وماذا يا حبيبتى جالاتيا ؟ »
ـ « ثم تقدمت الى فنولتنى قبلة مشتهاة لن أنسى ما حييت اسرها ، ودعت لى ولك بالوفـــــاق الابدى ، والاخلاص السرمدى ، لنكون آية السماء فى هذه الارجاء! وابتسمت ابتسامة أرق من اطباق أوراق الورد ، ولم أعد أراها .. »
وأتمت جالاتيا حديثها ، فاســـتقر بجماليون فى احضانها !



ثيذيوس يقتل المينوطور
ويخلص أثينا - لعب يثير حربًا

كان الملك ايجوس ، ملك اثينا ، فى شرخ صبـــاه وعنفوان شبابه ، زير نساء واخا شهوات ، وكان ذا نبرات تكاد تسعى به الى حتفه .. بظلفه ..

ذهب مرة يجوب ريف مملكته ، فلمح وجهـا مشرقا ينبثق من كوة كوخ فى احدى القرى ، تتراقص حـول ثغره الصغير بسمات هن رسل الحب ، وتنطلق من عينيه النجلاوين نفثات تصرعن ذا اللب .. حتى لا حراك به ..

وطرق الباب يستسقى ، وما به ظمأ ، فامتدت اليه ذراع عاجية لدنة تحمل كوبا من البلور ، مفعما برحيق الحب ، وان لم يحو غير الماء القراح !

وتناول الكوب ولبث لحظة يشرب ما فيه بعينيه ، دون أن يمتد فمه اليه ، ثم أرسل زفرة دفعت البـــاب فانفتح على مصراعيه ، ودخل غير مستأذن فروى فمـه وبرد قلبه ، وبل جاحم الحب الذى زلزل أركانه

ثم تزوجها ، ومكث عندها شهرا كان عسلا كله !

ووصل الى قاعدة الملك ، وأم القرى ، اثينا ، بعد أن ترك وصاته المكتوبة الاتية : « فى الغرفة التى ضمتنا

لاول مرة نلتذ الحياة وننعم بطيب العيش ، هنا ، وفى هذا المنزل الصغير الذى اتسع لدنيا من الآمال والأحلام ، وتحت الحجر الكبير الملون ، حيث كانت قدماى تحييان فى سكرة الهوى قدميك ، قد استودعت نعــلى اللتين حملتاني أليك ، وسيفى الذى فريت به رؤوس الاعــداء حتى سعدت بك ، فاذا وضعته غلاما فسميه ثيذيوس ، ونشئيه وطرئيه حتى يصلب عوده ، ويشتد ساعده ، فخذيه الى الحجر فليرفعه ، وليلبس نعلى وليمتشـــق سيفى ، ثم ليمض الى أثينا ، لا حافظ له الا قلبه ،ولا حارس الا سيفه فاذا شاءت العناية فانه بحول زيوس العظيم ولى عهدى ، وصاحب "التاج من بعدى »

وتتابعت السنون

وكانت اثينا تزهى كل سنة بعيدها الرياضى الفخم ، فتلبس حلة من البهجة والايناس ، وتؤمها وفود الاقاليم المجاورة تتفرج بالالعاب الجميلة ، وقد تشترك فيها

وكان لمينوس ملك كريت (١) ، ابن مفتول العضل قوى البنية حبيب الطلعة ، كان يقدم الى أثينا ابان عيدهـــا الرياضى ليبارى أبطالها ، ثم يعود مشمولا بحب الاثينيين واعجابهم الشديد ، ولقد كان يحدث الا يكون للموسم بهجته المعتادة اذا تخلف ابن مينوس فلم يحضر الى أثينا

ومن غريب المصادفات أيضا أن ينشأ ثيذيوس هذه النشأة الرياضية التى نشأها ابن مينوس ، والتى كانت أمارتها تبهر الاثينيين وتخلب ألبابهم فى موســـمهم الرياضى

ولم يكن الاثينيون يعلمون أن لملكهم ولدا ، ان لم يبرز

---

(١) كريت او كريد هى جزيرة اقريطش وقد آثرنا التسمية الاولى لسهولتها وذيوعها .

على ابن مينوس فى الالعاب الرياضية ، فانه لا يقل عنه شأنا فيها • ولم يكن الملك نفسه يعلم عن ولده شيئا ، ولو قد علم عنه شيئا لما سولت له نفسه الاثيمة أن يدبر غيلة ابن مينوس في حلك الليل ، وفى طريقه المقفرة الى المرفأ ، حين آب باكبر جوائز الموسم الرياضي فى المصارعة والملاكمة والعدو ورمى القرص !

لقد أكلت الغيرة العمياء قلب الملك الجبان ، وتلظى فؤاده بحقد أسود حجب بصيرته ، فأرسل عصابة من اللصوص وقطاع الطرق والسفاكين ، فذبحوا الشاب المسكين ، ونبذوا جثته بالعراء ، تنوشها الوحوش وسباع الطير !

واهتزت أثينا المضيافة ، أثينا أم القرى ، لهول الجريمة ، ونقموا على القتلة الاشرار اعتداءهم الشنيع على ضيفهم المحبوب ، وكادت تندلع ألسن الثورة حين استفاضت الاشاعات وراجت سوق الاقاويل ، لولا أن وصل فى صبيحة ليلة الجريمة ، البطل الصغير ثيذيوس ولى العهد ، فجاة ، ومن غير سابق علم ، ولا ترقب ولا انتظار !

« ثيذيوس ! ومن يكون ثيذيوس هذا ؟!

« ولى عهد المملكة ورجاؤها ، ومعقد آمالها

« وأين كان الشاب ؟ وابن من ؟ ومتى ولد ؟ »

« كان ينشأ فى الريف ، وهو ابن حسناء من أميرات الأقاليم ، وولد منذ عشرين سنة

« ولم لم تعلم به أثينا من قبل ؟

« أراد الملك أن يفاجىء شعبه بهذا الخبر السار لولا اغتيال ابن مينوس ؟!

« وهل هو حقا أشجع من ابن مينوس ؟

« ومن يكون ابن مينوس وألف بطل كابن مينوس الى ولى عهدنا ثيذيوس ؟

وهكذا راحت الجماهير يتحـــدث بعضها الى بعض حديث ثيذيوس

أما كيف وصل هذا الامير الصغير ، فان أمه لما آنست فيه القوة واكتمال البنية . ولما رأت من تـــدفق ماء الشباب في وجناته ، وسريان كهرباء الحياة فيعضلاته. قادته الى الحجرة التي لقيت فيها لاول مرة أباه ، ثم ناولته الخطاب المكنون الذى يحمل وصـــــاة الملك . وما قرأ الفتى ما جاء بالخطاب حتى تأكدت له الامانى العذاب التى كانت أمه تهتف له بها ، فتقدم الى الصخرة فرفعها بأقل جهد ، ثم حمل السيف فقبله ، ووضـــعه هنيهة على راسه ، ثم على عينيه ، ثم على قلبه ، كأنه يطبع به خاتم المحبة الابوية على أعز جوارحه !

وربط النعلين العزيزتين على قدميه ، وانهال على خدى أمه ويديها يقبل هذين ويلثم هاتين ، ثم ودعها . وتزود من نصائحها ، وانطلق ميمما شطر أثينا

وكانت الطريق الى العاصمة صعبة شائكة ، محفوفة بالمكاره ، ككل طريق تؤدى الى جنة او نعيم ! فاللصوص وقطاع الطرق والسفاكون يأخذونها من كل حـــدب ، والسباع الضوارى تعج فى جنباتها ، والغيلان والابالسة تهمهم فى جميع منعطفاتها .. ولكن هذا كله لم يثن من عزم ثيذيوس ، فلقد قتل كل من تعرض له من لصوص هذه البرية المرعبة ، وفرى رؤوس سباعها ، حتى لقد فر الكثيرون أمامه يذيعون نبأ مقدمه فى أثينا . فما وصـــل اليها حتى كان صيته قد سبقه اليها وشاع فيها . وما

ان تقدم الى أبيه الملك حتى عرفه ونزل من فوق العرش فعانقه وقبله ، ثم عاد به فاجلسه بجانبه ، وأرهف أذنيه يصغى الى قصة حياته ، ومجازفته فى الطـــريق التى تكتنفها الاهوال الى أثينا !

وأعلن السرور العام فى المدينة ، وطفقت النواقيس تدق فى الهياكل ، واطلق سراح المجرمين من جميـــع السجون ، وجعل الناس يتندرون بشجاعة ولى العهد وقصته العجيبة ، حتى لانساهم ذلك هول المأساة الدامية التى روعتهم وزلزلت قلوبهم

وانتظر مينوس أوبة ابنه ، بيد أنه قلق لانقطـــاع اخباره ، وساورته الظنون من أجله ، وحسب أن ريحـــا عاصفا ثارت بمركبه فى البحر الايكارى (١) فاغرقته، لولا أن أحد التجار الكريديين عثر بجثة القتيل فاحتملها الى الملك ، الذى تصدع قلبه من الاسى !

ولا تسل عما انتاب مينوس من الحزن ، وما شمل كريد من الهم ، حتى لم تبق فيها عين لم تذرف ماءها على ولى العهد

واتصل بالملك ما كان من فعلة ايجوس ملك أثينا ، فاستيقظ الناس صبيحة اليوم التالى على صيحة الحرب، تدوى فى غبشة الفجر فتقض المضاجع ، وترن فى الاذان فتتجاوب لها حبات القلوب ! وما تطالـــع الشمس حتى تكون البطاح مائجة بجنود كريد البواسل ، هائجـــة بالمتحمسين من الشبان والشيب ، هرعوا جميعا فـــدى للملك ، وريا لمجد الوطن ، واثئارا لولى العهد !

وترامت الاخبار الى اثينا ، فاعتكرت أفراح البلاد ، وسكن ضجيج الشعب ، وسارع الجميع يستعدون للقاء

(١) نسبة الى ايكاروس (اسطورة سابقة)

العدو ، فها هي ذى القلاع قد سهر عليها حراسها ، والسبل منبثة فيها الجنود شاكى السلاح ، والمرافىء تعج بالسفائن الحربية ، وكل رجل فى المملكة قد اضطلع بنصيبه فى الذود عن بيضة الوطن !

وأقلع مينوس بأسطوله اللجب ، وعسكره المجر ، وفرسانه العديدين ، مزودين بميرة ليس كمثلها ميرة ، وذخيرة يا لها من ذخيرة ... ومخر الاسطول لا تحول بينه وبين مطمحه عقبة ، ولا يقف من دونه محمق ولا مجنون

ووصل الاسطول الى اثينا ، غادة هيلاس ، وهدية الآلهة الى فينوس ، وعروس الاحلام الجميلة ، فوجد الاسوار مخفورة ، والبوابات مغلقة ، والناس داخل المدينة مستعدين للدفاع عنها ، فألقت الفلك مراسيها . واندفع الكريديون يحتلون السهل الواسع المحيط بالمدينة حتى ملأوه ، وحتى لا ترى الا خياما تصل أقصى الشمال بأقصى الجنوب ، وتربط أول الشرق بآخر الغرب .. جنود وضوضاء .. وصهيل ورغاء .. وعسكر كالجراد المنتشر لا تبلغ أوله عين ، ولا يذهب الى آخره خيال !

وصابر مينوس يحاصر المدينة إياما طوالا حتى قلت الاقوات داخلها واخذ اهلها يشكون الجوع والجهد ، وزاد فى شدتهم أن نضب الماء ، فعم البلاء

ولم يكن أمام الاثينيين الا احدى اثنتين : اما الموت داخل الاسوار صبرا ، وهذا ما لن يكون ، واما الخروج للقاء المحاصرين ومناضلتهم ، وذلك ما لا طاقة لهم به ولا قدرة لهم عليه

أمران أحلاهما مر ، واخفهما فيه الويل ، وعقباه الدمار والبوار ، واجمع بعض عقلائهم على ان يذهبوا الى ملكهم يرجونه فى أن يذهب الى الهيكل فيقدم القرابين

الى الآلهة حتى تأتيهم نبوءة السماء ووحى اولمب بما ينبغى أن يكون .. ولكن الملك ابى واستكبر ، ثم قبل بعد الحاح أعيان القوم ان ينوب عنه فى هذا الشأن احدهم

وقصد قائم مقام الملك الى هيكل فينوس فتقرب بالضحايا وعقر القرابين ، وقبل الارض بين يدى تمثالها المنتصب فوق المذبح ، ولبث غير قليل ..

وخشعت الابصار وسكتت القلوب ، وعم المعبد وجوم عجيب

ثم انبعث الصوت القدسى الضعيف من خلوة الكاهن يقول :

« ليفعل الاثينيون ما يأمرهم به مينوس ملك كريت .. الويل لهم ان حاربوا !! » ..

وهلعت الافئدة .. وطاشت الاحلام ! !

وتلقاها الملك كما يتلقى الانسان حكما عليه بالاعدام.. ولكن ما العمل ؟ ولا حيلة لبنى الموتى فى دفع احكام القضاء ؟

وارسل ايجوس الى ملك كريد يعرض عليه الصلح ، ويسأله عن شروطه .. فقال مينوس لرسل الملك : « قولوا لايجوس ، الآن عرفت كيف طعنت فؤاد مينوس تلك الطعنة النجلاء بقتلك ابنه وولى عهده

ولقد جئناك نطلب ثمن هذه الفعلة الشنعاء ، ولن تكفينا أثينا كلها ثمنا لها ! أما وقد ذللت ، فحسبنا ان نرجع بسبعة من خير شبابكم واجمل فتيانكم ، وسبع من ابكار الاثينيات وابهى حسانها ، ليكون الجميع غذاء حلالا للمينوطور ، على أن ترسلوا كل عام فى مثل هذا الزمن اربعة عشر آخرين من خيرة شباب اثينا واكرمهم حسبا ، فان رضى الملك وسلم فدية هذا العام رحلنا عنكم الى

العام المقبل »

وسكت الملك وتحدرت من عينيه دموع غلاظ ، وثار فى قلبه هم قديم

طلب مرعب ينم عن قسوة وغلظة ! غير ان قتل ابن مينوس غيلة ، فى رحاب أثينا ، وفى دجنة الليل ، وبتدبير الملك ، كل ذلك يبرر الغرامة الوحشية التى فرضها ملك كريت !

وكاد ايجوس يرفض هذا الهوان الذى طلب اليه أن يؤديه عن يد وهو صاغر ، ولكن الشعب هاج هائجه وضج الرعاع يطلبون الخبز ، أو تسليم المدينة او .. دم الملك ! !

فذل ايجوس المسكين وصغر ، وقبل شروط مينوس مرغما ، واختير من شباب المدينة سبع كواعب أتراب ، وسبعة فتيان فى ريعان الصبى ، وشيع هؤلاء وهؤلاء الى الاسوار بين بكاء الامهات وعويل الآباء وآلام المحبين !

وهرع الكريديون الى خيامهم فاقتلعوها ، والى شراعهم فنشروها ، وأقلعوا فى الصباح الباكر بعد أن ألقوا على كبرياء ايجوس هذا الدرس المهول !



ومضت سنون وآثينا العظيمة تؤدى الفدية عن يد وهى ضارعة ، حتى ثارت كبرياء ثيذيوس وفارت نخوته ، وتقدم الى أبيه الملك الشيخ ، حين دعا النفير العـــام لتقديم الفدية ، يضرع اليه أن يكون هو الفداء الرابع عشر من شباب هذا العام : « على الاقل يا ابى يكون فى هذا بعض العزاء الاثينيين ، وليثقوا أننا لا نذلهم ، واننا منهم وهم منا ، واننا آخر الامر ، نشرب بالكأس التى يشربون ! »

وصعق الوالد حين تقدم اليه ولى عهده بهذا الطلب ، ورفض رفضا باتا .. ويغلى الدم فى رأس البطل الشاب فيقول للملك : « اذن فأنا أحطم كأس الحياة التى انعمت مذلة وهوانا ، وسأريق مع سمها الأسود هذا الدم الارجوانى الذى لا استحقه ، ولا أشرف به .. أبتاه ! لن تتحرك السفينة الحزينة حاملة ضحايا قسوتنا واستبدادنا حتى أحييها بحياتى ، وارويها بدمى ، ليكون قربانا لمن عليها من عشيرتى ولداتى .. »

وقبل ان يفصل البطل الشاب ، ناداه والده باكيا ، ونهض فباركه ، وقبل ، والهم يمزق أحشاءه ، أن يكون بين الضحايا ..

***

وفى الحق أن ثيذيوس لم يكن يعرض نفسه للتهلكة ، ولكنه كان واثقا من شجاعته ، مؤمنا بما وهبته الآلهة من جلد وبأس ، وقلب لا يفله الا الحديد ، لانه من حديد . ولقد صمم أن ينازل هذا المينوطور الخبيث ، فاما قتله وعاد مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، ليعيش فى وطنه منقذا لاثينا ، واما قضى القضاء أمره فيه ، وليس هو بأعز ممن راحوا ضحية هذا الوحش المخيف !

وقال لابيه وهو يودعه ، حينما ركب المركب السوداء التى يرفرف عليها علم الموت « أبى ! لا تبك ! انك ملك ، ودموع الملوك لا تذرف الا فى سبيل الوطن ! اننى ذاهب الى معركة أرجو ان يكتب لى النصر فيها ! لقد فزت على عشرات من أمثال هذا الوحش ولما اكن بعد الا طفلا .. ادع لى أن أفوز به ، فأريح اثينا العزيزة من شره »

***

واقلعت السفينة تحمل هذه الفلذات الغالية من أبناء البلاد ، ومخرت فى بحر تلاطمت أمواجه ، وزخرت اثباجه ،

ولطم أذيه (١) ، وانتفخت أوداجـــه ، حتى وصلت الى كنســوس حاضرة كريت . وهرع النـاس من كل فج يستقبلون ضحايا المينوطور ، وفى وجه كل منهم عبوسة حزن ، وملء قلوبهم ثورات مكبوتة من الاسى ؛ على هذا الشاب الناضر الذى أقبل الى الموت من قرار بعيد !

وكانت فى الجماهير فتاة غضة الاهاب ، بضة الشباب ، حلوة ناعمة ، نهضت فى مركبتهـا لمشـاهدة الضـحايا الاثينيين ، فما كادت عينها تصيب نظـرة من ثيذيوس ، حتى أحست فى اعماقها بنفحة السماء التى تسبق لفحة الحب ! !

وترى من يكون هذا الشاب الانيق والفتى الرقيق ؟

« انه يقبل فى غير وجل ، ويقتحم الجماهير فى غير هيبة ! أعبر بحار الموت قبل هذا ؟

« لا شك يا فتاة أنه أمير ان لم يكن ابن ملك !

« ان الحمرة التى تطير من الورد اذا قطف ؛ ما تفارق خديه ، وهو مقدم على الردى ! !

« ان صفرة الموت تستحى أن تموه هذه الوجنات !؟ . .

« أمن السماء هذه الزرقة التى تملأ عينيه ؟ . .

« بل مثـله لم يخلق الا ليـكون زهرة هذه الحيـاة الدنيا . . .

« أيها الشاب . . . لن تموت !

وهكذا جعلت تتحدث تلك الغادة . . . الاميرة الجميلة بنت مينوس . . !

وكأنما قرأت وصيفتها الامينة مادهى سيدتها من حب الفتى فى كتاب عينيهـا ، فقـالت : « أتحس سـيدتى بتعب ؟ » . .

---

(١) الأذى : الموج

« لا يا فتاة ... ولكن انظرى الى هذا الفتى المتفتح كالزهرة !

« والله يا سيدتى انه جدير بعطفك ، خليق برحمتك ...

« وما العمل يا فتاة وليس لنا في انقاذه يدان !

« هونى عليك يا مولاتى ! انه وأيم الله من سلالة الملوك ! ان لم يكن ابن مليك ! وهو بادى الشجاعة ظاهر الفتوة ! وان له لسيفا طويل النجاد ما حمل أحد مثله ، ولم أعهد قط أن من ضحايا المينوطور من جاء بذى غرارين من شنه .. فلم لا ندبر معه قتل المينوطور ! ؟ .. »

« قتل المينوطور ؟ انك تهرفين ! ومن يجسر أن يدخل والمينوطور في معترك ؟

« لا عليك ؟ نرشو السجان فيفلت الشاب فى ظلام الليل ، ونهديه الى باب اللابيرنث (١) فينطلق الى الوحش الغاط فى نومه العميق ، فيجذ رأسه بهذا الجراز الذى ترين ! »

« يا له من تدبير ! ولكن كيف يعود الشاب وأنت تعرفين من منعرجات اللابيرنث وشعابه ما تعرفين ؟.. »

« لا أسهل من هذا أيضا ! خيط طويل من أمراس الكتان يمسك هو بطرفه الاول ، ونمسك نحن بطرفه الاخر ، يهديه فى ذهابه ويرشده فى ايابه !! »

***

وطربت بنت مينوس لتدبير وصيفتها ، فمنحتها قبلة شهية وخلعت عليها جائزة سنية ... وانطلقتا تترقبان المساء ..

---

(١) اللابيرنث هو التيه الذى بناه ديدالوس للمينوطور وقد حدثناك عنه فى أسطورة سابقة

وعرف ثيذيوس أنها ابنة الملك فاستطير من الفرح ، وعرفت أنه ابن ايجـــوس ، فكبر رجـــاؤها وتلألأت آمالها ....

وقتل المينوطور ، وفك أسار رفاقه ورفيقاته ، وأقلعت بهم الفلك ، حاملة جوهرة جديدة غالية : هى ابنـــــة مينوس ... وربيبة كريد

أما الملك !

فقد صبر ! وأرضاه أن يحرض ايجوس فيعتذر لـــه ويصالحه ! ...

وهكذا حسم الحب هذا الخصام الطويل



بنــدورا
وسرقة النار المقدسة

توزع الآلهة تعمير الكون ، فكانت الارض من نصيب بروميثيوس بن يابيتوس ، أحد ذرارى التيتان العمالقة ، الذين حبسهم أبوهم خشية جبروتهم ومخافة بأسهم ..

وطفق بروميثيوس يفكر ، حتى بدا له أن يجعل فى الارض أناسى يخلقهم على صور الآلهة ، فاستعان أخــاه أبيمثيوس فهداه الى الحمأ المسنون أو الطينة البشرية . فخلقا منها الانسان الاول ، وذهبا الى ايروس (١) فنفخ فيه من روحه ، التى هى الحياة ، وقصدا الى مينرفا فنفثت فيه نفثتين ، هما النفس والعقل

وخلق بروميثيوس رجالا كثيرين على هيئة آدم الاول ، وجلس على أكمة عالية يشرف على عباده الصالحين !! ولشد ما كانت الكبرياء تشيع فى أعطافه ، كلما نظر فوجدهم يتحدثون بآلائه ، ويسجدون له ، حتى فكر فى نعمة أخرى يسبغها عليهم فتكون أجزل النعم !

« النار ! النار المقدسة تنفعهم وتلين لهم حديد الحياة ! ومع أن بروميثيوس يعلم من أمر هذه النار ما يعلم ، ومع أنه يعلم أنها محرمة على غير الآلهة ، وأن كل من استباحها

(١) هو كيوبيد اله الحب

لنفسه ممن عداهم تعرض لمقت الاله الاكبر ونكاله ، فقد ذهب الى الاولمب وتغفل زيوس ، ودس قبسا من النار فى تضاعيف ثيابه ، وعاد كالبرق الى عباده المخلصين ، يقدم اليهم هديته التى سرقها من أجواز السماء !

ونظر زيوس من علياء الاولمب ، فرأى النيران تتأجج هنا وهناك فى أديم الارض ، ففطن الى السرقة المنكرة ، وانقذفت من فمه المزبد رعود الغضب !

وارتجف الاولمب ، وزلزلت السماء ، وارتعدت فرائص الآلهة ، وأمر الاله الاكبر فأحضر بروميثيوس مكبلا بالاصفاد ، ملطخا بالوحل ، وعبثا حاول الدفاع عن نفسه، ثم حكم عليه فسيق الى جبال القوقاز ، حيث غل عنقه الضخم وذراعاه الكبيرتان ، وفخذاه اللتان تزريان بفخذى فيل ، فى قنة عالية ، وسخر الاله الاكبر رخا عظيم الجثة ، حاد الاظافر ، كبير المنسر ، فذهب الى حيث بروميثيوس ، ينوشه ، ويمزق جسمه ، وينفذ أظافره ومنسره فى أحشائه حتى تبلغ الكبد ، فيهرأه ويطعمه حتى يأتى عليه ، وينصرف الى غد

فاذا كان الليل ، وهبت الريح سجسجا ، التأمت جراحات الاله المسكين ، ونما له كبد آخر ، وينام حتى تشرق الشمس ، فيعود الرخ ليبدأ ما انتهى منه أمس ، وليأخذ فى تعذيب بروميثيوس التعس ، الى أن تغيب ذكاء !! وهكذا دواليك ، أحقابا وأحقابا ...

ويلبث الاله المنكود فى هذا العذاب الطويل حتى يلقاه هرقل الجبار فى أحد أسفاره ، فتثور الشفقة فى قلبه ، وينقض كالصاعقة على الرخ ، فلا يتركه حتى تزهق روحه، بعد صراع عظيم ، ثم يفك أغلال بروميثيوس ويحرسه ، حتى يقبل الليل فيشفى مما به ، ويسير بين يديه حتى يبلغ

أوطانه ، حيث عباده الصالحون !!

وفرح الناس بالههم وسروا بلقائه ، وقـدروا ما لقى فى سبيلهم ومن أجل سعادتهم ، فعنـوا له وأخبتوا ..

وكانوا يحيون فى بلهنية ، غارقين فى طـراوة من العيش وسعة من الرزق ، هواؤهم رخاء وماؤهم صفاء ، لا يشكون متربة ولا يعرفون ضنكا ، ولا تلم بهم ملمة من مرض أو رجس . ولم يعرفوا المـوت ، ولم يدروا ما البكاء ، فكأنما كانت حياتهم طوبى ، ونعيما مقيما

وعلم زيوس ما كان من أمر بروميثيوس وفرح الناس بأوبته اليهم ، فغيظ غيظا شديدا ، وآلى ليكيدن لهم كيدا، وليرسلن عليهم من مكره ما لا طاقة لهم به ...

ونظر زيوس فراى أنهم مخلوقون على صـور الآلهة ، ولكنهم كلهم ذكران ، « ومن الآلهة أنثيات ، فلم لا أصنع لهم أنثى تذهب بحرثهم ونسلهم ان صح أن يكون لهم نسل ؟ ... »

وارسل دعوة عامة الى جميع الآلهة فسعوا اليه من كل فج عميق ، وأخذ يحدثهم حديث بروميثيوس ، ثم أخبرهم أنه يريد أن يخلقوا له أنثى جميلة يودع فيها كل منهم سرا من أسراره : « لانني سأرسلها هدية الى هذا المجنـون بروميثيوس ليشهد بعينيه ماذا تصنع بعبـاده الذين خلق ... »

واقترح الاله أن يفرغ هيفستوس (١) اله النار والفن وابن زيوس ، الى ابتداع هذه الانثى ، فسواها من نفس الحمأ الذى خلق منه الانسان ، وجاءت آية من آيات الحسن، رقيقة كأنها صورت لتكون فتنة الاولمب

واحتملها الى زيوس ، وأقبل الآلهة ينفثون فيهـا

(١) هو فلكان الروماني

أسرارهم ، ويستودعون نفحاتهم . فهذه فينوس نهبها من جمالها ، وحيرا من ثرثرتها ، ومينرفا من حكمتها ، ولاتونا من استيحاشها ، وديانا من رشاقتها ، وكيوبيد من حبه ، وأبوللو من شعره وموسيقاه ..

أما هرمز الخبيث ، فقد انتظر واستأنى حتى فرغ الآلهة من اسباغ آلائهم ، ثم تقدم ، وملء وجهه ضحكة ساخرة فأودع الحواء (١) قلب كلب ، ونفس لص ، وعقل ثعلب !! ...

ثم نفخ فيها زيوس من روحه ، فدبت الحياة في أعطافها ، ونظرت حولها فابصرت الآلهة مشدوهين ، مأخوذين بسحر جمالها ، فولت مدبرة ولكن الى غير مهرب :

وشرع الآلهة يتخيرون لها الاسماء ، ثم سماها ربها « بندورا . » وأومأ الى هرمز فاحتملها كالطفلة المدللة ، وذهب بها ، هدية غالية من السماء الى التعس بروميثيوس الذى رفضها غير شاكر وأباها غير حميد !

وكان لديه أخوه ابيمثيوس فكادت نفسه تذهب شعاعا حين أبصر هذه الغادة الهيفاء ، يرفضها أخوه هدية من السماء ! وتقدم هو فضرع الى هرمز ان ينزل له عنها ، وأن يغفر لاخيه حماقته ، وقلة بصره . وكفرانه الذى لا كفران بعده !!

ومع ذاك فقد نصح بروميثيوس لاخيه ألا يقبل هذه الهبة من الآلهة ، وأن يرفضها ، غير مشكورة ، كما رفضها :

ـ « انها فتنة يا أخى ، بل هى خدعة من خدع السماء حرى بنا ألا تنطلى علينا ! »

ـ خدعة ؟! خدعة ماذا يا أخى ؟ خذ عينى فابصر بهما ،

---

(١) الحواء . الانثى الاولى

وقلبى فضحه على مذبح هواها ٠٠ ألا ترى الى عينيهما النجلاوين ، وشفتيها القرمزيتين ، وثدييها الناهدين ، وفخذيها المملوءتين ، وساقيها الجميلتين ؟ ٠٠

– « بل بحسبى عيناى يا أخى ! انى أستشف بهما فتونا نفثته الآلهة فى كل جوارحها ، فحذار ! انها ستكون خراب هؤلاء المساكين الذين صنعتهم يداى ! »

– « حسبك يا أخى وحسبى ! هى لى من دونك . فتول عنا أو دع ! »

***

وعاشت بندورا مع ابيمثيوس كما يعيش الآلهة فى الفردوس ٠٠ حياة كلها مرح ، وأياما جميعها لذة وايناس ، يخلو اليها فتمتزج روحاهما وتختلط نفساهما ، وتكون هى فتنة زوجها المسكين ، تأسر لبه بموسيقاها الحنون : وتسحره بالزرقة العائمة فى عينيها ، وتبهره بكلماتها الغوالى فى الحكمة والموعظة الحسنة !!

وتركهما زيوس حينا من الدهر ينهلان خمر الحياة ، ويعبان من عسلها المصفى ، ثم دعا اليه هرمز ، فحمله صندوقا ثمينا ، وانفذه به اليهما ٠٠٠ « واياك أن تعبث به فى الطريق ، فانه هديتى الى بندورا ، وفيه انتقامى من عباد بروميثيوس ، فسر به الى الفتاة ، وأوصها به خيرا ٠٠ »

وكان الزوجان يتراقصان على الحشيش الاخضر امام قصرهما المنيف حين اقبل هرمز بالصندوق ، يتعثر فى مشيته ، وقد بدت عليه وعثاء السفر ، وعلق الثرى بأسماله البالية ، فلفتت بندورا نظر زوجها اليه ، وذهبا سوية للقائه والاحتفاء به ، ولكن هرمز أبى الا أن يذهب الى القصر ، ليسلم الهدية ، وليبلغ رسالة السماء ٠٠فسار

الجميع حتى كانوا فى المخدع الوثير ، وجلس هرمز يستريح قليلا ، ثم قال :

« هاك يا بندورا العزيزة هدية الاله الكريم اليك ، خصك بها من دون برئياه اجمعين . واحسبك فى غنى عن ان أصفها لك ، فها هى ذى أمامك تتكلم عن نفسها . ولكن الاله الاكبر يشترط الا تفتحيها الا باذنه ، فلا تتعجلى ، حتى يأتيك أمره . وانه لقريب »

ونهض هرمز ، وسلم وانصرف ، ولا تزال بوجهه تلك الضحكة الساخرة التى كانت عليه ، يوم استودع بندورا قلب الكلب ، ونفس اللص ، وعقل الثعلب ...

وكان ابيمثيوس قد قدم اليه من ثمر حديقته الشىء الكثير ، ولكنه لم يمد يده اليه ...

***

وكان الليل قد قارب أن ينتصف ، وكان الكرى قد لعب بطرفها الوسنان ، فاستلقت على اريكتها الحريرية وغرقت فى سبات عميق ، ممتلىء بأحلى الرؤى ، وأطيب الاحلام ..

وخيل اليها أن فى الصندوق ارواحا سحرية تكلمها ، وتنسج الأمانى العذاب لها ، وان دنيا بأكملها تتفتح وتزهر حولها ، فلما نهضت من نومها فى بكرة اليوم التالى ، احست أن أملا كبيرا يملأ قلبها ، وان رغبة ملحة تسوقها الى الصندوق كلما ابتعدت عنه ، وحدثت زوجها بما تجد ، فعللها هو الآخر بالآمال وأخذ يهدىء من روعها الذى بدا اضطرابه بأجلى مظاهره ... ودعاها الى نزهة خلوية فأقسمت لا تغادر البيت ، بل لاتغادر الغرفة التى تضم الصندوق الصغير ، « الذى أحس أنه مغلق على قلبى ونفسى جميعا .. ! » فرثى لها ، وانطلق هو ،

لأول مرة منذ عرفها وحده ، ينادم اخوانه الآلهـة وبلاعبهم ، وبندورا وحدها فى مخدعها ، تقلب الصندوق العجيب ، وتتحدث اليه ، كأنه يسمع ويرى

وغبرت أيام وهى فى حال من الهم لم تعهدها من قبل، وكانت تجلس وحدها حزينة كاسفة ، تنتظر بشير الآلهة الذى يأذن لها بفتح الصندوق . ولكن هيهات !.. لقد طال ما انتظرت حتى نفد صبرها وعيل ، ونهضت الى الصندوق تقلبه ، وهى مأخوذة بجمال صنعه ودقة زخرفته ، وهذا الغطاء المزركش الذى انغلق على آمالها واحلامها ..

وحاولت أن تفتحه ، ولو اغضبت بذلك السماء ومن فيها من آلهة وارباب ، ولكنها فشلت غير مرة ، وضاقت بها الدنيا بما رحبت ، فدفعت بالصندوق دفعة قوية على أديم الغرفة،فانصدع ..ولما تناولته ثانية هالها أن وجدت بعض أربطة الغطاء قد تقطعت ، ثم هالها أكثر أن تسمع هذه الأصوات ، منطلقة من الداخل :

« بندورا ! بندورا ! بندورا العزيزة ! حنانك ! خلصينا من هذا السجن السحيق ! اننا نتعذب هنا ... انقذينا يابندورا فقد ضقنا بما نحن فيه ... اننا لم نصنع شيئا حتى نرسف فى هذا الحيز الضيق .. »

« ماذا ؟ ...

ما الذى يتحدث هكذا فى هذا الصندوق ... ؟

انها اصوات حزينة مكلومة ، وانى لابد منقذتها !

ماذا انتظر ؟ أمر السماء ! هذا لا يهم !

انفتح أيها الغطاء ... »

وضغطت الصندوق ضغطة هائلة فانفتح الغطاء ، وسرعان ما انطلقت خفافيش سود ذوات مخالب حادة

فملأت هواء الغرفة ، وأهوت على بندورا المسكينة تعضها وتجرح بدنها الغض ، وكلما وخزها خفاش لعين ، انطلق قائلا : « انا المرض ! »، ويقول آخر : « أنا الفقر »، ويقول ثالث : « انا الجوع ! » ويصيح رابع : « انا البخل ! » وخامس : « انا القحط » وسادس : « انا النفاق ! » . وسابع .. وثامن .. الى آخر الرذائل التى تكظ الحياة الى يومنا هذا ؟!..

وانطلقت الخفافيش من الغرفة الى القصر ، فجرحت الخدم والخول ،ثم انطلقت الى الحديقة ... والى الطريق حيث كان أبيمثيوس وأقرانه الآلهة ، فأوسعتهم عضا وقضما وتجريحا . وتركتهم يترنحون من الالم ، وذهبت تفسد فى الارض ، وتنتقم لزيوس الجبار من عباد بروميثيوس المخلصين ، فكثرت الآلام ، وعم الفقر ، وامتلات الأرض رذائل واشجانا !! ...

وكانت بندورا قد اسرعت الى الصندوق فأغلقته ، حين رات من امر هذه الخفافيش ما رات

ولكن : وا أسفاه !!

انها حين أغلقت الصندوق ، حبست فيه الروح الطيب الوحيد ، الذى خباه فيه زيوس ... الا وهو : « روح الامل ! »

وانبطحت بندورا على ارض الغرفة تئن وتتوجع وتشكو البرح الذى ألم بها ، حتى اقبل أبيمثيوس فانبطح الى جانبها يشكو شكاتها ، ويألم لآلامها ...

ولبثا يبكيان ..

وكلما حدثته بندورا حديث الصندوق ، تسخط الاله التعس وتبرم ، وحدجها بنظرة فاترة ، قائلا « نصحتك فلم تصيخى ... ! »

وسمعا صوتا ضعيفا في الصندوق يقول : « بندورا ! بندورا ! لماذا حبستني وحدى ، وانا روح الخير ... افتحي ... افتحي .. انى سأشفيك من جراحك ، وآسو آلامك واوجاعك .. افتحي ... »

ولكن بندورا كانت فى شغل بآلامها فلم تنهض ولم تجب ، ولكن ابيمثيوس تناول الصندوق ففتح غطاءه ، فانطلق فراش ابيض جميل . هو روح الامل ، ما فتىء يرف بكل جرح من جراحات الزوج حتى شفاها جميعا ، ثم شفى جراح الزوجة كذلك ، وانطلق الى عباد بروميثيوس يشفيهم ويأسو جراحهم ، وما فتىء الى اليوم ، هذا الفراش الابيض الجميل ، روح الأمل ، يشفى أوجاع المحزونين والمكلومين

بورك الفراش الابيض !

ولا بوركت خفافيشك السوداء يا بندورا !

هيرو وليانذر
المأساة الغرامية المؤلمة



ارسلوها الى الدير ، طفلة بريئة النفس ، طاهرة القلب ، بسامة الثغر ، وضاحة الجبين ، كلما وضعت ابهاما فى فمها تمصه ، تمثلت فيها سذاجة الطفولة وجمالها ودعتها

ونذروها لفينوس ، فكانت ربة الحب تنسرق فى القمراء الصافية لترعى طفلتها ، ولتنفث فيها من رقى السحر ما تعدها به لمستقبل غرامى ملىء . وكان الكهنة يتفرسون فى شفتى هذه الوديعة الصغيرة الغارة لا يدركون لهما كنها ، واسرارا لا يفقهون لها معنى ، الا كنه الصبابة الحمراء تنثال فوق الثنايا الأربع البراقة ، ولا معنى القبل ، الناضجة يختلسونها كلما افترتا عن ابتسامة ، او انفرجتا لدغدغة أو تخميش (١)

وشبت هيرو ..

وتفتح الورد فى خديها الناعمين ، واستيقظ النرجس فى عينيها الناعستين ، وضحكت فينوس فى شفتيها

(١) هما : « الزغزغة »

الحمراوين ، ونبت الخمل الحريري يطرىء صــباها الغض ، وشبابها الفينان !

ورسمت راهبة لفينوس في سيستوس ، المدينة الخالدة، التي تربض على شاطىء الهلسبنت (١) الأوربى ، قبالة أبيدوس ، مدينة الاحلام على الشاطىء الاسيوى،

ولبثت الراهبة الرائعة تؤدى الطقوس والشعائر الدينية لربة الجمال والحب ، في برج مشيد مشرف على البحر في قصر ابيها ، ولبثت الشهرة تذيع محاسنها في المدينة الكبيرة ، والصيت الرنان يتحدث عن جمالها بين الاهــلين كما يتحدث الشذى عن ورده ، والارج عن رنده ، حتى اصبح اسمها اغنية كل فم ، وهتاف كل لسان

وسمع لياندر ، فتى ابيدوس واشجع شبابها ، والذائد عنها في كل حومة ، بهيرو الراهبة ، فعجب ان تكون حقيقة كما يصفها الناس ، ، وحسب ان المبالغة هي التي نفحت في شهرة هيرو ، فلم يهتم لما سمع عن مفاتنها ، وصرف ذهنه الشاب الفتى عن هذه الطوبى التى سلبت البـــاب الفتيان ، وغدت حلما ذهبيا لكل مدله ولهان

ولكنه كان يزداد تذكرا للفتاة كلما بالغ في نسيانها او تناسيها ، واذا صح ان الاذن تعشق قبل العين احيانا ، فلقد كانت اذن لياندر عاشقة وامقة ، وما برحت تلح على قلب صاحبها بالعشق والمقة (٢) ، وما برح يعرض عنهـا ولا يصغى لها ، حتى اعلن في سيستوس عن حفل ضخم يقام في هيكلها تكريما لفينوس وتقديسا ، وان الشباب من الجنسين مدعوون للمشاركة في الاحتفال بربة الجمـال والحب ، وليس أولى من الشباب بتكريم الجمال والحب

---

(١) الهلسبنت هو بوغاز الدردنيل المعروف

(٢) المحبـــة

وترامى خبر الاحتفال حتى بلغ الشاطىء الاسيوى فى ابيدوس وحتى سمع به لياندر ، فابتسم ، وشعر فى سويدائه باول قبس من نار الحب ، فألهب احساسه واشعل قلبه ، وملأ اضالعه شوقا الى هيرو وتحنانا

واعتزم المشاركة فى الاحتفال ، لا تقديسا لفينوس ولكن لينظر الى الراهبة الحبيبة التى مــلأت خياله ، واصبحت مثله الاعلى الذى ينجذب دائما اليه ، مدفوعا بالقوة الخفية الخارقة ، خاضعا للسحر المنطوى العميق..

واذ كان اليوم المنشود ، ارتدى الفتى ابهى ملابسه ، وانطلق يحدث نفسه امانى الحب ، ويتغنى اغرودة الجمال وظل يحلم فى طريقه الى سيستوس بهذا الامل اللماح ، الذى يشبه فى تحجبه فى ثنايا المستقبل قمر ليلة مكفهرة قمطرير ، ما يفتأ يتخايل فى تضاعيف السحب !

وعبر الهلسبنت فى زورق ابيض جميل ، مخرما بين العدوتين فى ساعة كانت فى فؤاد العاشق المشتاق اطول من احقاب واحقاب !

وقصد الى الهيكل ، وطفق يدافع الجماعات ، ويزاحم الجماهير ، حتى كان بين يدى هيرو

وكانت باقات الورد تتناثر من هنا وهناك تحت قدمى الراهبة الصغيرة التى استوت على منصة ترتفع قليلا عن مقاعد المدعوين ، مشرقة مونقة ، كأنها زنبقة ، ملتفعة بردها الحريرى الابيض،متكئة بذراعها اللدنة الجميلةعلى سنادة المنصة ، مقلبة عينيها الدعجاوين فى الجماهير المتكبكبة حولها تلتمس البركات ...

وكانت فينوس قد اقبلت من مملكة الاولمب تشهد المهرجان الحاشد ، وتشبع خيلاءها باستملاء الشباب الهاتف باسمها ، المترنم بعبادتها ، وكان معها ابناؤها الغر

الميامين ، وفيهم كيوبيد وهرمونيا ، فاختبأوا فى ابراج الهيكل ، ولبثوا ينظرون الى الملأ ويعجبون

وارسلت فينوس عينها الفاحصة فى الملأ ، فرات لياندر انعاشق يرنو الى هيرو الراهبة ، وتكاد عيناه تلتهمانهـــا التهاما ، ولاحظت ان هيرو منصرفة عن الفتى المسكين ، لا تكاد تعيره نظرة ، ولا تمنحه التفاتة ، وهومع ذاك مشرئب اليها ، ينظر نظرات كلها عبادة ، وعيناه مغرورقتان بدموع تكاد تنهمر

وتحرك حنـــان الحب فى فؤاد ربة الحب ، وأقسمت لتعاونن فى هذا المشروع الغرامى العظيم !!

وذلك ان فينوس لم تكن تجيد الحب لنفسها فقط ، بل كان يثلجها ويملؤها غبطة ان ترى الى عبرات المحبين ، وتسمع الى رنين القبل فى شفاه العاشقين ؛ فأشـــارت الى ولدها كيـوبيد ــ رب الحب ، وصـاحب السـهام الذهبية ، والقوس ذات الوتر العرد ــ فأقبل عندها ، والقت اليه اوامرها ..

فوتر (١) كيوبيد قوسه ، وتخير واحدا من سهامه ، وانتهز فرصة من هيرو كان نظرها متجها فيها الى لياندر ، وارسل الى قلبها السهم الذى يحمل رسالة الحب ، فدخله غير مستاذن ، وملأه لوعة وصبابة .. وجنت للحظتهـا بالفتى ..

وتخير كيوبيد سهما آخر ، وارسله هدية حارة ، دامية ، الى فؤاد لياندر . فما كاد يستقر فيه ، حتى أحس الفتى انه لم يغد واحدا من هذه الاجسام الفانية الهالكة بعد ، بل هو قد صار طيفا نورانيا ، واحس مع ذاك بحب غامر لم يكن له به عهد من قبل ، جعله يفنى فناء تاما فى هيرو

(١) أى ركب بها وترها

الراهبة ، التى نظر فألفاها تلتهمه هى الاخرى بعينيهـــا وقلبها التهاما !

لله يا حب ما اجملك ، وما آبر فينوس بعبادك !

ودلف لياندر نحو المنصة ، وتمتم بكلمات خافتـــة . (كأنما هى بث الورد للمطر !) يفهمها المحبون وحدهم ، حين يتكلمون بأطراف الشفاه والعيون ، فعلمت هيرو ان حبيبها يقرئها حبه ، ويسرها هيامه ، ويرجو منهـــا أن تمنحه ميعادا يلقاها فيه على حدة ، ويعبدها خلاله على انفراد ! ..

وارتبكت هيرو ، وتصارع فى نفسها الخوف والحب ، الخوف من ان يلحظ احد ان راهبة فينوس تصبو ، وبذلك يهوى احترامهما الى حضيض السخرية ، حينما يفتضح الحب الذى تكتمه فى صميمها للياندر ، والذى اثاره فيها سهم كيوبيد ، ولم تر الا ان تنهر العاشق الملح لينصرف ، ولكنه ما يزداد الا تعلقا بها ، وتشبثا بما طلب اليهـــا ، ورجاها فيه ، وتكون هيرو قـد بلغت حالة بين الهيـام والاشفاق لا تحتمل ، فتهمس اليه ان ينتظر حتى ينصرف الناس . فاذا انصرفوا ، خلت اليه ، وحدثته حديثا موشى بالورد مبللا بدموع الحب ، يختلط فيه انين الآهات برنين الموسيقى . وتذكر له ان اتصالهما سيظل حبا فى حب ، وبكاء فى بكاء ، ولوعة فى اثر لوعة ، وزورة مختلســـــة تعقبها زورة مختلسة : « لانى راهبة كما تعلم : وانا خادمة هذا الهيكل الفينوسى المقدس ، وسأظل عذراء ابد الدهر ، فان ينتهى حبنا الى هذا الزواج الذى اوثره واتشهاه . فاذا كان الغسق يا حبيبى ، وتألق النجم فى كبد الســماء يردد أناتنا ، فاقصد الى شاطىء البحر عند ابيدوس ، واخلع ملابسك : ثم خض عباب الهلسبنت حين أعطيك اشارة من مصباحى ، حيث اكون فى برج قصرنا المشرف

على البحر عند اقصى حدود سيستوس . فاذا وصلت ، وستصل سالما فى رعاية فينوس ، فهلم الى فى البرج نلتذ آلام الحب ، ونتغن اشجان الهوى ، واضعة راسى على صدرك ؛ او واضعا راسك على صدرى ؛ شاكيين الى الآلهة مابنا من برح ، حتى يطلع الفجر فنفترق ، وتعود ادراجك الى الشاطئ الاسيوى سابحا ، فاذا كان غد ، عدت لافنى فيك واغمرك بالقبل ، ولا قرأ فى نفسك ،وتقرأ فى نفسى ، كتاب الحب وآى الطهر .. وبوركت فينوس ! »

ولقد آثرت هيرو خطة الحذر فى صلتها الغرامية بليآندر ، لان شطئان الهلسبنت كانت حراما على السفائن والزوارق وسائر الجوارى ، بعد ساعة من غروب الشمس ، فلو قد ركب زورقا وعبر به البوغاز ، لعرض نفسه لاخطار جسام ، من بينها عقوبة الاعدام دون محاكمة ! لذلك لم يكن بد من أن يقطع البحر سابحا كما رسمت له هيرو ..

« معبودتى ! سأخوض العباب فى سبيلك »
« واطوى بحار الجحيم لو انها تحجزنى عنك »
« فلا الموج جياشا باللهب ، ولا الاعماق تقذف بالحمم »
« ولا الفزع الاكبر فى الارض أو فى السماء ، لا هذا ولا »
« ذاك يحول دون لقائنا يا معبودتى ! (١) »

***

فلما كان غد ، وتوارت الشمس بالحجاب ، واقبل ليل العاشقين بشكواه ونجواه ، يمم ليآندر شطر البحر ، ووقف فوق رمال الشاطئ كأنه يعدها ، ولبث يرقب البرج على العدوة الاخرى ، وفى قلبه أمل مضطرب ، وفى نفسه قلق مستعر ، وملء يديه منى تملأ العالم بأسره !

وظل يذرع الشاطئ جيئة وذهوبا ، وهو حين يروح أو

---

(١) من أدوين أرنولد

حين ينثنى ، يحملق فى البرج المشيد لا تريم عيناه عنه .
وكانت الرياح تدمدم فى جنبات الاكام الممتدة على الساحلين والموج يزخر فى غيران طوروس الشامخة ، والبحر يقذف سراطينه على الكثبان البعيدة النائية ، والسحب تتجمع وتتفرق كأنها موج الظلماء فى خضم السماء ..

وفجأة لمح لياندر بصيص النور فى كوى البرج الشاهق، فانفلت من ثيابه كأن الشعاعة تجذبه ، ولم يعنه أن يمزق هذا الكم ، ويشق ذاك الجيب ، ولم يبال أن يقـــذف بالقميص هنا وبالبرد هناك ، ثم ينقذف فى الماء ويأخذ فى سباحته ، ترفعه موجة حتى ليحسب أنه يمسك النجم ويلمس السماء ، وتخفضه موجة حتى ليخال البحـــر ينشطر بحرين ، ويهوى فى أعماق القرار يؤانس التريتون ويجالس الاوسيانيد (١) !!

وكانت فينوس تنظر من علياء الاولمب وتلهو ..

ما برح يصارع البحر والبحر يصرعه ، وما برح يتقدم الى أمام ويسحبه التيار الى وراء ، وكلما خانته قواه نظر الى البرج يتزود من بدره قوة ، ومن القبل الحارة التى تنتظره ثمة دفئاً ونشاطا مجددا !

وبلغ الشاطىء ..

ووجد هيرو تنتظره كأنه الامل المرتقب ،والمنية المرتجاة، فهرعت اليه واستقرت فى حضنه ، ولبثت تتسمع الى دقات قلبه الواجف الذى يخفق - لاول مرة - بموســـــيقى الحب ! !

« وامتد فم الفراشة المرتجف ، يرشف رحيق القبلة الاولى من الثغر الحبيب الذى تفتحت عنه جلنـــــارة الحب (٢) »

---

(١) التريتــون : فتيــان البحر . والاوســـيانيد : عرائس المحيطـات
(٢) من لورد بيرون ، والجلنار : زهر الرمان الاحمر

وتمزقت السحب ، وتكشفت السماء ، وأطلت النجوم ترنو الى العاشقين المدلهين يتباثان ويتشاكيان ، ويأخذان في لذة الهوى الطاهر ونعيم الحب البرىء !!

وكانت فينوس تنظر من علياء الاولمب وتلهو ...

ونسمت في الافق الشرقى انفاس الفجر ، فنهض الحبيبان يودع أحدهما الاخر ، ويتزودان للنهار الطويل من زاد الهوى نظرات وقبلات !

وفصل لياندر ، وأطلت هيرو من الكوة الصغيرة تنظر اليه وهو يداعب الموج والموج يداعبه ، ويلبس الزبد والزبد يلبسه ويخلعه ...

وفينوس تنظر وتلهو ..

***

وأشرقت الشمس وتوارت ، وأقبل الليل وتنفس الفجر ، وعصفت الريح أو هبت رخاء ، والتمعت الشعلة تضيء للعاشق ظلمات العباب ... واطمأن البحر الى صاحبه حتى خاله أيسر عليه من ظهر الارض ، فكان يطويه الى منية نفسه وهوية قلبه ، في كل موعد منتظر ، ثم يؤوب على متنه حين ينصدع عمود الظلماء ، وكأنه يمتطى من ظهور الموج الصافنات الجياد ..

وكان فجرا شاتيا يكاد سنا برقه يخطف الابصار ، وزمزمة رعوده تهد جوانب الافق ، وكان البحر يتقلب ويرتعد كأنه زلزلة تأخذه من أعماقه . فأوجست هيرو خيفة على حبيبها ، وتعلقت به ، وراحت تغمره بالقبل ، متوسلة ضارعة ، ترجوه أن يبقى بجانبها ولا يجازف بحياته في هذا اليم المصطخب ، وهى تدبر له مخبأ يأويه ذلك اليوم ، حتى تسكن العاصفة ، وينام الماء ...

وثارت النخوة في نفس لياندر ، وشاعت الكبرياء في

جسمه القوى المقتول ، وأنف أن يجبن أمام الطبيعـــة الساخطة الغضبى ، فطمأن هيرو واحتملها كالحمامة في يديه الجبارتين ، وطبع على شفتيها المرتعشتين قبلة تجمعت فيها روحه كلها ، ثم انفتل من بين ذراعيها الضعيفتين ، وهرع الى البحر فخوض فيه ، ملتفتا بين برهة وأخرى ، محييا البدر الصغير المشرق عليه من الشاطيء ...

وفينوس البارة تنظر من الاولمب وتلهو ...

واحس فى منتصف الطريق برعشة واعياء ، ولكنه كان يهتف باسم هيرو مرة ، وباسم فينوس أخرى ، فتنشط الثمالات القليلة الباقية من قوته الفانية ... ورثت لحاله ربة الحب ، فنفخت فى ذراعيه المجهودتين ، حتى وصل الى شاطيء أبيدوس مهدودا محطما ... وتهالك على نفسه ، فوصل الى منزله ، وأوى الى فراشه ، ليحلم بالموت المحقق الذى نجا منه منذ ساعة ...

***

وغابت الشمس ، ولكن العاصفة ما برحت تزداد شدة وعنفوانا ، والبرق ما فتيء يطوى السماء ، وكان كل شيء ينذر ليأندر بسوء المنقلب ومع ذلك فقد نهض غير مستيئس وقصد الى الهلسبنت ، فوقف بشاطئه يبتسم للاهوال التى يضطرب بها بطنه ، ثم لمح الضوء ينبعث من كوى الكوخ.. فخلع ملابسه ، وبدأ رحلته ...

وكانت فينوس لا تنظر ولا تلهو ..

لانها كانت عند حبيبها أدونيس الراعى الجميل تستمتع به ، بعد اذ فضحها أبوللو فى حبيبها مارس

ولم يبل ليأندر من البحر ما بلا هذه الليلة ... فلقد كان الموج كأنه ألواح من الثلج تتكسر على ظهر الفتى المسكين ، وتصدع ذراعيه وترتطم برأسه ...

ولقد كان الماء هذه الليلة كأن شيئا من الصبر قد ذاب فيه ، بعد اذ كانت ملوحته تستحيل شـــهدا فى فمه ، وعسلا مصفى !

ولقد كان البرد ينهل من السحب القاتمة ، والصقيع يساقط كندف القطن الابيض ، فيعلق بشعر لياندر ، وينسج فوقه قلنسوة من برودة الموت ..

وجاهد العاشق ...

وسبح باسم هيرو بين موج كالجبال ، وليل كلـــه ظلمات ....

وا أسفاه !!

لقد نظر المسكين الى البرج يتزود من نوره . ولكنه لم ير الشعاعة تتألق كما عودته ...

لقد أطفأتها الرياح الهوج ، فأطفأت فى قلبه بصيص الامل ..

واستولى عليه خور الفجر السابق ، ودهاه القنوط فى عضلاته ، فيئس منها جميعا ... وضاعف النكبة شرقه بالماء حين أراد أن يهتف باسم هيرو !

فغاص ! ...

ولفظه اليم جثة هامدة .. ثم ابتلعه ، ثم لفظه ..

ثم انتصف الليل ، وهيرو المشوقة حاملة مصباحهـــا الخافت ، بعد اذ أشعلته ثانية ، ولكن الساعات تمضى .. ولا يصل لياندر ....

وتنفس الصبح ، فسارعت الراهبة الهيمانة الى البحر ، وحملقت فى الماء .. فأبصرت الجثة الحبيبة ترتطم بأصل البرج ، كأنه حنين الجسم الى أحلام الروح !!

وصعقت هيرو ..

ودارت بها الارض ، وانطفأت فى عينيها مباهج الحياة بانطفاء أملها المشرق وبدرها البسام ، فألقت بنفسها فى الاعماق ! ..

وما هى الا لحظة ، حتى كان الحبيبان مسجيين على سرير الماء ، ملففين في أكفان الزبد (١) !

(١) شغف لورد بيرون بهذه الاسطورة فنظمها ، وذهب بنفسه الى الدردنيل فتمثل ليانلر وعبر البوغاز ، وتمنى لو غرق مثله هناك ، فلا يفوتن القارىء الاطلاع على تحفة بيرون فى ديوانه



هـــرقـــل

كان قلب الاله الاكبر شيوعية في دولة الحب ...

ولم يكن يقتصر هواه على ربات الاولمب فحسب ، بل كان يفتتن بكل حسناء من بنات حواء ، وطالما وصل أسبابه بأسباب الغيد الاماليد من ظباء دار الفناء ... هذه الحياة الدنيا ! ..

ولقد كانت زوجته حيرا تقعد له بالمرصاد . لماتعرف من تصابيه ، ولقلة ثقتها فيه ، فلما علق الفتـــاة الفتانة « ألكمين » احدى أميرات هيلاس ، كان يبالغ في الحـذر حتى لا تفجاه زوجته معها كما فجاته مع الحسناء « يو » من قبل

ونعم الحبيبان بحياة راضية ، ووضعت ألكمين طفلها العاتية الجبار هرقل ، وما كاد النبأ يذيع في دولة الاولمب حتى ثارت ثائرة حيرا وأسقط في يدها ... لانها لم تعد تستطيع أن تنتقم لكبريائها من منافستها في قلب زوجها

(1) Hercules أو Heracles ويسميه بعضهم Alcides وعربه العرب هرقل

(زيوس) : تلك المنافسة التي ارتفعت الى مرتبة الآلهة، بعد اذ وضعت غلامها ابنا لسيد أرباب الاولمب

ولكنها ، وهى هي المجبولة على الشر دائما ، آلتالا أن يرتد نور الحياة المتلألىء ظلاما فى عينى الام ، وذلك بالفتك بوليدها المحبوب ، فأمرت حيتين رقطاوين من أبالستها أن تسعيا الى مهد الطفل ، وأن تندسا فيه ، حتى اذا سنحت لهما فرصة أودتا بحياته ، وعادتا بأثارة منه تشهد على انفاذ ما أمرتا به

وسعت الحيتان حتى استقرتا فى المهاد الوثير ، وانتهزتا غفلة من الخدم فانقضتا على الفريسة الصغيرة ، وأوشكتا أن تظفرا بها ...

ولكن هرقل الصغير الهادىء افتر عن ثغر شتيت مشرق وقبض باصابعه الصغيرة الدودية على رأس كل من الحيتين وبضغطتين هائلتين حطم عظامهما جميعا ، وكان الخدم قد أقبلوا ، فلما شهدوا الافعوانين ، صرخوا واعولوا ، بيد أنهم بهتوا وطار الصواب من أدمغتهم حينما رأوا أن الوليد الصغير ، المنبطح على ظهره ، يضرب برجليه ها هنا وها هنا، قد قضى على الحيتين العظيمتين والقاهما ضحيتين غير مباركتين على مذبح قوته الخرافية !!

وقدمت الكمين فضمت الى صدرها الحنون طفلها الهائل ! فرحة مستبشرة ، وطبعت على جبينه الضاحك قبلة حملت اسمى معانى الامومة

وذهلت حيرا عندما سمعت بما صنع الغلام بشيطانيها ، وأيقنت ألا سبيل الى القضاء عليه ، ولكنها لم تيأس ، واقسمت أن تنثر الشوك فى مستقبله القريب ، وتبث العراقيل فى حياته الجائية

وشب هرقل ...

ونشأه مؤدبه « شيرون » زعيم السنتور (١) ، تنشئة حربية حافلة ، ولقنه كل ما تحتاج اليه حياة الفرسان من تقشف واخشيشان ، فمهر هرقل فى زمن قصيـــير فى استعمال الاسلحة بأنواعهـــا ، ونبغ فى جميع صنوف الرياضة والعاب الفروسية والقوى

وكان شيرون نفسه يعجب بهذا الجســم الحديدى ، يمسكه العضل البارز ، ويزينه الكيان المفتول ... وكان اذا أراد تدريبه على المصارعة والعاب القوى، آثر أن يشركه فى نزال مع الثيران والعجول ، والضـــخم ذى الايد من بهيمة الارض . وكان هرقل لا يخشى شيئا من خصومه العجماوات ، بل كان يقبل على مصارعتها بثغر بسام وقلب طروب ، فلا يدعها حتى يلقيها على الارض معفرة بالتراب! وخشيته الحيوانات جميعا ، فكانت تجفل من طريقه كلما رأته مقبلا نحوها ، لطول ما جربت من بطشــه وشديد بلائه!

وكان الفتى كلما ازداد قوة، وذاب الحديد فى عضلاته، ازدادت حيرا تغيظا ، وهاجت فى فؤادها الاحقاد !

ولم تعد تطيق صبرا على هذا الخصم العنيد ، ومادت بها الارض ، واصبحت كأن يعاسيب العداوة تطن فى رأسها تغريها بهرقل ، ومن يلوذ بهرقل ، فانطلقت الى زوجها ولم تزل به حتى أصدر ارادة أولمبية تقضى أن يصبح هرقل خادما لابن عمه النذل الخسيس : يوريذوس أمير آرجوس، وأن يظل فى خدمته بضع سنين ..

وانتهى هرقل من تلمذته على شيرون ..

وانطلق يكابد الحياة كفن قاس ملىء بالرغائب ، مفعم بالمجازفات . فبينما كان يعبر طريقا معروشـــا بفروع السنديان ، بين غابتين عظيمتين ، اذا غانيتان جميلتان

(١) السنتور جبل خرافى نصــفه الاعلى نصف رجل والنصف الاسفل نصف حصان

تعترضانه وتأخذان عليه سبيله ... فأشاح عنهما ، يحسبهما من المسكينات ملفوظات البغاء ، أو من أولئك اللائى يتخذن الفسوق حرفة قذرة لعيش وضيع . لكن الفتاتين تشبثتا به ، وأبتا الا أن يقف معهما هنيهة ، يتخير منهما واحدة تكون رائدته فى هذه الحياة ، تهديه وترشده وتأخذ بيده فى سبلها المتشعبة

وكانت احدى الفتاتين ، (كاكيا) شيطان الاثم وابليس الفجور فى هذه الارض . فتقدمت اليه متبرجة متهتكة ، تغمز بهذا الطرف ، وتبتسم بذاك الثغر ، وتهز ما سكن من الجليد ، وتمط ما اشراب من العنق وتحسر عن الساقين ، وتكشف عن الذراعين ، وهى تقرقع بضحكات مخنثة تثير الاشتهاء فى نفس الشاب ، وتستولى بها على مشاعره : « انا حبيبتك كاكيا ، أجمل غادات هيلاس ومفتحة الورود فى خدود العذارى ، أضع قلبى وجسمى بين قدميك يا هرقل العزيز مطية الى الفردوس الذى تجد فيه ما شئت من نعيم وما تمنيت من لذة .. فاتبعنى أجعل الدنيا كلها من حولك سعادة ، وأصير طريقك انى ذهبت فى الحياة منضورة بالورد زاهرة بالرياحين ... هلم الى نحى حياة كالحلم ، بعيدين من عناء العالم ، نائمين عن شقاء الدنيا ، لانفتح أعيننا الا على متعة ، ولا نرهف سمعينا الا لموسيقى ، ولا نغلق قلبينا الا على نعيم ...

مالك ولوجه الحياة المربد يا حبيبى هرقل ؟ ان الدنيا فرصة سانحة فانتهزها ، وان العمر قصير فلا تلق به بخورا فى نار الباساء ، وان الايام لتخب بنا دون ان نشعر بها ، فلم نحاول ان نلبسها بالجد فيها هذا اللبوس الأسود الحزين القاتم ؟ ولم لا نرسلها فى وشى وافواف ؟ لم لا نستمع دائما لما توحيه الينا قلوبنا ونفوسنا مادامت الدنيا مخلوقة لها ؟

لم تطرق هكذا يا حبيبى ؟ أمتعب انت ؟ هات رأسك اذن ، ودعه ملقى على صدرى الجميل الخصب ...

ولكن الفتى نفر نفرة بادية ، وارسل نظرة فاحصة الى (أريتيه) الفتاة الأخرى ، التى كانت تقف عن كثب ، مصغية الى حديث كاكيا ، مشفقة على الشباب المسكين

أما أريتيه هذه قربة الفضيلة ، ونفحة السماء ، وهادية البشر ومنقذتهم من شرور كاكيا ...

وسألها هرقل : « أنت أيتها الفتاة ، بم تشيرين ؟ »

وقالت أريتيه ، وهى تكفكف عبرة غالية : « أنا لا أشير عليك بشىء أيها الصديق الا بالحذر من هذه الغادة ! انها توشك أن تضلك وترديك ! »

فغيظت كاكيا وأخذها الحنق ، وأجابت فى غلظة ومخاشنة : « أضله وأرديه ؟ هاها ... وأنت ؟ اتسلكين به سبيل الفضيلة التى زرعت ارضها قتادا ، وبذرت فيها أنياب الذئاب ؟ اسمع يا هرقل ، اصغ الى يا حبيبى ، دعك من هذه الفتاة المحتشمة ... تول عنها ... انها تغطش حياتك لو تبعتها ... »

وتبتسم اريتيه ابتسامة هادئة وتقول : « ان الآلهة يا هرقل قد زودتك بهذه القوة الكامنة فى بنيانك لغرض أسمى من جميع الأغراض الحيوانية ، وقد كان أجدى للخير العام أن تخلق ثورا ذا خوار من ان تودع كل هذا الحديد فى عضلاتك ، لو لم تكن قد أعدتك لفعال جسام لن يؤديها غيرك . اجل ! ان طريقى لا ينمو بها الا الشوك ، وانها تدمى الاقدام وتجهد السائرين ؛ ولن ترى فيها زهرة ولا ريحانة ، بل لن تسمع فيها عصفورا يغنى ولا بلبلا يغرد ، وبالعكس ؛ قد تقتتل فيها مع السباع والضوارى والثعابين ، ولكنك فى آخر كل نصر ، وعقب كل ظفر ، ترى جنة من الرضى تحفك بالزهر ، وترقص بين

يديك بالغوانى والقيان . اما ما تغريك به هذه الانثى الهلوك ففيه حتفك ، فحــذار • وليس أحب اليــك ، كرجل ، كان له الشرف أن يكون ابن اله ، من ان تثبت للآلهة انك جدير بما انتدبتك له »

وسكتت اريتيه ، ولكن كاكيا لبثت تدل وتتيه وتتبرج ، تحاول الفوز بهذا القنص العزيز ... غير ان نخوة الرجولة ثارت فى قلب هرقل ، فانتهر الغانية الغاوية واغلظ لها ، ثم تقدم الى اريتيه فتناول يدها الصغيرة الحلوة ، وطبع عليها قبلة تفيض وقارا واحتراما ، ثم قال لها بصــوت متهدج خافت : « هلمى بنا يا فتاة فلن اخشى فى سبيلك بأسا ولا رهقا »

وانطلقا ... وغابا فى ظلام الغابة ...

ولم يبرح هرقل معينا للضعفاء ، مغيثا للملهوفين ، اذا راى مظلوما انتصف له من ظالمه ، واذا لقى جائعا نزل له عن زاده ، ولم يبرح ينصر الفضيلة انى سار ، ولم تبرح الفضيلة تمشى فى أثره ابان ولى ، حتى ضاقت الدنيــا بحيرا ، ولم تحتمل هذا الغار من المجد يكلل هامة خصمها العظيم ، ولا سيما بعد أن أتصل بالملك كريون ، ملك طيبة ، وزواجه من ابنته الجميلة ميجارا

لقد احب هرقل زوجته حبا جما ، وأحبته هى كذلك واخلصت له ، وكانا يذهبان الى الغابة القريبة يتناجيان نجوى الحب ، ويرشفان كؤوس الهوى ، ويعــودان مع الاصــيل فيسامران الملك الشــيخ ، ويدبران معه أمور المملكة ..

ثم مكرت حيرا مكرها ! ...

لقد صممت على ان تسلب هرقل رشده ، وتتركه يهيم فى الارض ينطح براسه الصخر كما يفعل الضلال المجانين . فبينما كان غارقا فى احلام السعادة الى جانب زوجته ،

آمنين مطمئنين ، اذا حيرا الآثمة تندس فى ظلام المخدع ، وتنفث سحرها الفظيع فى اذنى هرقل ، وتمضى لشأنها ، فتختبىء فى الحديقة خلف دوحة كبيرة من دوح الشاهبلوط .. وتنتظر ثمة ريثما يصحو الزوج المسكين ، فتشهد المأساة التى تتفزع من هولها الارض وتميد الجبال ! ..

واشرقت الشمس !

واستيقظ هرقل ، ونهضت ميجارا ، ولكن نارا كانت تقدح الشرر فى عينى البطل ! وزبدا حارا كان ينقذف من فمه المخرف ! واصواتا كأصوات الشياطين كانت تدوى فى راسه الضخم ...

والدم ! ...

لقد كان ينبثق من كل جارحة فى جسمه الارجوانى ، فينضح اللحف والأرائك ، ويسيل على أديم الغرفة المغطى بالدمقس !

وذعرت ميجارا ، وصرخت صرخات راجفة تدعو اباها ..

ولكن هرقل المسحور ينتفض انتفاضة تزلزل اركان القصر ، وينقض على زوجته التعسة كأنه ضبع : «تعالى يا خائنة ! أين كنت طيلة الليلة الفائتة ؟! آه اجل ! كنت تتمرغين بين ذراعى عشيقك الجبان ! الويل لكما ! شرف هرقل تلغ فيه الكلاب ! »

وبضغطة قوية من يديه الصارمتين ، على عنق الفتاة المنكودة يتركها جثة هامدة ، قربانا للموت فى عنفوان الصبى ، وضحية للردى فى ريعان الشباب ...

وانطلق يصرخ فى ردهات القصر ، وهرول يزمجر فى حنيات الحديقة ، ثم اطلق ساقيه للريح ...

وفى قنة جبل تزمزم الأعاصير فى جنباته ، جلس هرقل المسكين ليثوب اليه رشده ، وليذكر أنه قتل زوجته

المحبوبة فى نوبة جنونية ، فينشج ويبكى ! ...

وتكون غمامة فوق راسه تظله من وهج الشمس ، فتنشق عن اله كريم ، هو هرمز رسول السماء ، حمل الى هرقل تلك الارادة الاولمبية القاسية ، التى اصدرها زيوس ، متأثرا بالحاح زوجته الآثمة حيرا ؛ والتى تقضى ان يظل هرقل فى خدمة ابن عمه يوريذوس أثنى عشر شهرا يصدع خلالها بما يؤمر !

ــ « لقد كان عليك أن تظل فى خدمته بضع سنين ... ولكننا ألحفنا على رب الأرباب فقصر المدة ، واختزلها الى ما ترى ! »

ــ « يختزلها أولا يختزلها ؛ لقد أصبحت الحياة سجنا بدون ميجارا ! »

ــ « عليك بالصبر يا صديقى ، فقد تفيدك طاعة الآلهة .. »

ــ الآلهة التى لا تحسن عملا غير هذا العبث ! .. »

ــ « صه صه ... هلم الى يوريذوس ؛ وستكون حرا بعد سنة واحدة ... »



وجن جنون هرقل لهذا القضاء الأولمبى الاعمى ، وفر من هرمز فى مسارب المياه ، ولجأ الى الوحوش يلتمس لديها الصبر الجميل والقلب الرحيم ، ولكنه عبثا حاول الفرار مما كتبته السماء عليه ، وهنا ، بدت له صديقته ربة الفضيلة أريتيه ، فنصحته ، ولم تزل به حتى أقنعته بخدمة يوريذوس ؛ فذهب اليه كسير القلب مهيض الجناح ، كأن جبلا من الهم والسخط مستقر على قلبه

وقال له يوريذوس : « وأخيرا وصلت الى آخر الدرب يا هرقل ! ... ان أمامك أمورا فأعد لها عدتك ، فما دموعك على ميجارا بمجدية عليك شيئا .... »

وحدجه هرقل بنظرة يشتعل فيها الغضب وقال له : « اجل ؛ لقد وصلت الى آخر الدرب ... ولكن ليس لك شأن بدموع أذرفها من أجل ميجارا ... ألا فاذكر حاجتك التى أرسلتنى الآلهة لاقضيها لك ، واقصر ! »

وضحك يوريذوس حتى كاد الرعد يخرج من بين شدقيه ، وقال : « حاجتى ؟! ان لى لحاجات ما احسبك تستطيع قضاء واحدة منها . وكيف تصبر مثلا على سبع نيميا الذى يقطع الطريق الى غاباتها ذات الكنوز والاذخار ؟»

وقال هرقل : « سبع نيميا أو الف سبع كسبع نيميا ، عليك أن تكلفنى ولو بهدم السماء افعل ما تكلفنى به ... والآن ، اذا جئتك براس هذا السبع ، اكون طليقا ؟ »

ـ « تكون طليقا ؟! ان امامك اثنتى عشرة مسالة ، راس سبع نيميا أولها وايسرها يا هرقل ، فهلم اذن ، وسنرى ... »

مغامرات هرقل



١ ـ الى غابة نيميا

كانت الغابة تثير الرعب فى قلوب الجن ، وكانت الظلمات تضرب فى انحائها فتجعلها تيها يعج بالافاعى ، ويضج بالتنانين

وكان ملكها الضرغامة يربض فى المغارة المفزعة ، المنشقة كالقبر فى اول الطريق المؤدى اليها ، وكان يخرج فى اول الليل فيصول فى القرى المجاورة ويجول ، وكان الاهلون التعساء يلقون من بطشه وشدة إذاه الشيء الكثير ، فلم يكن يبقى على دابة فى الارض ، ولا انسان فى الطريق . ينقض كالقضاء على فريسته فيجندلها . ثم يحتملها الى كهفه فيلتهم منها ، وينبذ الباقى لخدمه وعبيده الكثيرين من سائر السباع

ولم يكن كهذه الاسود الضئيلة التى يتحدث عنهـا السودان هذه الايام ، بل كان اسدا فى جرم الفيل وقوته ، ورشاقة النمر وخفته ، وخباثة الثعلب وحيلته ... يثور فينقدح الشرر من مقلتيه ، وتمور الارض وتسجد الجبال بين يديه . وكانت له لبدة نسجتها له الآلهة من اشواك الجحيم ، وبطنتها بحمى المنية !

وكان زئيره يقصف كالرعد فيزلزل شعاف الجبال ، ويهز جوانب السماء ، ويهيج الجنون والفزع فى رؤوس الوحوش ، فترى الى الغابة كأنها ترقص على فوهة بركان !!

ولقى هرقل أصدقاءه فنصحوا له الا يلقى هذا الأسد ، وأن يضن بشبابه ... على أنيابه ، وبماء الحياة المتدفق فى بردتيه ، على جمر الغضى المتأجج فى حدقتيه ...

ولكنه ابى !! وانطلق كالعاصفة الى حيث يربض ابو أسامة ... وانه لعلى خطوات من الكهف ، وانه لينظر الى السيف الذى كان الى هذه اللحظة فى يمينه فلا يجده !!

« أين ؟ اين سيفى ؟ ... آه ! هاها .. لقد سرقته حيرا !! ارادت الخبيثة أن تجردنى من السلاح الذى انازل به خصمى ! خاب فألك يا حيرا !! سأنازله بغير ما سلاح ... سأحطمه .. سأشد لسانه حتى انتزعه من غلاصمه ... الى يا سبع نيميا .. الى يا ملك الغابة وسيد وحوشها .. الساعة ساعتك .. لا مفر لك يا أبا لبدة ! ... »

وطفق هرقل يرعد كالمجنون ، وكان سبع نيميا نائما فاستيقظ على هذه الصيحات المدويات ، ووثب وثبة هائلة كان بها امام هرقل ، وجها لوجه ..

وبدأت الزوبعة ...

والتقى الجبل بالجبل ، وتصارع الجباران ساعة ، لا هذا ينال من ذاك ، ولا ذاك يصل الى وطر من هذا ..

وأقبلت وحوش الغابة تشهد المعركة وتتعجب ... وغضب ابوأسامة ، وهاله الا يقوى على رجل بمفرده يكاد يصرعه ...

وتعب هرقل .. ونال منه الجهد ، ورأى أن لابد من آلة ، فدار دورة اقترب بها من شجرة باسقة ، فانتزعها والقى بجذعها فى شـدقى الأسد ، ثم أسرع فقبض على لسانه العظيم فانتزعه ، وانقذف الدم يتدفق من هنا وهناك ... وتسيل به أودية الارض !!

وكأن نشوة الظفر قد ضاعفت قوة هرقل ، فقبض على فكى الاسد ، وشد على الرأس الكبير فتحطمت عظام المخ ، وخر ملك الغابة يتقلب فى لجة من دمه الغزير !

وهمهمت الوحوش مشدوهة !

لقد قتل ملكها ... فلا خوف عليها بعد اليوم ! ستكون حرة طليقة ، تجيء وتروح ، وتقتات لنفسها غير منتظرة ما كان ينبذه لها أبو أسامة !!

ونظر هرقل ، فرأى سيفه وراء ظهره !!

لقد جاءت به حيرا بعد اذ شهدت من جبروت البطل ما بهرها وتناول السيف باسما ، ثم تقدم الى الاسد فسلخ جلده الكبير ، وأبقى على اللبدة الهائلة ، وعاد أدراجه الى يورينوس ، ملتفعا دثاره الغريب الذى كان الى لحظة قريبة يضم جثمان ملك الغابة وسيد وحوشها

٢ - مع الافعوان الهائل « هيدرا »

ولقى صديقه يولوس ، وتحدث عما كان من أمره مع سبع نيميا ، فأخذه العجب ، ونذر ليصحبن هرقل فى جميع مجازفاته . ثم فصلا ، وما كادا يفعلان حتى قابلهما رسول الملك برسالة تأمر هرقل بالتوجه الى مستنقعات ليرناحيث الأفعوان الارقم هيدرا : « ... فاذا لقيته ثمة فعليك به ، ولا تعودن الا برأسه . فقد حدثنا من عرفه أنه لا يبقى على دابة ولا بهيمة ، ولا يعفى من القتل أحدا ... ونحن

أرنق برعاياانا من أن ندعهم فرائس لهذا الأفعوان ... »

وانطلقا ، حتى اذا كانا عند المستنقعات المترامية ، شهد هرقل حيوانا ضخم الجثة فظيع المنظر ، يتقلب فوق صفحة الماء المغطاة بزهران اللوتس وأوراقه العريضة النامية . وايقن أنه هيدرا ، فتناول قوســـه الكبيرة ، وأرسل الى الوحش سهما يوجه به ، ليخرج من الماء ، وليأخذ معه في نزال وقتال ...

وتم له ما أراد . وخرج هيدرا الفظيع يقلب رؤوســه السبعة • ويقلب في كل فم لسانا طوله ذراعان ،وبرزت انيابه تنفث سمها الزعاف ، وأرسلت العيون الصفيرة البراقة شررها ، وشرع الفحيح المرعب يصم اذنى هرقل واذنى صاحبه

وبدأت المعركة ...

واستشنق هرقل سيفه الكبير المرهف ، وبضربة قاضية أطاح راسا من الرؤوس السبعة ....

ولكن ••• ياللعجب !! لقد نبتت في لحظات قليلة ، في مكان الراس المقطـــوع ، رؤوس سبعة أخرى ، اخذت تنمو بسرعة فائقة ، حتى أوشـــكت أن تساوىالرؤوس الكبيرة في حجمها •••

وريع هرقل ، وهتف بصاحبه بولوس قائلا : « أوقد النار ياصاح ، وأجج هذا الجذع فاكو به كل رأس يطيح ... انني أخشى ان ينبت لهيدرا ألف راس ! »

ونفخ في النـــار واجج الجـذع ، واخذ كلماطاح راس كوى مكانه بالنار ثم بدا له أن يدع السيف ، ويقضى على الافعوان العجيب بجذع الشجرةالذى كان يكوى به بولوس

وحدث ما لم يكن في الحسبان ••• لقد أرسلت حيرا سرطانا بحريا يعض قدمى هرقل وهو يحارب هيـدرا ،

تود بذلك لو تشغله فيستطيع الافعوان الظفر بخصمهما العنيد ... ولكن هرقل تنبه للسرطان فوطئه ، وسحق عظامه سحقا

وانتصر هرقل ....

وطفق يغمس سهامه فى دم الافعوان ليسممها ، حتى اذا أصابت رمية لا تفلتها من الموت . وعاد الى يوريذوس ثملا بخمرة النصر

٣ ـ ظبى سيرينيا

واسقط فى يد يوريذوس حين راى هرقل يختال فى بردة السبع ويتيه ، وفى قبضته القوية رؤوس هيدرا هامدة خامدة ..

وكان فى مقاطعة سيرينيا ظبى له قرنان من ذهب ، وابطلان من نحاس ، وساقان من معدن ليس له فيما نعرف من المعادن من ضريب . وكان الملوك اذا أرادوا اعجاز أحد من الناس ليقتلوه ، كلفوه باقتفاء ظبى سيرينيا وامساكه ، فان لم يفعل ، وأن يستطيع احد ان يفعل ، لشدة عدو هذا الظبى ، كان جزاؤه القتل . وقد أراد ملك ارجوس أن يعجز هرقل هذه المرة ، فأمره باقتفاء ظبى سيرينيا : « ... فان لم تعد الينا به فأنت أعلم بما ينتظرك من الموت الزؤام .. »

ولم يستطع هرقل ان يمسك الظبى ، لانه كان يعدو كزوبعة ، فما تكاد حوافره تلمس الارض الا كما تلمس السماء كف سكران ، فلجأ الى الحيلة ، واحتفر فى طريق الحيوان حفرة عميقة غطاها بوشائح رقيقة من الثلج ، وطارد الظبى حتى الجأه الى الحفرة ، ووقع فيها ، فنزل اليه واحتمله ، ومضى به الى الملك الغاشم

٤ ـ خنزير ارمنثيا

ثم امره بقتل خنزير برى مخـــرب ، كان يأوى الى غابات ارمنثيا ، ويقطع الطريق على القبائل الرحل ، ويقتل كل من تحدثه نفسه بمحاربته أو الوقوف معه فى ميدان . وكان ذلك الخنزير لا يبالى شـــيئا فى الارض او فى السماء ، وكانت بينه وبين قبائل السنتور مودة فى الشر، وتحالف على ايذاء الناس . فلما اشتبك هرقل واياه فى نزال تشيب من هوله الولدان ، وشعر الخنزير أنـه مقضى عليه لا محالة ، خار خوارا عاليا يستنجد حلفاءه السنتور ، ولكنهم لم يصلوا الى مكان المعركة الا بعد أن أجهز هرقل على خنزيرهم العزيز ، فنشب قتـــال مروع بينهما ، وأخذ هرقل البطل يسدد ســـهامه التى كان قد غمسها فى دم هيدرا ، الى صـــدور أعدائه حتى كادوا يبيدون جميعا . وأقبل شيرون ـ وهو كما علمنا مؤدب هرقل واستاذه ـ ليحسم النزاع بين قبيله وبين تلميذه ، ولكن وا أسفاه ! لقد أصماه هرقل بســـهم مسموم فأرداه وهو لا يعرفه ! فلما أدرك انه أستاذه ، أقبل عليه ، وعنى به ، وجمع من الاعشـــاب الطبيـة ما حسب انه ينقذ استاذه من براثن الموت ، ولكن بلا جدوى ! ومات شيرون ، وأهوى عليه هرقل يقبله ، وفى عينيه دموع المحبة والاعزاز

وتعاون هرقل ومن بقى من السنتور فدفنوا القتلى، ثم اقاموا قبرا مشيدا دفنوا فى ثراه شيرون ، ومضى كل لطيته ..

٥ ـ زرائب اوجياس ملك اليس

كان الملك اوجياس ، ملك اليس ، يقتنى عددا عظيما

من الماشية والخيل والغنم ، تزدحم فى زرائب متجاورة مع آلاف من الخنازير مؤلفة . وكانت النظافة فى هذه الزرائب مهملة اهمالا تاما ، حتى لكانت الروائح الخبيثة تنتشر منها فتصدم انف عابر السبيل على فرسخ او فرسخين ، وانتن الروث فاحدث طاعونا مروعا اوشك ان يأتى على جميع الاهلين ، وقرر الاطباء ان لاسبيل الى مقاومته الا اذا عنى بتنظيف زرائب الملك .. وعلم يوريذوس بما شغل بال صديقه ملك اليس ، فابتسم ابتسامة صفراء ، وقال لهرقل وهو يحدثه حديث السنتور : « اذن فعليك أن تتوجه الى صديقى آوجياس ، ملك اليس ، فتنظف زرائبه مما بها من خبث ، وتكون بذلك قد اديت خمسا من المسائل الاثنتى عشرة ، التى كتبتها عليك الالهة »

وامتعض هرقل فى أعماقه ، وعبس عبوسة كادت تنفجر بالسخط على هذا الملك الغبى ، ولكنه ذكر نصيحة آريتيه ، فصدع بالامر ، وذهب من فوره الى اليس ، ليرى كيف ينظف زرائب الملك ..

وثمة ، رأى مجرى عظيما من الماء ، يتدفق من الجبل الشاهق الى يمين الزرائب ، وينحدر انحدارا شديدا حتى ينتهى الى البحر ، فبدا له أن يغير مجرى الماء ، بحيث ينصب فى الزرائب نفسها ، فيكتسح الروث ، وينجو الناس من هذا الرهق الشديد

وانقذ هرقل مدينة الملك وثروته وحياة الاهلين !

وحاول ملك اليس أن يستبقيه ليجزيه ، ولكن هرقل أبى شاكرا ، وقصد الى يوريذوس يتلقى أوامره

٦ ــ عجل مينوس

وكان نبتيون اله البحار قد أهدى عجلا جسدا

لصديقه مينوس ملك كريد ، كي يقدمه قربانا للالهة في العيد الاكبر الذى يحتفل فيه بميلاد نبتيون ، ولكن العجل راق مينوس الملك فانتقى من عجوله احسنها وضحى به مكان هذا العجل الالهى السمين ، واستبقى لنفسه هدية الاله

وغضب نبتيون ، واقسم ليكونن هذا العجل نقمة على مينوس وملئه ، فسخر عليه طائفا من الجنون ، فطفق العجل يخرب ويدمر ، ويقتل الناس تقتيلا ..

وعلم يوريذوس بما كان من مصيبة صديقه ملك كريد في عجله ، فلما قدم هرقل أرسله ليقتل العجل أو على الاقل ليقيده فيرتفع عن الناس اذاه ..

وابحر هرقل ، ولقيه مينوس فرحا متهللا ، وذهب من فوره لينازل العجل ، فكانت معمعة ، وكانت حربا عوان ..

لقد كان هرقل يحمل العجل فيرفعه ، فيخبط به الارض فتندك ، ومع ذلك ما استطاع أن يقتله ! وأخيرا اكتفى بأن صفده بسلاسل واغلال وعاد أدراجه الى أرجوس ، وودعته كريد كلها

٧ ـ خيول ديوميديز

وكان الملك ديوميديز ، ملك تراقيه ، يقتنى مجموعة طيبة من خيول السباق التي لايشق لها غبار ، ولا تباريها خيول في مضمار ، ولكنها لم تكن كهذه الخيول التي يقتنيها الناس ، بل كانت بالوحوش أشبه ، والى السباع اقرب لانها لم تكن تذوق الحشيش ولا تسيغ النبات ، بل بالعكس ، كانت لاتأكل الا اللحم تنهشه نهشا ..

وكانت تأبى لحم الحيوان والبهائم ، وتستطيب لحم الانسان وتلذه ، ولم يكن الملك القاسى يبخل عليها به . ولكي يوفر لها الغذاء الغريب ، اصدر امره بالقبض على كل اجنبى تطأ قدماه ارض البلاد بدون اذن من الملك ! فلما نمى الخبر الى يوريذوس ، ارسل هرقل لمعاقبة ديوميديز ولتخليص الناس منه ومن خيوله

وشد هرقل رحله الى ارض تراقيه ، ودخلها غير مستأذن لا مستأنس ، فلما سأله ديوميديز فى ذلك ، انقض عليه كأنه الحتف ، واقتلعه من عرشه كأنه نبتة ومضى به الى خيوله فألقاه اليها ...

وانقضت الخيول على الملك فمزقته تمزيقا ، واغتذت بلحمه الملكى الفاخر ! ! وطرب الشعب لتخلصه من حاكمه الظالم ، ونثر الورد والريحان تحت قدمى هرقل ، ومضى البطل فألجم الخيول كلها ، وساقها هدية غير مبرورة الى يوريذوس ! !

٨ ـ منطقة هيبوليت مليكة الأمازون

وكانت ليوريذوس ابنة ذات كبرياء وذات خيلاء مشغوفة باقتناء الحلى والجواهر النادرة ، تضحى فى سبيلها بسلام المملكة وأرواح البرايا ، اذا اقتضت الحال حربا من اجل ياقوتة أو زبرجدة !

وكان أبوها الافين يلبى رغباتها ولا يكاد يرفض لها أمرا ، فلما وصفت لها منطقة هيبوليت ، مليكة الامازون وما رصعت به من اللآلىء ، وثار فى نفسها فضول الذهب ، والم بها مرض الحصول عليه ، فانطلقت الى ابيها تبكى ، وتشكو المطل وقلة الحيلة ، ولو أن خزائنها

كانت تحوى نصف ثروة المملكة

وسألها أبوها ما بكاؤها ؟ فتاهت قليلا ودلت ، ثم ذكرت منطقة هيبوليت ! !

وربت الملك على كتفى ابنته ، ودعا اليه هرقل ، وامره بالذهاب الى الامازون والحصول على منطقة الملكة ، ولو أدى دمه ثمنا لها ؟ !

أما الامازون ، فقبيل عظيم من النساء المحاربات، يحيين حياة عسكرية حافلة بضروب من الشجاعة تحير الالباب وتذهل العقول .. فمنهن فريق يعمل فى الحصون ويسهر على قلاع المملكة ، وفريق للغزو ومناوشة الاعداء، وثالث يقوم بمهمة الشرط والعسس ، ورابع للعمل فى الاسطول الذى يلقى الرعب فى الشواطىء ... ...

ولا يعيش بين شعب الامازون احد من الرجال، فاذا جازف رجل وانسرق بينهن ، ترصده الموت فى كل مكان:

وكانت مملكتهن فى جزيرة نائية قاصية ، ذهب هرقل فى البحث عنها كل مذهب ، واستعان باقربائه من الآلهة ليرشدوه اليها

ونصح له أحدهم أن يدع هـــذه الرحلة القاسية الى مملكة الامازون ، ولكنه أبى ، لان مجازفاته التى يتعرض بها للهلاك ، ان هى الا ثمن الحرية التى ينشدها ويحلم دائما بها !..

ووصـــل هرقل الى المملكة ، وتحايل حتى مثل بين يدى الملكة ، فلقيته بما هو أهله من التجلة والاكرام ، كابن اله عظيم ... وابدى رغبته فى الحصـــول على المنطقة الغالية التى تزين وسط الملكة ، وتحلى خصرها ، ليقدمها ثمنا لحريته الضائعة ، للفتاة المزهوة (ادميت) بنت ملك أرجوس ...

وتبسمت الملكة ، ووعدته أن تخلعها عليه ، ليصنع بعد ذلك ما يشاء ، ثم تفضلت فدعته الى حفلة راقصة، وعشاء فاخر ...

وهنا تبرز حيرا لتمثل دورها ؟! ..

لقد هالها هذا النجاح المطرد الذى يظفر به خصمها فى كل مكان ، فتحولت الى أمازونة جميلة ، واندست بين رعايا الملكة ، والقت فى روعهن أن هرقل هو الد اعدائهن ، وانه انما أقبل ليسبى الملكة ، ليفر بها الى ملك أرجوس، وانه اتخذ المنطقة تعلة لذلك جميعا ، فثارت ثائرة الامازون ، وتجمهرن حول الملكة ، وصارحنها بما قالت لهن حيرا . فأمرتهن بالحرب . ولكن هرقل ، البطل الاعزل ، انقض كالمنية على الامازون ففرق شملهن ، وأظفرته شجاعته بهن ، ثم هجم على الملكة فاختطف منطقتها ، ونظر فرأى حيرا تشهد المعركة فوق رابية قريبة ، فأشار اليها قائلا : « وهنا أيضا أنتصر عليك ، وسأنتصر عليك دائما »

٩ ـ طيور بحيرة ستيمفالوس

وطربت ابنة الملك لمنطقة هيبوليت ، أيما طرب ، وكبرت فى نفسها منزلة هرقل ، فاستوصت به أباها خيرا ..

واستجاب يوريدوس لشفاعة ابنته فى هرقل ، فلم يكلفه هذه المرة شططا ، بل اكتفى بأن أمره بالتوجه الى بحيرة ستيمفالوس ليبيد طيورها ذوات المخالب النحاسية التى تدوم فوق الماء الآسن وتغطس فيه تصيد السمك ، ثم تذهب فتأكله قريبا من القرى، فتنتشر بذلك الامراض والطواعين ، ولم يكن أيسر على هرقل من أن يبيد هذه الجوارح ومعه قوسه المرنان،

وفى كنانته سهامه التى رويت من دم هيدرا

١٠ ـ قطعان الجريونز

وكان يأوى الى سفوح الجبال فى مقاطعة اريثيا مارد مخوف مرهوب الجـانب يدعى جريونز . وكانت له قطعان كبيرة من الماشية والغنم ، عرفت فى سائر هيلاس بجودة ألبانها ونعومة أوبارها ، حتى لكان يضرب بهـا المثل كلما فاخر الرعاة بقطعانهم

وطمع يوريذوس فى نعم جريونز وشائه (١) فأمر هرقل أن ينصرف الى آريثيا فلا يعود الا بها

واغذ هرقل السـير ، والفى المارد ممددا فى كهفه السحيق يغط فى نوم عميق ، فانقض عليه كأنه الشهاب الراصد ، وقبض بيديه الحديديتين على عنقه الغليظ فلم يفلته الا جثة لا نأمة فيها ولا نفس ! وساق القطعان ، وتولى الى ملك ارجوس بالثروة الطائلة ، والوفر الكثير

وارخى الليل سدوله ، ولما يبلغ هرقل نصف الطريق ، فأناخ فى منحدر معشوشب ، ولعبت سنة من النـوم بعينيه ففغا ، وأسكرته نسمات الربيع فاستسلم لاحلامه الخمرية الحلوة

وكان يأوى الى هذا الجبل ، جبل آفنتين ، مارد لص قطـاع طريق ، يدعى كاكوس ، وجـد هرقـل غارقا فى سبات ناعم ، فذهب بنصف القطيع أو يزيد ..

واستيقظ البطل على رغاء يتجاوب فى حدود الافق ، فلما تفقد قطعانه انطلق فى اثر اللص حتى لحق به ، وحطمه تحطيما !

وقبيل شروق الشمس ، كانت مدينة ارجوس كلهـا

---

(١) النعم : الماشية ، والشاه : الغنم

عند الابواب تستقبل الرزق والغنم ، وتهتف باسم البطل الحلاحل الذى بهرها بشجاعته ، وخلب البابها بما ابدى ، وما ينفك يبدى ، من ضروب القوة والاستبسال ..

واحس يوريذوس بما انطوت عليه قلوب الاهالى من المحبة والافتتان بهرقل ، فسخط وحنق ، وبيت الشر المستطير ..

١١ ـ تفاحات هسبريا الذهبية

وأدركت حيرا ماينقم الملك من هرقل ، فوسوست اليه أن يأمره بالحصول على تفاحات هسبريا الذهبية ، وهيهات هيهات ان يستطيع أحد الحصول عليها !

ولقد أهديت هذه التفاحات الى حيرا ، ليلة زفافها الى زيوس ، رب الارباب ، فيما أهدى اليها من تقدمات وتحف ، أهدتها اليها « جى » ربة الارض ، فكانت اثمن الهدايا جميعا وأغلاها . لانها فضلا عن أنها من الذهب الخالص ، فقد رصعت بأندر اللالىء ، وزينت بصور الآلهة ، ونقشت فيها حدائق الاولمب ، ثم هى تستقل بميزة ندر أن تكون لحلية مهما غلت : ذلك أنها اذا غابت الشمس ، وأقبل الليل بظلامه ، شعت اضواء ، ولالاء قل أن تصدر الا عن كوكب درى ، أو شمس وضاءة ، فتنقشع الغياهب وتنجلى الدياجير !

وحسبك ان تعلم أن حيرا نفسها لم تأمن آلهة الاولمب وحراسها الفلاظ على هذه القنية النادرة ، فارسلت بها الى الهسبريد ، بنات هسبروس اله الغرب العظيم ، ليحرسنها • ولتكون عندهن فى مأمن من كل سارب بليل ، أو سارق فى نهار ، وقد عرف الهسبريد لهذه

التفاحات قيمتها ، فعلقنها فى دوحة باسقة فى قصرهن المنيف ، واقمن على حراستها التنين الهائل لادون الهولة، الذى قيل فى وصفه ان له سبعين الف رأس ،فى كل رأس سبعون الف عين ، وسبعون الف ناب يتدفق السم منها جميعا ، ثم انه يبلغ الف ذراع طولا وخمسين سمكا، وان له لاظافر كأن كل واحد منها جراز هرمز ، وان له لفحيحا تضيع فيه زمزمة الجن ، ومكاء الشياطين .

وانقلب هرقل على وجهه فى الارض حيران !

اين هى تفاحات هسبريا هـــذه ؟

« أفى الارض ام فى السماء ؟ لامض ! فرب اله دلنى اليها ... »

وشرق وغرب ، وذرع الارض من اقصاها الى اقصاها ، وانسرق الى الكهوف والغيران ، واوغل فى الجبال ، تحدر فى القيعان ، ومر بكل حنية ، ووقف عند كل عين ، حتى كان لدى نهر اريدانوس ، ووقف بشاطئه يتناجى ، فخرجت من الماء النمير عرائسه ، ورحن يسرين عن هذا اللاجيء الحزين ..

وانه ليسائلهن عن تفاحات هسبريا ، فيبتسمن لـه ويتلطفن معه ، ثم ينصحن له أن ينطلق الى نريوس اله البحر ، عسى ان يهديه الى ما يريد . ويهيم فى الارض محاذيا سيف البحر ، وحتى يكون آخر الامر أمام شيخ هرم ، وخط الشيب راسه ، وتدلى شعر لحيته الكث فوق صدره العريض ذى النتوء ، وبرزت أهدابه حتى لكادت تحجب عينين تزدحم فيهما السنون ، وتطل من حدقتيهما الاحداث !

وجده جالسا القرفصاء مقلبا ناظريه فى مملكة الماء التى تتصل باللانهاية ، فألقى عليه تحية هينة ، رد عليها الشيخ بهذه العبارة :

« ايها الفتى لماذا قطعت على تأملاتى ؟ ! »

« فقال هرقل : أستحلفك بسيد الارباب يا أبتاه الا ما أخبرتنى عن حدائق الهسبريد ، فتكون لك على يد أذكرها لك أبد الدهر وأشكرها ! »

وتجهم نريوس وقال : « حدائق الهسبريد ! أوه ! .. أنت هرقل اذن ! »

فبهت هرقل وأجاب : « أى وحقك انا هو ، فمن ذكرنى عندك ؟ ! »

« ليس هذا من شأنك يا بنى ، ولكن لعلك تبتغى تفاحاتها الذهبية ؟ »

ــ « أى وزيوس يا ابتاه ! »

ــ « بشراك اذن ! فلن يحصل عليها الا انت ، ولكنك لست انت الذى ستنفذ الى حدائق الهسبريد ! اذهب اذن فالتمس المسكين بروميثيوس مكبلا فوق جبال القوقاز، فأحسن اليه وسله حاجتك، فهو وحده الذى يستطيع ارشادك الى ما تريد ... »

وشكره هرقل ، وحياه ، وأطلق ساقيه يطوى الفيافى الى القوقاز . وهناك وجد بروميثيوس والرخ ينوشه، بحيث يمزق كبده ويهراه ، ويتغذى به ، فوتر قوسه، وسدد الى الطير سهما فأصماه ، وخلص الى الاله البائس فأزال أصفاده ، وما زال به حتى أقبل الليل والتأمت جراحه ، ثم تحدث اليه عن حدائق الهسبريد وتفاحاتها الذهبية ، فحدجه بروميثيوس بنظرة فاحصة ، وقال له : « لكأنك هرقل اذن ؟ »

ــ « أجل أنا هرقل يا أبتاه ! »

ــ « وأنت عدو حيرا يا بني ؟ »

ــ « عدوها المبين ياأبتاه ! »

ــ « مسكين ! »

ولم يلبث الفتى أن انهمـــرت عبراته ، وطار لونه ، وهاجت في فؤاده البلابل والاشجان ، ثم اتصل الحديث، وقال بروميثيوس :

ــ « انطلق يابني الى أخي أطلس ، هناك ... هناك في افريقية المظلمة شمالا بغرب ، تجده على قنة جبل السماء على منكبيه ، ويتشح بوشاح من اللازورد يرفرف بين المشرق والمغرب . فاقرئه سلامي ، وزف اليه بشرى خلاصي مما أوقع زيوس بي ، ثم حدثه بحاجتــك يقضيها لك ، فهو وحده يعرف أين حدائق الهسبريد ، وهو وحده يستطيع أن ينفذ اليها ، وهو وحده يستطيع قتل لادون التنين الهائل الذي يحرس تفاحات هسبريا الذهبيـــة، فاذا أتاك بها ، فاحذر أن يأخذك بشيء من مكره ، فاني قد علمت أنه بدأ يتململ من حمـــــله الثقيل ، ويود لو ينجيه منه أحد ، ولو انتثرت الكواكب ، وانتقض نظام الكون ! »

١٢ ــ هرقل يصارع انتيوس

وفي طريقه الى أطلس ، لقي من الاهوال والخطوب ماتفتأ تتحدث به الايام الى زماننا هذا ، فمن ذلك أنه مر بقــوم من الاقزام ضئال الاجسام قصارها ، كانوا يؤجرون ماردا عظيم الجسم ، مفتول العضل : ليحميهم من جيرانهـــم الاعزاء الاقوياء ، وليدفع عنهم غائلة الغربان النحاسـية التي كانت تتلف أعنابهم وتبيد زروعهم كلما تم نضجها في كل عام . وكان ذلك المارد «انتيوس» ذا حول وذا طول حتى لكان يخشاه الوحش ، ويتخوفه الجن ، وترجف من صولته أفعوانات البحار ، فلما شهد هرقل يخب في أفق البلاد كأنه جبل يتدهدى ، أخذ أهبته لمنـــازلته ، ولم تساوره ذرة من الشك في أنه منتصر عليه

فلما وصل هرقل ، حيا أحسن تحية ، ولكن انتيوس لم يجب ، بل انه سارع فأخـــذ بتلابيب البطـــــل عابر السبيل !!

ـ « ماذا بك ايها الاخ ؟ دعنى ، فليست لى عنـــدك حاجه ! »

ـ « لا ، لا نجوت ان نجوت ! لا ارى الا ان أصرعك ! »

ـ « ولم ؟ ! »

ـ « هذا ما لا أعرف ، ولكن لابد من أن أصرعك على أية حال ! » ..

وتصارع الخصمان ، واقبلت الاقزام ترى الى هذين الجبلين يأخذ أحدهما بخناق الآخر فيلببه تلبيبا !

وكان انتيوس كلما خانته قواه ، وايقن أن هرقل لابد صارعه ، وقف قليلا على اديم الارض يستمد منها قوة ، ويستلهم الحول من امه (جى) ..

فهو ابن (جى) اذن ، ولن يسر ربة الأرض أن يصرع ابنها أحد ، اذن ، فلتمده بكل ما فى سرها من قـــوة ليصرع هرقل !

وخارت قوى البطل ! وراح يلهث من شدة النصب ، بيد أنه تنبه الى السر آخر الأمر ، عندما لحظ أن انتيــــوس يزداد قوة كلما مست قدماه الأرض ، فرفعه رفعة هائلة، ولم يمكنه لحظة من الوقوف على قدميه ، ثم أخذ يضغط عنقه الغليظ العبل ، حتى شهق شهقة كانت هى شهقة الموت ...!

فألقى به ... ومضى لشأنه !!

وتلفت فرأى عرائس ماء يلعبن على الشاطىء ، ويترامين بلآلىء مما بعد لديهن من حصباء البحر ، فوقف غير بعيد وهتف بهن :

« يا عرائس الماء الجميلات ! هل لكن أن تهدينني الى

اطلس الذى يحمل السماء ، ويمسك كواكبها ان تقع !؟ »

وفزع عرائس الماء وهرعن الى البحر ، ولكن فتاة جريئة وقفت ترقص على رأس موجة وقالت : « امض أيها الرجل حتى اذا لقيت السد الذى يفصل البحر المحيط من مائنا هذا (وكان البحر الأبيض) ، فاذا استطعت أن تنفذ فانك تكون على فراسخ من اطلس ..

وشكرها هرقل ، وانطلق ..

وكان امام السد ، ولكنه كان جبلا شامخا ذا قنن وقلل وأحياد ، فلم يستطع ان يتسلقه ، ضربه بيمينه ضربة ، وبشماله أخرى ، ففتح ثغرات كبيرة نفذ منهما ، وترك الجبل وراءه أعمدة عالية ، وما تزال تعرف الى يومنا هذا بأعمدة هرقل ! ! (١)

ونظر فما هاله الا هذا الاله العظيم سامقا فى الافق ، يحمل على كتفيه العريضتين قبة السماء . والنجوم منتشرة من حوله كأنها قطرات امطار فى يوم عاصف !

وتقدم هرقل فحيا الاله الضخم ، وحياه الاله الضخم بأحسن مما حيا ، ثم أقرأه هذا تحية برومثيوس ، وزف اليه بشرى خلاصه من الصخرة التى ظل مكبلا فوقها احقابا واحقابا !

وطرب أطلس لهذه البشرى ، وافتر عن ثنايا كأنها قمم الجبال مغطاة بالثلوج ، ثم قال :

ـ « ومن ينقذه من عذابه الطويل يا صاح ! »

ـ « أنا ، ان كان يسرك ذاك النبأ »

ـ « انت ؟ انت من المكرمين اذن ! مرحبا بك أيها المخلص الامين ! لقد كدت ألقى بهذا الحمل الذى ترى لانقذ أخى، ولكنى خفت أن يهلك العالم بمن فيه ... و ... على ذكر أخى ، كيف هؤلاء الناس الذين خلق ؟ أبخير هم ؟ وهل

(١) بوغاز جبل طارق

يخبتون له حقا ؟ ان زيوس مغيظ منهم ، وامرأته حيرا محنقة كذلك ، أعندك من أخبار هؤلاء شيء ؟

ـ عندي أشياء يا ابتاه .. انا ابن زيوس من الكمين ، وقد نقمت حيرا على والدتي ، فأرادت ان تفجعها في ، وقد اغرت رب الارباب بي ، فقضى أن آخدم النذل يوريذوس سنة بتمامها أصدع له خلالها بما يأمر ، وقد ارسلني اجوب الافاق واذرع الارض من أجل تفاحات هسبريا الذهبية ، وقد ذكر لي أخوك ، بعد اذ اطلقته ، انك وحدك تعرف مكان حدائق الهسبريد وانك وحدك تستطيع الحصول على هذه التفاحات ، فهل أسعد بان تؤدي لي هذه اليد؟ لقد كادت حيرا كيدها هذا ، وان لم تنصرني أغدو من الهالكين ! »

وشاعت الخيلاء في أعطاف أطلس ، وسرت حميا الزهو في ظهره الشاسع ، فقال : « أجل ياصاح ، لن يستطيع قتل لا دون غيري ، ولن يدخل حدائق الهسبريد سواي ، ولكن كيف اترك حملي هذا لآتيك بالتفاحات ؟ »

ونظر هرقل الى القبة الهائلة نظرة تفيض كبرياء وقال : « انا احمل عنك هذه القبة يا أبتاه ، حتى تعود بالتفاحات !! »

وما كاد يتم كلمته ، حتى تقدم فركز كتفيه تحت السماء ، وانطلق اطلس لاول مرة منذ احقاب وادهار يمتع نفسه بمشية حرة طليقة في حدائق الارض الغناء !!

وغبرت ايام ..

ثم ذكر تفاحات هسبريا ، فذهب الى حدائق الهسبريد ، واقتحم الاسوار ، وانقض على التنين لادون فزلزلت الارض تحتهما ، ولم يدعه يفلت ، برغم مرونته في الوثب وسرعته في الالتفاف ، حتى خر صريعا

ومد يده الى الايكة الذاهبة فى السماء فتناول التفاحات المتلألئة الوضاءة ، وعاد يزهى ويختال الى حيث هرقل المجهود المتعب

وما كاد أطلس يلمح الحمل الثقيل الذى يؤود هرقل حتى ذكر الادهار السحيقة التى لبث يتململ طوالها تحت عبئه ، فارتعدت فرائصه لمجرد فكرة العود الى حمله الشاق .. وبدا له أن يدع هرقل ويمضى ، ولكن هرقل المتعب فطن الى ما وقر فى قلب أطلس ، فناداه : ابتاه ! لعمرى أن حملك لأخف من الهواء ، ولعمرى اننى لأستطيع أن اثبت له الى نهاية الابد ! »

وبهت أطلس وقال :

ـ « اذن لتمض فى حملك ما دام يسرك ! »

فأجاب هرقل : « ليس أيسر من هذا ! ولكن هل تسمح فتحمل مكانى برهة حتى أضع حوبة فوق كتفى ، فانى أشعر بنتوء أديم السماء !! »

وقبل أطلس المغفل ، فنثر التفاحات من يده على الكلأ الاخضر وتقدم فحل محل هرقل !!

والتقط صاحبنا التفاحات ، وانطلق لا يلوى على شيء!!

وبعد رحلة طويلة مضنية : دخل على يوريدوس بالقنية الغالية التى خلبت لب فتاته ادميت ، فخرت مغشيا عليها حين وقع بصرها عليها ..

١٣ ـ رحلة هرقل الى الدار الآخرة

لم تكن محفوفة بالمكاره هذه الرحلة الى الدار الآخرة، فقد سلك هرقل سبلا من قبل ، كان الموت يجثم فى كل خطوة فوقها ، وكانت المنايا تتربص فيها ، ثم تفز منه

آخر الامر ، كانما هو موت للموت ، ومنية للمنية وفنـاء للفناء ..

أسقط في يد حيرا حين عاد هرقل بتفاحات هسبريا ، واستولى عليها الجزع حين رات التنين لادون مضرجـا بدمه ، فوسوست في صدر يوريذوس أن يأمر البطـل فيحضر له سيربيروس من الدار الاخرة !!

وسيربيروس هو ذلك الكلب الهائل ذو الرؤوس الثلاثة، الذى رأيناه يعدو فى أثر بلوتو ـ اله الموتى ـ حينما زار الدار الاولى ليخطف برسفونيه ، وهو ابدا يربض عنـد قدم سيده الجالس فوق عرش هيدز ، يقلب في غيهب السفل أعينه الست ، كانها انجم تحترق في فحمة ليـل يهيم ، وهو أيضا أداة تعذيب في دار الابدية ، ينشـب أظفاره في أرواح المجرمين ، ولا يفتأ يكرع من دمائهم حتى يروى !

وكانت الحرية تشيع بالامال في قلب هرقل ، وكان هـو قد برم بهذا الرق الاسود الذى كتبته عليه السـماء ، فانطلق يعدو الى دار الموتى ، وبين يديه طائفة من الالهة تهديه وترشده ، حتى اذا كان قاب قوسين من السـدة القاتمة الدجوجية ، ووجد سيربيروس مقعيا يغط في نوم عميق ، واله الموتى مستلقيا يقلب في حضنه القـوى برسفونيه الجميـلة ، انقض على الـكلب فخنقه حتى لا يعوى فتعاويه كلاب الجحيم كلها وتكون هنالك الطامة!

... وانفتل من دار الظلمات وفي نفسه من الرحمة لهذه الارواح الهائمة ما أسال دموع الحنان من عينيه الحزينتين

وانخلع قلب يوريذوس حين لمح الكلب الهائل !

لقد كانت الظلماء تتدجى في اشداقه فتكسف الشمس الوضاءة ، وترد نور النهار المتلألىء ديجـورا يلج في ديجور !!

وكان الزبد ينتثر من افواهه كأنه ندف يساقط من عل في ليل عاصف !

وكان ذيله الطويل الضخم يتـــاوى وينثنى كأنه ذنب هيدرا أو ذيل لادون !

وكان يعوى وينبح فيقلقل الجبال المجاورة ، ويزلزل قصور ارجوس !

وانظر الى الملك الجبان !

لقد قفز من عرشه مما الم به من الهلع ، وانطلق الى مخزن الغلال المجاور فاختبأ فى خابية عظيمة أغلقها على نفسه حتى كاد يختنق ، وآلى الا يخرج حتى يعود هرقل بسيربيروس الى هيدز !

***

وهكذا اصبح هرقل حرا ، والقيت عن كاهله هـــذه الربقة التى اذلته طويلا ، وتلفت حواليه فوجد الحيـــاة تتبرج كأنها غانية ، ووجد كل شىء بساما ضاحكا يدعوه الى اللهو والمرح ، والاخذ بنصيب مما تفيض به هـــذه العاجلة من مباهج ومغريات

وذهب فى رهط من اصدقائه والمعجبين به من الآلهـة الى الاولمب ، ليلقى أباه ويقدم له طاعته ، وليرى هـــل يتوب عليه من غضب لا يستحق منه كثيرا ولا قليلا ..

ولقيه ارباب الاولمب هاشين باشين ، واخذوا يتندرون بمجازفاته العجيبة التى انتصر فيها على سبع نيميـــا والافعوان هيدرا ومحاربات الامازون ..

اغرقوا فى الضحك عندما ذكر اطلس وما كان من امـر الحوية ..

واقترح هرمز على الآلهة ان يصارعوا هرقل ويلاكموه، ويباروه فى العدو والسباحة والعاب القوى ؛ لتتم بذلك

بهجة لقائه ، وليعبروا عما يكنونه له من حب ، ويضمرون من اعجاب . فاقيم ملعب الاولمب الفخم ، وشـيدت على جوانبه المدرجات التى تتسع لألف الف مشـاهد من الالهة وانصاف الالهة وكبار المدعوين من عبـاد برومثيوس (١)

وتم مهرجان الالعاب ، وحاز هرقل قصب السبق فى أكثر المباريات ، وكان هذا هو الاولمبياد (٢) الاول الذى أخذ اليونانيون يحتفلون بمثله كل خمس سنوات

وتتابعت السنون ..

ومر هرقل بقوم يبكون ، وقيل لـه ان ادميتوس (٣) ملك تساليا مرض ، فتمنى على الآلهة ان تمنحه الخلـود فى هذه الدار الدنيا ، فأجيب الى ما تمنى ، بشرط أن يحل محله أحد اهل بيته اذا حضره الموت ، وهنا تقدمت زوجته المخلصة الستيس فضحت بنفسها كى ينجو بعلهـا من الموت ، وليخلد ما شاء له الخلود · وماتت الزوجة الوفية فداء للملك ·· وينظر أدميتوس الى ملكه الشاسع فيراه بغيضا لا خير فيه ، ويكون فى حاشيته فيشعر بوحشـة وانقباض كأنه يعيش فى صحراء ، ويقدم اليه الطعام فـلا يكاد يسيغه ، وترقص القيان بين يديه فيثرن فى نفسه الاشمئزاز كأنهن جنة تدمدم فى ظلام غابة ..

ويبغض الدنيا ...

ويود لو كانت زوجته الجميلة المخلصة الى جانبه لحظة واحدة ، وتتلاشى بعدها الحياة بكل من فيها .!.

---

(١) هو خالق البشر فيما تزعم الميثولوجية

(٢) الاولمبياد وهو دورة الالعاب الاولمبية

(٣) اسطورة أدميتوس وزوجته الستيس وطرد أبوللو من السماء هى من أبرع الاساطير الاغريقية

لذلك يبكى الملك ، ويبكى حوله شعبه الامين !

ويذكر هرقل انه وحده يستطيع ان ينفذ الى هيدز ـ دار الموتى ـ فيستنقذ الستيس من براثن الفنـــاء ، ويردها معززة مكرمة الى زوجها المسكين فيهدأ قلبــه ، ويرقأ دمعه ، وتستقر نفسه ، ويفىء الى أمر هذا الشعب الذى تكبكب حوله يعول وينتحب ..

ونفذ البطل الى ظلمات الدار الآخرة ، وسأل الارواح الهائمة فدلته على منامة الستيس ، فتفقل حارسهـــــا الجبار وخنقه ، واختطف الفتاة الناعسة وفر بها دون ان تشعر به زبانية بلوتو

وعادت الطمأنينة الى قلب الملك ، ورفرف السلام على المملكة

١٤ ـ هرقل واومفاليه

وذهب هرقل يزرع الارض ، واشـــترك فى حمـلة الارجونوت ضد السنتور ، وانضـــــم الى الاغريق فى حصارهم الاول لطروادة

ولقى رجلا ذا خيلاء وكبر فقتله ظالمـــا ، وكان زيوس ينظر من علياء الاولمب ، فعبس وبسـر ، وقضى أن يظل هرقل فى خدمة أومفاليه ملكة ليديا بضع سنين

وتجهم هرقل ، ولكنه لم يكد يبدأ خدماته التافهـــة للملكة ، حتى راعه جمالها ، واستهوته مفاتنها ، واحس للمرة الاولى فى حياته المشحونة بالمخاطر ان قبسا يتأجج فى قلبه يوشك ان يجعله ضراما

وحلا فى فمه ما مر من الذل ، وطلب ما كـــره من العبودية وود لو قضى الحياة فى ظـــلال هذا الحب الاول مغمورا برضى الملكة ، سعيدا بما افاء عليه جمالها من هناء

ونعيم بال . ولكن الآلهة لم تقر بهذه السعادة فأرسلت بطلها لمآرب اخرى

١٥ ـ زواج هرقل

وطوف هرقل فى اقصى الارض حتى انتهى الى كاليدون مملكة اونيوس ، ولقى ابنته الناهد الهيفاء تجمع الزهور فى خميلة غناء . وكان قلبه قد نهل من خمرة الحب ، وكانت عيناه قد ثقفتا نظرات الغزل ، وكان لسانه قد انحلت عقدته عن وحى الهوى ، فانطلق يلاعب الفتاة ويداعبها ، وينمق لها من الورود والرياحين باقات تتكلم بالشذى ، وتهتف بالخضرة والحمرة ، وتصافح الروح بالعبير الفياح

وأنست ابنة الملك بهرقل واطمأنت اليه ، وبثها وبثته، وتشاكيا ما شاء لهما الغرام الروى ، والحب الفتى ، والدمع المسكوب !

وعلم منها ان اخيلوس ، احد آلهة الانهار ، قد خطبها الى والدها وأن الملك قد اجابه الى ما أراد :

« فهل أسعد بأن تزيح هذا الكابوس عن قلبى ، »
« وتقف حائلا بينى وبين الشقاء الذى يتربص بى ، »
« فنكون أهنأ زوجين ينعمان بلذة الحب ، ويرفلان »
« فى برد السعادة ، ويتغنيان مع الطير »
« ألحان الهوى والحياة .. .. .. » (١)

هكذا بكت ديانيرا الى هرقل ، فهاجت فى قلبه نخوة البطولة ونحيزة المغامرة ، واطلقت فى كل عضلة من جسمه المكتنز كهرباء الحماسة والاستبسال :

(١) هذه السطور من سوفوكليس فى مأساته الخالدة « عذارى تراقية »

« قــري عينـا ايتهــا الحبيبـــة فليس أيسر »
« على هرقل من حـرب الآلهــة ، لقــد صرعتهم »
« جميعا فى حفل الاولمب ، وقد مر بى من المغامرات »
« ما ينخلع من بعضه قلب اخيلوس . . . . » (١)

واستأذن هرقل على الملك ، وحيا احسن تحية ، ثم طلب يد ديانيرا .. وكان اونيوس يعرف من باس البطل وعظيم قوته ما يعرف كل ملوك هيلاس وامرائها ، وكان قد أجاب أخيلوس الى خطبته وهو يعلم من سخط ابنته على هذا الزواج ما يعلم ، فلما تقدم اليه هرقل استبشر وقال : « .. لقد كنت يا بنى وعدت أخيلوس أن يبنى على ديانيرا ، وهو من تعلم فى الحول والطول والجبروت . لكنى مع ذاك لا أفضله عليك ، بل نجعل لكما يوما تلتقيان فيه ، فمن يصرع صاحبه كان كفؤًا لديانيرا »

وقبل هرقل ، ورضى أخيلوس ، واجتمع الناس من كل فج يشهدون الصراع العظيم بين الجبارين العنيدين .. وكان كل واثقا بنفسه ، لا يخامره ادنى شك فى انه فائز على صاحبه . فلما تقابلا ، ثار من حولهما النقع ، كانت أنظار الناس كأنها متصلة بسواعدهما بأمراس شـــداد ، وبعد قليل اخذت الارض ترتجف من تحتهما ، وطفق الملعب يهتز بمن فيه من خلق كثير .. وكانت ديانيرا تشرف من مقصورتها وتكاد تغص بريقها اشفاقا على هرقل ، وكان هو كذلك ، كلما خارت قواه ، نظر اليها النظرة فتتجدد بها روحه وتتضـــاعف قوته ويمتلىء قلبه بالآمال .. وكان أخيلوس قد فطن الى جبروت هرقل ، وكان يستطيع ان يتشكل بأى خلق أراد ، فجعل يتقلب من ثعبان ضـــخم

(١) هذه السطور من ســوفوكليس فى مأساته الخالدة « عذارى تراشينيا »

الجثة ، الى تنين عظيم الجرم ، الى أسد بادى النواجذ ، الى .. ما شاء له سحره وقوة حيلته من أشكال واوضاع .. ثم انقلب الى عجل جسد ذى قرنين كبيرين ، وشرع ينطح هرقل ، وهرقل يتقيه ، حتى استطاع البطل ان يأخذ بقرنيه بكلتا قبضتيه ، وجعل يخبط برأسه الارض فى عنف وغل ، حتى كسر أحد القرنين وفر اخيلوس من الميدان هاربا .. لا يلوى على شىء ..

ودوى الملعب بالتصفيق ، واندلعت الحناجر بالهتاف ، وتدفق الناس نحو هرقل يحملونه على الاعناق ..وتقدمت ديانيرا فحياها البطل بقبلة فردوسية خالدة ، لا يزال صداها يرن على شفاه المحبين ..

وتم العرس .. وانطلق هرقل بزوجه يجوب الافاق

وحدث ان اعترضه نهر عظيم لم يستطع ان يعبره ومعه ديانيرا . فبينما كان يعمل فكره كيف يقتحمه ، اذا سنتور عظيم يعرض عليه ان يحمل زوجته فيعبر بها الى العدوة الثانية سالمة آمنة ، ثم يرتد فيحمله اليها كذلك ، وقبل هرقل ، ونسى ما كان بينه وبين السنتور من عداوة وبغضاء ، وحرب قديمة تدمى لها قلوبهم ، وتقرح نفوسهم ، وأعان هرقل زوجته فاستوت على ظهر السنتور ، وخاض بها الماء وهو يطفر من الفرح ، ويحلم بالمنى والامال . فما كاد يبلغ الشاطىء الاخر حتى عدا علوا شديدا ليكون بمنجاة من سهام هرقل . ولكن ديانيرا صرخت صرخة مدوية نبهت ما غفل من سمع زوجها ، فلما فطن الى خيانة السنتور ، شد قوسه العظيمة ، وأرسل الى دبر السنتور سهما مراشا كان قد شرب من دم هيدرا حتى ارتوى !

وأحس السنتور بسم الموت يخترم حشاشته ، وبرودة

الفناء تشيع فى جسمه البدين ، فاقسم ليكيدن لهرقل فيذيقه من هذا السم الذى سقى به سهامه ما يودى به . فقال لديانيرا : « أيتها الفتاة ! لا تثقى ان حب هرقل دائم لك ؛ بل اكبر الظن انه منصرفه عنك الى فتاة أخرى تكون اسبى واصبى . وما احسبك الا ذاكرة كيف كان يتفانى فى حب اومفاليه . فخذى قميصى هذا فاحفظيه لديك ، حتى اذا احسست من زوجك جفوة ، اورايت فيه ازورارا ، فابعثى به اليه ليلبسه ، والقى فى روعه انه يحفظه من اعدائه . فانه ان فعل ، عاد اليك بقلب مفعم بالحب ، ونفس ملتاعة كلها شوق وتوق .. » ، ثم خر السنتور ميتا !

واخذت ديانيرا القميص المضرج بالدماء المسمومة ، وفى نفسها من الهم شىء عظيم ! « من اومفاليه هذه ؟! كان يحب اومفاليه ؟ كان يحب فتاة غيرى ؟ وحق زيوس لأسألنه ! ها هو ذا قد سبح الى الشاطىء ! »

ولقيته فسألته ، فاعترف لها بكل شىء ، وطمأنها على محبته واخلاصه ... ولكن قلب المرأة لا يعرف هذا الاستسلام المعسول للكلمات الناعمة ! فقد ظل الوسواس يدب فى نفس ديانيرا ، حتى كان هرقل فى احدى جولاته، وكانت هى عند أبيها ملك كاليدون ، فطالت غيبته ، وذهبت بها الظنون من اجل ذلك كل مذهب

وذكرت القميص ورددت عبارات السنتور ، فنهضت من توها وارسلته مع احدى وصيفاتها (١) الى هرقل فى منآه البعيد . وأوصت الوصيفة أن تذكر له من مآثر القميص ماوسوس به السنتور . فلما لبسه هرقل ،

---

(١) فى احد المصادر انها ارسلت خادمها الصناع ليخاس

التصق به التصاقا ، وأخذ السم يشيع فى جسمه الحديدى فيذيبه ويفتته ..

وصرخ البطل بلا جدوى ! وكلما حاول انتزاع القميص كان جلده يتمزق ، ولحمه يتهرأ ، ويتصبب الدم من فوق ومن تحت ... ثم اخذت نفسه تساقط انفسا .. وطفقت روحه تودع هذا الجثمان الهائل فى دموع وآهات حارة ...

ولفظ نفسه الاخير وهو يبكى ويقول : « فدى لك نفسى .. يا .. ديا .. نيرا ! »

***

« وهوى الى الارض ما كان من الارض ، ورفرفت »
«الروح الكبيرة فى جمهرة من أرواح الآلهة التى أقبلت»
« من الأولمب تزف ابن زيوس العظيم . والكل ضاحك»
«مستبشر ان القى اخوهم حمله الثقيل ،وخرج الاولمب»
« جميعا يستقبل البطل ويهتف باسمه فى عليين (١) »

وحمل الجثمان الطاهر الى جبل أويتا ، حيث دفن فى اجلال واعظام ، وحيث وقفت ديانيرا ترويه بدمعها الغزير ..

---

(١) هذه السطور من شللر الالمانى . وفى بعض المصادر أن الذى أثار الغيرة فى قلب ديانيرا ، انها سمعت أنه عاد الى احدى صويحباته القدامى « ايول » وانه هام بهاومع ذاك فلو قد علمت ان القميص مسموم لما ارسلت به اليه



التوت الأبيض والتوت الأحمر
أو
(بيرام وتسبيه)

كان أجمل شباب بابل ، وكانت اجمل حسانها

كان فتنة فى فتنة ، فى جسم قوى ، وقلب حمى ، وخلق حيى ، وقوام مفتول ، ونفس حلوة ساكنة سجواء (١) ..

وكانت قسيمة وسيمة خفيفة لطيفة ، غضة كالوردة ، عطرية كأنفاس البنفسج ، تفتر عن فم خمرى شتيت ، وترنو بعينين دعجاوين نجلاوين ، وترسل شعرها المغدودن (٢) على ظهرها العاجى تارة ، وصدرها المرمرى أخرى ، يداعبه النسيم ، وتقبله الآلهة ، وتنتظم فيه حبات القلوب ..

وكان بيتاهما متلاصقين ، فكان يراها وكانت تراه ، وكان يلقاها وكانت تلقاه ، وكانا يتلاعبان فى الصغر ، طفلين كالملائكة ، ثم شبا ، فكانا ينفران الى الخلاء والادغال ، ويلتقيان عند النبع القريب ، ويتسلق بيرام أشجار التوت الابيض — ولم يكن التوت الاحمر قد عرف بعد — فيهز اغصانها وأفنانها ، ويساقط الثمر الشهى اللذيذ على سندس العشب ، رطبا جنيا .. فتأكل تسبيه ، وتقر عينا ! !

---

(١) ساكنة

(٢) المغدودن : الناعم الطويل

ثم ترعرعا أيضا ، ودبت الحياة الحلوة الجميلة ، حارة متدفقة زاخرة ، فى قلبيهما الصغيرين ، وأخذ الفؤادان الصغيران يثبان الى الاعين السعيدة الطاهرة يرى كل الى صاحبه ، ويتزود كل من جمال اخيه زاد الهوى وذخيرة الحب ، للايام المقبلات

ولم يعرفا انه الحب ، ذاك الذى يخفـــق فى صدريهما أول الامر ولكنهما عرفاه ، وعرفاه معرفة كلها شجـو وكلها حنين ، حين ألح عليهما ، وحين كانا يفترقان اشوق ما يكونان الى لقاء ، وأصبى ما يكونان الى اجتماع ، ثم عرفا كيف يتشاكيان ، وكيف يتباكيـــان ، وكيف يكون الليل جحيما حينما يقبل فيفصل بينهما بظلامه ، ويجمع بين روحيهما بسهده ودموعه وطويل انينه ، وكيف يكون فردوسا خالدا حينما يجمع بينهما فى يقظة أو فى منام .

ولم يقو بيرام على عذاب البعد ، فاتفق وتسبيه على أن يكلم أباه ليكلم اباها فى الخطبـــة ، ولكن والد بيرام أبى واستكبر ورفض أن تكون هـــذه الفتاة التى هى مطمح أبصار شبان المدينة زوجة لولده ، وكذلك ابى والد الفتاة ؛ ثم شجر الخلاف واتسع ، وكثرت شياطينه ، وأحيا عداوات قديمة ، فتدابر القوم وتناكروا ولكن مافى قلب الحبيبين ظل على ما كان عليه ، بل الهب البعد الذى جرت اليـــه الخصومة اوار حبهما ، فازدادا هياما ، وذابا غراما ، وكانت عداوة اهليهما عليهما بردا وسلاما . .

ولم يعد يفكر الا فيها ، ولم تعد تفكر الا فيه ، وراح ينظر الشعر يتغنى به برحاءه ، ويرسل موسيقاه يكلم بها السماء عسى أن ترق له آلهتها فترحمه مما يقاسي . . . وراحت هى تبكي وتتكلم بلغة الدموع الى نفسها الملتاعة ، وترسل اهاتها فى صميم الليل تتردد بين النجوم الخفاقة الكلمى ، تتوسل الى ارباب الرحمة والحب ان تدرك بلطفها

ضعف الحبيبين المظلومين

وتصدعت السماء ، وانهمرت شآبيب الرحمة ، وانهل فيض الحنان ، وامرت الآلهة فزلزلت الارض زلزالها .. وكانت الغرفة التى ينام فيها بيرام ملاصقة للتى تنام فيها حبيبته تسبيه ، وكان يفصلهما جدار مشترك بين المنزلين المختصمين ، فأحدث الزلزال فى هذا الجدار صدعا صغيرا كالشعرة فوصل هواء الغرفتين ، وحمل كلام الحبيبين ، واخذت موسيقى بيرام وغناؤه ينسابان الى غرفة تسبيه ، واخذ بكاء تسبيه وآهاتها تنساب فى غرفة بيرام ، واخذت النجوى الحلوة ، والشكوى الجميلة ، وغزل الكلام ، وحنين القلوب ، ينتقل فى برج هذا الشق كانهـا كواكب السعد تحدوها الاهات الملتهبة ، وتذهب بها القبلات الحارة ، ترف باجنحة من اثير ، من فم الى فم ..

ـ تسبيه ، تسبيه !

ـ من ؟ من ينادينى ؟

ـ تسبيه ، هو أنا ـ انا بيرام !

ـ من أين تتكلم ؟

ـ من هنا .. ألم تشعرى بالزلزلة ؟

ـ آه ! شعرت بها فى العشاء ليلة امس

ـ انها أحدثت فى الحائط الذى يفصل بيننا شقا .. وانا أكلمك منه

ـ بيرام !

ـ تسبيه !

ـ اذن لقد رثت الآلهة لحالنا !

ـ واستجابت دعاءنا ياتسبيه ، لقد حركتها موسيقاى !

ـ اذن كنت تعزف وتتغنى ، بينما كنت ابكى وائن واذوى !

ـ لا ! ولكنى كنت اسكب نفسى دموعا على أوتار القيثار !

ـ يا لقسوة هذا الجدار يا بيرام ! انه يفصل بيننا بشدة !

ـ هو على كل حال ارحم بنا من ابوينا .. أليس قد انفرج ليصل حديثنا ؟

ـ نشكره جدا ياتسبيه .. واشكره أنا خاصة لانه فرج عن قلبى بالتحدث اليك

ـ بيرام !

ـ حياتى !

ـ هل الجنة اجمل من سجننا هذا ؟

ـ انه اجمل من انضر الجنان يا تسبيه !

ـ وهذا الظلام! اليس هو اضوأ من سنا الضحى ؟

ـ لاننا نتحدث فيه يا اختاه !

ـ احب ان اسمع موسيقاك يابيرام تتدفق فى روحى خلال هذا الجدار

ـ ليس أحب الى من ذلك ياتسبيه

ـ أنا لم اسمعك تغنى مذ تناكر اهلونا

ـ سأفعل ان وددت !

ـ وماذا عساك تغنى ؟

ـ كل اغنياتى التى ترنمت بها فيك ؟

ـ الا تغنى شيئا اخر ؟

ـ للآلهة ! لانها انعمت على بحبك !

وهكذا كانت احاديث الحبيبين المعذبين كلما جنهما الليل ، وضمهما غاشي الظلام ، أحاديث كأوشية الروض، وافواف الزهر ؛ ونجوى البلابل ؛ ممزوجة بعبرة او عبرتين يريقانهما على جفاء الاهل ، ولدد الطباع ، وقسوة الايام

ولم يحتملا هذه الحال طويلا ، فلقد شفهما الهوى ، وانحلتهما الصبابة ، وفعل الحب فى قلبيهما الضعيفين أفاعيله . ففي ليلة سافرة البدر ، ساجية النسيم ؛ صمتت فيها الطبيعة ، وتكلم القمر ؛ دار بين العاشقين الحديث الآتى :

ــ تسبيه ؟ ؟

ــ بيرام !

ــ أوشك القمر ان يكون بدرا يا حبيبتى !

ــ انه جميل الليلة ، وحبذا ان يظل جميلا الليالى المقبلة ...

ــ ان القمر جميل دائما ... اليس هو ابتسامة هذه الدنيا فى ليالى العاشقين ؟

ــ لكنه صامت ابدا ... انه أبكم لا يعى !

ــ سو ... لا تقولى ذلك يا تسبيه ... قد تسمعك ديانا فتغضب !

ــ هل يتكلم ؟ هل يفهم ؟

ــ اما أنه يتكلم فحق ... لكنه لا يتكلم بلسان كلساننا .. انه يتكلم بلسان من فضه ياتسبيه ، لسان له رنين حلو فى أعماق الروح ... ثم هو يفهم آلام المحبين لانها تصعد اليه مع آهاتهم ...

ــ خيال شاعر وفلسفته ؟

ــ بل هو الحق يا حبيبتى ! لقد كان يكلمنى وكنت

أكلمه · وكان يفهمني وكنت أفهمه ، كان يكلمني بآراده(١) واضوائه ، وهى لسان صامت ولكنه بليغ لسن ، وكنت أكلمه بوجدانى مرة ، وموسيقاى اخرى ، فكان يضحك فى الاولى ، ويرقص فى الثانية .. تسبيه !

ـ ماذا يا بيرام ؟

ـ أتمنى لو غمرتنا أشعة القمر غدا ، فى هذا السهل المنبسط ..

ـ غدا ؟ وكيف ؟

ـ ولم لا ؟ ألا ترغبين ؟

ـ وكيف أرفض ؟ أنا أتمنى ذلك ··

ـ اذن سنلتقى ؟

ـ وكيف افعل يا بيرام ؟

ـ تنسرقين اذا نام أهلك ··· لن يشعر بك أحد ··

ـ واين نلتقى ؟

ـ عند مقبرة نينوس

ـ ... ؟ ..

ـ الا تعرفينها ؟

ـ مكان رهيب !

ـ لكنه جميل رائع ! سنجلس ثمة بين يدى القمر ونتحدث ، ونشفى انفسنا مما تجد !

ـ وتعزف وتغنى ؟

ـ وقد نبكى ؟

ـ .. ؟ ..

ـ اتفقنا ! اليس كذلك ؟

ـ اتفقنا

---

(١) اشعته

ـ اذن أنتظرك ، اذا لم أجدك هناك ، عند النبع القريب، تحت التوتة البيضاء ! وكذلك تفعلين

ـ افعل ماذا ؟

ـ تنتظرينني ثمة اذا سبقتني ؟

ـ ترى ماذا تبتغي ديانا مني ؟

ـ لا شيء .. لا شيء ..

***

ما كان أجملها ليلة سطع فى حواشيها القمر ، ودحرج لألاءه على مياه النبع ، ودغدغ (١) بأضوائه العشب وأفنان الشجر ، فتبسمت وتضاحكت ، ونشر فى أجوائها بخوره المتصاعد من مجامر الورد ، ومداهن البنفسج ، احتفاء بمقدم تسبيه ، يا لجمال الطبيعة ! لقد كان كل ما فيها موسيقى صامتة تنشر أحلى النغم حوالى هذه الحبيبة التى انسرقت تحت أسدال الظلام ، تمشى كالقطاة ، وترسل من فوق راسها خمارا رقيقا كسحابة الصيف ، تستر ما وراءها وليست شيئا ! لقد كانت توجس فى نفسها خيفة وهى تدب فى سكون الليل ، كما يسرى الحلم الجميل فى خلد النائم

وذهبت تطوى الطريق وفى راسها ألف فكرة عن هذه المجازفة ، وبلغت مقبرة نينوس آخر الامر ، ولكنها لم تجد حبيبها عندها .. ترى ماذا عوقه ؟ لقد كان رخام المقبرة نظيفا ناصعا ، ولقد كان شبح الفناء جاثما فوقها يلمع فى ضوء القمر ، كأنه يتلاعب بالسنين والاحقاب ، وكأنه يسخر من كل شيء فوق الارض ! وبدا للفتاة الضعيفة كأنه يرقص كالسكران فوق الشاخص الرخامى ،ولكنها

---

(١) الدغدغة : الزغزغة

أخذت تصرف عن عينيها رؤى عفاريت الليل ، وتصاوير الوهم المريض ، ثم سخرت من خوفهـــا وذكرت التوتة البيضاء ، والنبع الذى عندها ، فارتدت اليهما لتجلس ثمة ، ترتقب زورة الحبيب

وجلست عند جذع التوتة ، وجعلت تحـــدج الثمر الابيض ، وتشتهى لو سقط منه شىء فتأكله حتى يحضر بيرام .. ثم سمعت دبيبا يقترب ؛ فلم تشك ان بيرام قد أقبل ، ونبض قلبها بشدة وانذرفت من عينيها عبرة لم تفكر هذه اللحظة فى ان تذرفها .. ثم ابطأ الدبيب .. ووثبت تسبيه نمد عينيها الثاقبتين فى أرجاء الدنيــــا الصامتة الرهيبة ، ولكنها لم تر شيئا ، وعادت عفـاريت الليل ترقص فى وهمها ، ولكنها لم تبال ، وجعلت تجاهد نفسها مجاهدة لينة مرة ، عنيفة مرة اخرى ، وهى فى هذا وذاك تفكر فى بيرام ، وتضرب لتأخره اخماسا لاسداس .. ثم ذعرت الفتاة ذعرا كبيرا ، وساخت الارض تحت قدميها المرتجفتين الواهنتين .. ذلك أنها لمحت شبح لبؤة تخرج من دغل قريب فجأة ثم تيمم شطر النبع الذى تعرش من فوقه التوتة . ماذا ؟ انها لبؤة ضارية اقبلت ترتوى من ظمأ ملح وجواد (١) شـــديد .. وهى تتبهنس (٢) مع ذلك كأنها عروس ، ولكن عروس من الجن

واطلقت الفتاة ساقيها للريح ، ولم تحفل بها اللبؤة ؛ لانها قد افترست فريسة قبل ساعة ونهشتها ، وهـذا فمها ملوث بالدم الفريض الدافىء ..

لم تصنع اللبؤة شيئا ، الا انها رات الخمـار الابيض الذى كانت تسبيه ملتفعة به ، ملقى على الارض ، فعاثت فيه ، وكأنما ارادت ان تمسح فمها به ، فلوثته بالدم ،

---

(١) الظمأ (٢) تتبختر

٩

ثم همهمت نحو النبع فارتوت على مهل ؛ وعادت ادراجها نحو الدغل الذى تركت فيه فريستها لتأتى على بقاياها

اما الفتاة فقد ظلت تجرى حتى بلغت شجرة ضخمة وجدت فى اصلها فراغا فاختبأت فيه ، وراحت تلهث من الذعر والتعب ، وتتمنى الا ترتد اللبؤة اليها . . وقد ايقنت ان ديانا الهة القمر ، قد سمعتها حين عابت على البدر عيه وبكمه ، فساقت اليها ذاك الوحش فى هذا الليل

ولم يمض وقت طويل على تلك الاحداث حتى أقبل بيرام وفى نفسه لهفة ؛ وبقلبه قلق ؛ فقصد الى مقبرة نينوس فلم يجد عندها شيئا ، ووقف قليلا يبحث عن تسبيه فى كل شىء ! فى شجيرات الورد وفسائل الزنبق ؛ وفى العشب الخائف المذعور حول المقبرة ، وتولاه طائف من الوجد والذهول فراح يبحث فى السحابة الرقيقة البيضاء التى انتشرت على وجه القمر فى هذه اللحظة ، مشبهة خمار تسبيه ، اذ يكون على وجهها الرقيق الناحل . . ثم ذكر ميعاده عند النبع القريب تحت التوتة البيضاء ، فانثنى ميمما شطرها . .

« يا للهول ! ويا للفزع الاكبر ! ! ما هذا ؟ خمار حريرى ابيض ؟ لمن هذا الخمار يا ترى ؟ أواه ! انه خمارها لاريب ! لقد شهدتها تلتفع به مرارا ! يا ارباب السماء ! ما هذا الدم ؟ وا أسفاه عليك ياتسبيه ! لقد قتلتك الوحوش فلن اراك بعد اليوم ! انا السبب يا حبيبتى ! لقد جررت عليك هذا باقتراحى الضال ! الا ليت امى لم تلدنى ! اى وحش ضار اغتذى بك يا تسبيه ؟ ايها القمر القبيح الابكم ؛ لماذا اغريتنا بهذا اللقاء ؟ انت تتستر الان حياء وخجلا من فعلتك التى فعلت ، وكنت بالامس سافرا متبرجا ! اغرب ايها الاصفر كصفرة الموت ؛ فلا جمال

فيك ! رد علي موسيقاى وأغانى فأنت جبس (١) لئيم لا تستأهل منها شيئا !؟ هات كل ما عندك لى هات ! هات دموعى واشجانى وآهاتى ! هات سهدى وعبادتى ومناجاتى ! قتلت تسبيه تحت سمعك وبصرك؟! ماأقساك يا صاحب الليالى المواضى ! اوه .. ولكن لا .. انا الذى قتلتها ، ولا ذنب لك يا قمر . انى أستغفرك ، ابق كل ذكرياتى عندك ، فلا آمن عليها الا أنت ! أما أنا .. فهلم يا حسام أسكن هنا .. فى حبة القلب . ارو من هذا الدم الدافىء ، فلا أمل لصاحبك فى الحياة بعد اليوم »

وألقى الفتى المسكين نظرة على كل شىء حوله ،لاحرصاً على الحياة المرة ؛ ولكن لينظر الى كل مانظرت اليه تسبيه قبل ان يأكلها الوحش ، وليتزود من الاثر الذى تركته فى الوجود عيناها الحزينتان المفزوعتان ..

ثم أغمد سيفه فى صدره وسقط يتجرع غصص الموت!

وهدأ روع تسبيه ، فبرزت من مكمنها فى أصل الدوحة ، لترى من اين كان يتردد فى اذنيها هذا النداء الحبيب . وكان شبح اللبؤة لا يزال يتمثل لها فيفزعها فى الفينة بعد الفينة ، ولكنها كانت تسير بخطى وئيدة لانها ماشكت مطلقا فى ان النداء هو لحبيبها ، لان الصوت الفضى الذى كان يمتزج بأضواء القمر فيغمر اذنيها وقلبها، كان لا يزال يداعب أذنيها الصغيرتين .. ثم بدا لها ان تحث الخطى حتى تنبه بيرام الى وجود لبؤة فى هذا السهل الجميل جعلته كالفلاة .. فأسرعت واسرعت !

ــ من هذا المستلقى على حفافى النبع ؟ هو من غير شك! ثم اسرعت اكثر من ذى قبل

ــ بيرام ؟! ما هذا ؟ السيف فى صدرك ؟ لم ؟ حبيبى ! رد على! كلم تسبيه ! هاأناذى ! لم قتلت نفسك يابيرام ؟

(١) بكسر الجيم الثقيل الروح والجبان واللئيم

آه ! هذا الخمار الابيض ! وى انه ملوث بالدم ؟ عاثت فيه اللبؤة الملعونة ؟

ـ تسـ ..بيه !

وارسل القتيل هذا الاسـم المحبب وحشرجة الموت تعتلج فى صدره ، ثم فتح عينيه قليلا فراى فتاته تبكى فوق راسه ، فتبسم .. ثم مات !

ـ بيرام ! لا ! لاتمت ! لابد أن تعيش من أجلى ..

ولكنه مات برغم هذه الامانى

ـ اذن انا التى قتلتك يا حبيبى ؟ اشهدى ياتوتتنا البيضاء !

ثم رفعت بصرها الى فوق ، ولكنها بدلا من ان ترى الثمر الشهى الابيض ، رات ثمرا احمر يقطر دما قانيا

ـ أوه ! رويت من دمه ايتها الشجرة فضرجت ثمرك من حبنا وسعادتنا ؟ يا للقسوة ؟ تعالوا يا اهـل ! تعالوا ايها القساة ! فتشوا عن الرحمة فى قلوبكم المتحجـرة واذرفوا دموعكم علينا .. احذروا ان تفرقوا بعد اليوم بيننا ، فقد ربطت جسومنا المنايا .. لقد ابيتم أن نجتمع فى الحياة فلا تفرقوا بيننا بعد الموت .. وداعا أيها القمر .. وداعا فقد ظلمناك ! »

ثم جذبت السيف من صدر حبيبها واغمدته فى صدرها بعد أن قبلت بيرام الميت قبلة الوداع ..وسقطت تتخبط فى دمائها الى جانبه .. ثم عالجت سكرات المنون فوضعت رأسها الجميل ، وشعرها المغـدودن ، فوق صدره .. ولفظت ثمة آخر آنفاسها

واقبل اهلوهما فى الصباح فبكوا كثيرا ، واستغفروا لذنوبهم ، ثم اقاموا للحبيبين قبرا واحـدا من الرخام الناصع عند حفافى النبع .. تحت التوتة الحمراء ؟



أدونيس

كان جميلا كالكأس المترعة .. وله وجه أبيض كالحبب، تتدفق الخمر فى دمه ، وتكمن فى عينيه ، وتنثال على لسانه ..

راته فينوس يستحم فى بحيرة مزهرة ، فوقفت تنظر الى هذا التمثال من بلور ، يسبح فى لجة من لجين !

ولمحها الفلام فخجل واستحيا ، وطفق يخصف عليه من أوراق اللوتس .. ولكن الحياء ورد وجنتيه ، وصبغ خديه ، وفتر ناظريه ، وتصبب فى شفتيه فاحمرتا ! وبذلك أصبح فتنة تملأ البحيرة ، وعجبا يشيع فى الماء ..

وسبح الى الشاطىء المقابل ، بيد ان فينوس كانت عنده قبل ان يبلغه هو ، فانثنى يريد الشاطىء الاخر ، فكانت فينوس عنده كذلك ، فارتد يحسب انه يسبقها الى الشاطىء المقابل كرة اخرى ، ولكن الالهة العنيدة كانت تسابق الوهم فى الوصول الى احد الشاطئين ، فلما نال الجهد من ادونيس لم ير بدا من البروز الى البر ، وليكن من أمر هذه الغادة التى تهاجمه بحبها - وهو لايعرف من هى - مايكون ؟

- « ادونيس .. اليس كذلك ؟ »

ـ « ؟ .. »

ـ « ألا تتكلم ؟ .. »

وكانت قطرات الماء البلورية تتحدر على جسمه الرشيق ، فمن يدرى ؟ أهي من ماء البحيرة أم من ماء الخجل ! ...

ـ « تكلم يا أدونيس ! ألا تعرف من أنا ؟ .. »

ـ « ؟ ؟ .. .. .. »

ـ « أنا التى سجد عند اخمصيها مارس الجبار ! لقد ألقى سلاحه لدى النظرة الاولى التى زلزلت بها اركان قلبه ! ألا تصدق ؟ أدونيس ؟ ! .. »

ـ « أرجوك .. ان رفاقى ينتظروننى ، ونحن جميعا نتخذ أهبتنا للصيد .. »

ـ « صيد ؟ .. وماذا تصيدون في هذه البرية الموحشة ؟ .. »

ـ « الخنازير يا غادة .. انها متوحشة جدا .. »

ـ « وهي خطرة أيضا ، وكل يوم لها ضحايا .. أدونيس ! ألست ترى الى جمالك الفينان ! ألا تشفق عليه من أن يصيبه سفع من شمس هذه البرية المحرقة ؟ ألا تقلع عن صيد الخنازير القتالة ؟ .. تكلم ! لا تصمت هكذا ! » ..

ـ « أرجوك ؟ »

ـ ترجونى ؟ أنا التى أرجوك يا حبيبى ! ..

ـ « ... ؟؟ ... »

ـ أراك ارتبكت اذ دعوتك حبيبى ؟ وى ! ما هذا الحياء ، يصبغك بأرجوانه هكذا يا أدونيس ؟ تعال .. هات قبلة ! »

ـ « لا ٠٠ لن يكون شيء من هذا ! اسمعى ! ها هى ذى سلوقياتى تنبح ولابد أن أسرع اليها ٠٠ دعينى ٠٠ دعينى ! »

ـ « لن ادعك ، ولو استجمعت شبابك كله وريعانك ما اســتطعت أن تفلت من ذراعى يا حبيبى ! ٠٠ هات قبلة قلت لك ! ٠٠ »

ـ « ٠٠٠ ؟ ؟ ٠٠٠ »

ـ « اذن انال بالقوة كل ما أشتهى ! ساحرق شفتيك الباردتين بشفتى المشتعلتين ! »

ـ « أ ٠٠ ر ٠٠ جوك أوه ٠٠ حسه ٠٠ بك ٠ »

ـ « فمك جميل شهى ، ولكن خديك جميلان كذلك ٠٠ الف قبلة على خديك وعارضيك أيها الغــــــلام الفتان ! ٠٠ »

ـ « ٠٠٠ ؟ ؟ ٠٠٠ »

ـ أنفاسك تتضوع من فمك الرفيق ، وأنفك الدقيق، فهل فيك حديقة من بنفسج ؟ ٠٠ »

ـ « أر ٠ جوك ٠٠ كفى ٠٠ كفى سلوقياتى تنبح ، ولابد أن أذهب ! ٠٠ »

ـ « تذهب ؟ ولمن تترك هذا الصدر الدافىء الــذى يضمك ؟ حقا أنت غرير ! ٠٠ »

ـ « أرجوك ٠٠ قلت لك ! »

ـ « كل هذه القبل اغمر بطوفانها فمك ، ولا تحييها بقبلة ؟ ٠٠ قبلنى ! ٠٠ »

ـ « لا ٠٠ لا أقدر ٠٠ أرسلى ذراعيك عن عنقى ٠٠ »

ـ « انت لا تقــدر ؟ آه يا ســاذج ؟ .. انني لن أفلتك ما دمت تتباله على ! ٠٠ »

ـ « أرجوك ، دعيني أذهب ! آوه .. »

ـ « قبلني قلت لك ! لن يقهر كبريائي فتى غـــرير مثلك ! اذا قبلتني أرسلتك ! .. »

ـ اقبلك ؟

ـ اجل ، قبلني يا أدونيس !

ـ أقبلك كيف ؟

ـ هكذا يا صغيرى .. ..

ـ .. ؟ .. ؟ .. دعيني اذن !



وانتشت ربة الجمال بقبلة أدونيس اليافع ، فارتجفت ارتجافة هائلة ، وخرت الى الارض كأنما غشي عليهـــا ، وارتبك الفتى الذى لم يألف مثل هذا الموقف النـــادر من مواقف الحب ، فأنف أن يغادر المكان قبل أن يعالج الغادة حتى تصحو ، ثم يذهب الى صيده بعد . ولكنه لم يدر ماذا يفعل ، وعلى كل ، فقد طفق يدلك قدميها ، ويربت على صدرها ، ويمر بيديه الناعمتين على خديها وجبينها ، فلما لم تفق ، أهوى على فمها الحلو يلثمه .. ويرد اليه دينه من القبل !

وكانت فينوس الخبيثة تحس وتصمت .. ولا تأتي بحركة قد تطير بهذه الاحلام السعيدة التي تطيف بها ، وتتنزل من السماء الصافية عليها ، ألم تكن تضرع اليه من أجل قبلة واحدة ؟ فكيف بها تطرد هذه العشرات والعشرات من القبل ؟!

ولم تطق فينوس ..

ففينوس ربة ولكنها هلوك ! لقـــد طوقت أدونيس بذراعيها ثم أمطرت فمه الخمرى ، ووجهه العطرى ، آلافا

من القبل العذاب ، والنولات الرطاب (١)

حدثته عن الحب بلسان ينفث السحر ، وعينين تتقدان اشتهاء ، ولكنه كان يصم أذنيه ويغلق أبواب قلبـــه · وضمته بحرارة وعنفوان الى ثدييها ، فمـــــا زادته الا شموسا وعنادا ··

قالت له : « الا تقبل على الا ميتة يا أدونيس ؟ أيسرك أن أقضى بحبى أذن ؟ ألست أعدل عندك خنزيرا بريا ؟ أكلما خلعت عليك شبابى ونضرتى وحبى ، ألقيت بها فى تراب كبريائك غير آبه لدموعى وتوســـلاتى ؟ افتح قلبك للحب يا صغيرى !! ·· »

ولكن أدونيس يعبس عبوسة محنقة ويقول لها : «أهذا كله عندك هو الحب ؟ ·· »

فتنظر فى عينيه الساخرتين نظرة تستشف بها ما فى قرارة نفسه وتسأله : « اذن ما هو يا أدونيس ؟ »

وينفجر الفتى بالحقيقة المرة فيقول لها : « ان كنت تجهلين ما هو ، فالحب أجل من هذا وأقدس يا غادة ·· انك قد أسلمت جسمك للشهوة تصـــهره ، وروحك

---

(١) لا نستطيع متابعة الموقف ، ولكننا نثبت هنا اسطرا من شكسبير اللى لم نعرف فيه تفحشا ، فى وصف ماكان بينهما ـ وذلك من قصته الخالدة Venus and Adonais (مجموعة وارك ولوك ص١٥٢٤)

He will not manage her, although he mount her.. erc...
All is imaginary she doth prove,
Her champion mounted for the hot encounter :
Now is she in the very lists of love
He on her belly falls, she on hor back.
She sinketh down, still hanging by his neck,
and on his neck her yoking arms she throws :

والقصة رائعة ، وبها اكثر من ثلثمائة بيت فى وصف القبـــل وحدها ، ومن لم يقرأها لم يعرف شكسبير القصاص · والنولة القبلة

للغلمة تحرقها وتذهب بها شعاعا .. دعينى أذهب اذن .. دعينى .. سلوقياتى تنبح ولابد أن أذهب اليها .. »

***

وكأن ثلجا ذاب فى أعصاب فينوس عنـــدما سمعت أدونيس ينتهرها ويعيرها ، فتقلصت ذراعاها ، وفترت نفسها ، وخمدت فى قلبها تلك الشهوة الملحة التى سلطت عليها تعذبها وتضنيها .. واستطاع الفتى بجهد بسيط أن يتخلص من أسرها ، فانطلق يعـــــدو كالظليم الى سلوقياتة التى كانت تناوش خنزيرا كبيرا بادى النواجذ ، بارز الانياب

وجلست فينوس تنظر الى ادونيس يعدو ، وتجتـــر كلماته وتتعذب

وغفت اغفاءة قصيرة ، ولكنها استيقظت فجأة على صرخة راجفة من جهة الشرق ، حيث كان فتاها الحبيب يتلهى بالصيد . فهبت مروعة ، لان الصوت كان بصـــــوت يا للهول !!

أدونيس مضرج بدمه ، وعيناه مستسلمتان للموت (١)، وسلوقياته تبكى حوله ؟! لقد انقض عليه الخنزير الضارى فمزق لحم الفخذة ، وسرى فى الدم سم الكلب !

ووقفت فينوس ذاهلة تنظر الى حبيبها الصغير ، ثم أهوت على فمه تقبله وترشفه وتبكى .. ثم أســـندت الرأس الذابل الى صدرها ، وجعلت تقول :

« ألم يكن حبا حبى يا أدونيس ؟! يا للقضاء ؟! كنت أعرف هذه النهاية ، وكنت أشفق عليك منها ، ولذا كنت أتشبث بك ، وأحاول أن أنسيك بقبلى ودمـــوعى

---

(١) اقرأ مرثاة شيلى (ابونيس) فى كيتس ، طبعة اكسفورد ص ٤٢٥

خنازير هذه البرية ، ولكنك قلت ان حبى شهوة وصبابتى غلمة ، فجنيت على نفسك وعلى !! أوه ! يا لبرودة الموت ؟ ادونيس ؟ أدونيس ؟ رد على يا حبيبى ! لقد حسبتنى غادة ! أنا فينوس أكلمك فرد على ٠٠ آه ٠٠ »

وألقت به على الكلأ السندسى ، وانطلقت تبكى وتنتحب حتى كانت عند عرش الاولمب فقالت تكلم رب الارباب زيوس العظيم :

ـ « أدونيس يا أبى !! »

ـ ماله ؟ ٠٠

ـ قضى ٠٠ قتله الخنزير ٠٠

ـ ومالك مذعورة هكذا ؟ ٠٠

ـ « مذعورة ؟! وحقك ان لم تأمر برده الى الحيـــــاة الدنيا لاذهبن معه الى هيدز ! »

فوقف اله كان يجلس قريبا من السدة وقال : تذهبين الى هيدز ؟! يا للهول ! والجمـــال والحب ؟ ايذهبـــان فى اثرك الى دار الموتى ؟ وهذه الدنيا يا فينوس ؟ »

ـ « هذه الدنيا تنعى من بناها ٠٠ تخرب ٠٠ لا زهر ٠٠ لا شفق ٠٠ لا طير ٠٠ لا موسيقى ٠٠ لا خمر ٠٠ لا حب ٠٠ لا حنين ٠٠ لا غزل ٠٠ لن تكون دنياكم شـــيئا اذا ذهبت الى هيدز مع حبيبى أدونيس !! »

فسجد الاله الذى تكلم أمام زيوس ، ثم نهض وقال له :

ـ أنا بلسان الآلهة اضرع الى مولاى أن يلبى طلبـــة فينوس ربة الحب ٠٠

فتبسم آله خبيث كان بالقرب منه ، وغمز اليـــه وقال :

ـ وربة الجمال يابن العم !!

وأرسل زيوس العظيم الى أخيه ·· بلوتو ·· الـــــه هيدز ، يرجوه عن أدونيس ويستأذنه فيه ، ولكن بلوتو كان أحرص على الجمال من سكان هذه الحياة الدنيا ، فأبى أن يلبى رجاء أخيه ·· فالح عليه ، فلم يقبل ··

ثم اتفق الاخوان ، زيوس وبلوتو ، على أن يجعلا حياة أدونيس مناصفة ، فيقضي ستة أشهر فى هيدز ، أشهر الخريف والشتاء ، وستة أشهر فى الدنيا ، حيث تأخذ زخرفها في الربيع وتؤتى أكلها فى الصيف !!

ولما لقيت فينوس حبيبها عائدا أدراجه من دار الفناء قالت له :

« أتستطيع اليوم تعريف الحب ؟ » · فقال أدونيس : « هاتى قبلة يا فينوس ·· هاتى قبلة ·· هاتى ألف قبلة ·· »

فهرس

صفحة

هـــذا الكتـــاب

يضم هذا الكتاب اربعة وعشرين اسطورة من اساطير الحب والجمال عند الاغريق ، كتبها باسلوب فني مشرق فقيد الادب العربي الراحل دريني خشبة . ومن بين ابطال هذه الاساطير ما أصبح له شهرة في انحاء العالم تفوق شهرة الابطال الاحياء ، ومن هؤلاء الابطال اللامعين اسماء مثل كيوبيد وفينوس وأرفيوس الموسيقي وبجماليون وبندورا وهرقل ، وقد طافت هذه الاسماء الدنيا كلها ومرت خلال القرون المتتابعة فلم تزدها الايام الا وضوحا وتألقا . ومن بين ابطال هذه الاساطير عدد اخر ليس معروفا عندنا بصورة شائعة ، ولكن الحديث عنه يملأ الاداب الاوروبية المختلفة . وكانت المكتبة العربية تشكو من النقص في هذا الميدان ، فلم يكن فيها كتاب واحد يجمع هذه الاساطير ويعرضها بطريقة تحافظ على ما فيها من جمال وسحر ، حتى جاء دريني خشبة فألف هذا الكتاب ، الذي يعتبر اول مرجع من نوعه في المكتبة العربية ، والذي يجمع بطريقة رائعة بين دقة البحث العلمي ، وجمال الفن ، حيث يمكننا ان نقرأه كما نقرأ القصيدة او القصة المثيرة الممتعة ..